المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن




# سنة التدافع في ضوء القرآن الكريم

## دراسة موضوعية

( رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن )

**إعداد الطالب:**

خالد بن موسى بن غرم الله الحسني الزهراني

الرقم الجامعي (٤٢٥٨٨١٤٣)

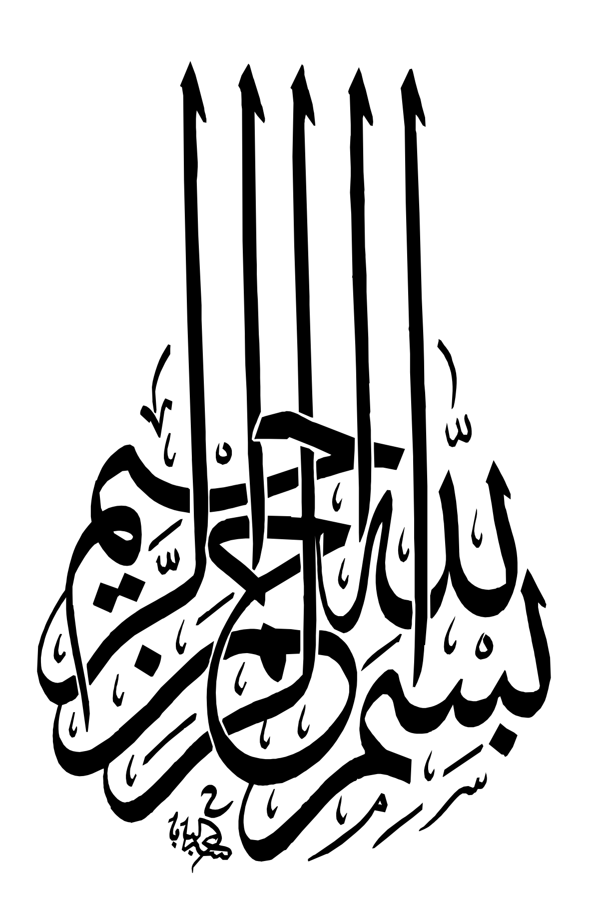
**إشراف فضيلة الشيخ:**

د/ سليمان الصادق البيرة

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



طباعة القحطاني



# ملخص الرسالة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: -

فالتدافع سنة إلهية من جملة السنن الإلهية العامة التي قضى الله أن يسير الكون بكل ما فيه على وفقها. وقد جاء الحديث عنها في هذا البحث على النحو التالي:

الباب الأول: السنن الإلهية، مفهومها، وأهميتها، وخصائصها، كما يلي:

أولاً: تعريف السنة عند علماء اللغة، ثم عند علماء التفسير، ثم المراد بالسنن الإلهية، وأهمية دراستها.

ثانياً: خصائص السنن الإلهية: الربانية، الثبات والدوام، الاضطراد والاستمرار، العموم والشمول، الحكمة والعدل، التوازن والتناسق.

ثالثاً: تقسيم السنن الإلهية إلى عامة وخاصة، والحد الذي يميز كل نوع، وأمثلة لكل منهما.

الباب الثاني: سنة التدافع، واشتمل على:

أولاً: تعريف التدافع عند علماء اللغة، ثم سنة التدافع في الاصطلاح، ومرادفات التدافع في القرآن ومقابلاته.

ثانياً: مظاهر التدافع التي لا تكاد تخفى على متأمل من: تدافع الإيمان والكفر، وتدافع الخير والشر، وتدافع السراء والضراء، ودفع الليل النهار والنهار الليل.

ثالثاً: حديث القرآن عن سنة التدافع، ثم دراسة أسلوب القرآن في عرضها، وخصائصه، والدروس المستفادة.

رابعاً: موقف الناس من سنة التدافع بين الحق والباطل:

-المؤمنون: وما يتمثلونه في عقيدتهم وسلوكهم من حقائق القرآن والسنة في ذلك.

-الكافرون: وحقائق القرآن والسنة في بيان موقفهم، والسبب الذي يحملهم على دوام التدافع مع أهل الحق، ثم استعراض مواقف من التاريخ القديم والحديث تؤكد ثبات موقفهم على ذلك.

-المنافقون: واعتقادهم بضرورة التدافع مع أهل الحق، واتفاق موقفهم مع موقف الكافرين في ذلك إلا في الأساليب والأشكال.

-الغافلون: وجهلهم بالسنن الإلهية أصلاً، أو مجانبتهم للصواب في فهمها.

خامساً: بيان حكم التدافع وآثاره، على مستوى الفرد ثم الأمة ثم الكون.

هذا ملخص لما تضمنته الرسالة من مسائل، والله أسأل التوفيق والسداد لكل خير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

| اسم الطالب | اسم المشرف |
| --- | --- |
| خالد بن موسى الزهراني | د. سليمان الصادق البيرة |



## Abstract

Praise be to Allah and prayers and peace be upon His Prophet ,

It is known , that Fending off is a Divine Way destined by God to handle all the universe . It is reviewed in this research as follows :

**CHAPTER I** : Divine Way : concept , importance & characteristics as follows :

**FIRST**: Linguistic and interpretational Definitions , the concept of Divine Way & the importance of studying it .

**SECOND**: Characteristics of Divine Way : stability , permanence , recurrence , constancy , generality & comprehensiveness , wisdom & justice , balance & coordination .

**THIRD** :Classifying the Divine Ways into : general & specific categories ,the characteristics of each category supported with examples .

**CHAPTER II** : The Divine Way of Fending off

**FIRST** : Definition : Linguistic & Terminological , the synonyms & antonyms of Fending off in Quran .

**SECOND** : The apparent aspects of Fending off, such as : Fending off between Faith & Unfaith , Good &Evil , Prosperity & Adversity ; the subsequence of Night & Day , Day & Night .

**THIRD** : Narrations of Quran about the Divine Way of Fending off, method of Quran in viewing this Way , characteristics & moralities of this method .

**FOURTH** : Attitude of people towards the concept of Fending off between Truth & Falsehood :

_The Believers : to review their implementation of the facts of Quran & Sunnah in creed & behaviour .

_ The Unbelievers : to review their aggressive attitude , the reason of their constant Fending off against Believers ; reviewing situations from the ancient & recent History which attests their stability on that attitude .

_ The Hypocrites : Reviewing their belief on the necessity of Fending off against Believers , resembling the unbelievers in their attitudes ,while differing in methods & forms of those attitudes.

_ The Heedless : Reviewing their ignorance of the Divine Way, originally , or their misunderstood of it .

**FIFTH** : To explain the jurisprudent status of Fending off , its effects on individuals , the nation and universe .

That was an abstract of my Thesis . I ask only God , success & guidance . May Allah's prayers and peace be upon His Prophet .

Name of Student : Khalid bin Mousa Al-Zahrani

Name of Supervisor : Dr. Suleiman Al-Sadiq Al-Beera

# المقدمـــة

الحمد لله الذي تفرد بالوحدانية، فهو الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، أحمده سبحانه وهو للحمد أهل. خلق عباده ليعبدوه فلا يشركوا به شيئاً، وجعل لكل من الهداية ما يناسبه، فخلق وهدى، وجعل الذكر والأنثى، وأصلي وأسلم على نبيه المحمود في الكتب السماوية، وعلى آله وصحبه وبعد..

فإن أشرف ما بذلت فيه الهمم، وصرفت فيه الأوقات، كتاب الله تعالى، تلاوتاً وتدبراً، ودراسة وبحثاً، والقرآن والسنة هما الطريقان الموصلان إلى العلم بالله سبحانه وما ينبغي له، وما يريده من عباده؛ لذا كان للمشتغل بهما في ميزان الكرامة الشرعية والمنزلة الدينية ما ليس لغيره، كما نطقت بذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

وقد أرشد القرآن الكريم إلى أن هذا العالم الفسيح الذي خلقه الله ﷻ بكل ما فيه يسير وفق نظام دقيق وقانون ثابت لا يحيد عنه، قدره الخالق لهذا الكون سبحانه وبحمده، فما يحدث فيه لا يقع صدفة قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان:٢]. ذلك النظام والقانون هو قانون السنن الإلهية، الذي تسير المخلوقات على وفقه؛ لذا أكثر القرآن الكريم من الإشارة إليها وبيانها، وكذا سنة النبي ﷺ، وهي جديرة بالدراسة والفهم، بل إن دراستها وفهمها من الأمور المهمة جداً، والواجبة ديانة؛ لأن معرفتها معرفة لبعض الدين، مع ما في دراستها وفهمها من فوائد جمة، يأتي على رأسها التزام أمر الله بإعمال العقل فيما خلق له من النظر والتأمل في آياته الكونية والشرعية، وتكليفه سبحانه لعباده بتدبر ذلك، فدراسة السنن الإلهية هو من صلب الدراسات القرآنية التي تعنى بإبراز هذا الجانب المهم من البيان الإلهي. وسيأتي مزيد بسط لذلك في بيان أهمية السنن ودراستها.

وقانون التدافع هو من جملة تلك السنن الإلهية التي قدرها الله سبحانه وبحمده، وهو قانون عام يدل على تفرد الله سبحانه بالوحدانية، قائم في كل شيء

كما أشار لذلك القرآن الكريم، وكما هو واضح ملموس للمؤمن في كل ما حوله، بل حتى في داخله، ليستقيم ميزان الحياة، ويبقى الكون عامراً بهذا التدافع الذي يتيح للخير والخيرين البقاء والاستمرار في أجيال متعاقبة، تحقق الصلاح في الكون وتدفع بالحياة فيه.

وإذا كان البحث في مجال السنن الإلهية ودراستها يعد في هذا الوقت الذي يمر بأمة الإسلام أمراً مهماً، فإني أرى أن دراسة سنة التدافع تحديداً يزداد أهمية، لما في إيضاح جوانبها من إذكاء لروح التفاؤل في نفوس المؤمنين، وتصفية ليقينهم بربهم وبدينهم،وحثهم على السعي الجاد والكد المتواصل لبلوغ الغايات الحميدة والمنازل العالية في الدنيا والآخرة باستعادة دورهم في الريادة، مع ما في إيضاح هذه السنة من جلي لصورة العلاقة بين المسلمين وأعدائهم، هذه الصورة التي نالها من التشويش والتعتيم على أيدي بعض العابثين ،ما تسبب في إيقاع كثير من عوام المسلمين في الخلط بين العدو والصديق والناصح والكائد.



## ۞ أسباب اختيار الموضوع:

**مع ما سبق من أهمية للموضوع، هناك أسباب دفعتني إلى اختياره أجملها فيما يلي:**

١-الرغبة في خدمة كتاب الله ﷻ من خلال عرض جانب من الجوانب التي أشار إليها القرآن، وقد أخذت مساحة منه وبخاصة في جانب القصص القرآني.

٢-أن الدراسات السابقة التي تناولت السنن الإلهية إنما تناولتها بمفهومها الشامل، ولذا لم يظهر موضوع التدافع فيها بصورة واضحة.

٣-أن الدراسات التي تناولت التدافع أو أشارت إليه إنما أشارت إلى نوع منه وهو ما يتعلق بالتدافع بين الحق والباطل، وهو صورة من صور التدافع، إذ التدافع سنة عامة.

٤-الرغبة في خدمة أمتي الإسلامية في وقت تداعى عليها أعداؤها كتداعي

الأكلة على قصعتها، وذلك بإظهار أن التدافع سنة إلهية لا تحابي أحداً، وأن من أخذ بأسباب القوة يوشك أن ينال مناه، وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

٥-أن في إبراز هذه السنة قطع الطريق على من يحاول النيل من الإسلام في شموليته وعمومه، محتجا بواقع المسلمين اليوم، وأنه لا أمل فيما يزعم في تغيير حال المسلمين.

٦-الفتور الذي أصاب بعض المسلمين نتيجة للهجمة الشرسة التي تشن على الإسلام وأهله في جميع المجالات، والرغبة في إذكاء روح التفاؤل المؤدي للعمل الجاد لإصلاح حال الأمة، ومتابعة سير خطى صحوتها المباركة.

٧-إشارة بعض أهل العلم، وفي مقدمتهم أساتذتي الفضلاء، وحثهم بالبحث في هذا الموضوع.



## ۞ الدراسات السابقة:

من خلال بحثي في الدراسات السابقة وما كتب في هذا الموضوع، خلصت إلى ما يلي:

**أولاً**: دراسات تناولت السنن الإلهية، لكنها تناولتها بمفهومها الشامل ولم تتعرض لسنة التدافع إلاّ في فصل كان حضه وريقات منها، وفي صورة من صوره فقط، وهو التدافع بين الحق والباطل، ومنها:

١-السنن الإلهية في الحياة الإنسانية،واثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك.د/ شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، وهي رسالة علمية نال بها درجة الدكتوراة من قسم العقيدة بجامعة أم القرى.

٢-السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية د/ عبد الكريم زيدان.

٣-السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم، أصول وضوابط د/

مجدي محمد عاشور، وهي رسالة علمية نال بها الباحث درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة عين شمس.

**ثانياً: دراسات تناولت سنة من السنن الإلهية، ومنها:**

١-الصراع بين الحق والباطل كما جاء في سورة الأعراف. لعادل محمد صالح، وهي رسالة علمية قدمت في جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، نوقشت عام ١٤٠٩هـ، نال بها الباحث درجة الماجستير. تتبع فيها صور الصراع بين الأنبياء وأقوامهم كما جاءت في سورة الأعراف، فبدأ بصراع آدم عليه السلام مع إبليس، وانتهى بصراع نبينا ﷺ مع قومه، ثم عرج على نظرة الفلاسفة في العصر الحاضر للصراع.

٢-الابتلاء في القرآن الكريم. د/ محمد عبد العزيز الحمادي الرحالي، وهي رسالة علمية قدمت في جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، نوقشت عام ١٤٠٩هـ، نال بها الباحث درجة الدكتوراة، وقد تعرض فيها للابتلاء بمفهومه الشامل، فشملت أنواع الابتلاء المختلفة، بالنعم والنقم، بالمال والولد، بالأمراض والمصائب وغيرها.

٣-سنة التغيير في ضوء القرآن الكريم. وهو موضوع قدم في قسم الكتاب والسنة في جامعة أم القرى لنيل درجة الماجستير. سيتعرض الباحث فيها كما هو واضح من خطته إلى كيفية الانتقال بالأفراد والمجتمعات من حال إلى آخر، من الضلال إلى الهدى، ومن الفقر إلى الغنى وهكذا، ولا يخفى الفرق الكبير بين هذه السنة وبين سنة التدافع.



## ۞ طريقة البحث ومنهجه:

لأهمية البحث في علم السنن الإلهية، وسنة التدافع على وجه الخصوص، ولما توصلت إليه بعد البحث من عدم وجود أبحاث مستقلة تتناول جوانب هذه السنة فيما أعلم، فقد رأيت أن يكون موضوع رسالتي للماجستير:

[ سنة التدافع في ضوء القرآن الكريم ]

بحيث أتتبع جوانب هذه السنة في القرآن الكريم على طريقة التفسير الموضوعي والتي تتلخص في التالي:

١-جمع الآيات التي ذكرت التدافع أو ألمحت إليه في القرآن الكريم.

٢-تصنيف وترتيب الآيات تصنيفاً موضوعياً حسب أبواب وفصول الخطة المقترحة.

٣-الاعتماد على السنة النبوية ، معتمداً الصحيحين أولاً، ثم كتب الحديث المعتمدة الأخرى.

٤-دراسة الآيات بالرجوع إلى كتب التفسير المعتمدة، بعد جمعها واستقراءها ثم تحليلها والاستنباط منها، في ضوء ما ذكر أئمة التفسير فيها؛ لذا كان غالب اعتمادي على المنهج الاستقرائي.





## ۞ صعوبات البحث:

أما الصعوبات التي واجهتني فمن أبرزها: أني لم أجد كتابات منهجية كتبت في هذا الموضوع، مما اضطرني لجمع شتاته المتفرق، والاجتهاد في هيكلته، مع أهمية الموضوع واتساع أفقه، ولا أدعى أني أحطت به وكشفت مكنوناته،وبينت كل ما يجب أن يبين، ولكن حسبي أني بذلت قصارى جهدي وطاقتي في هذا الموضوع، لعل ما بذلت فيه يكون بداية لجهد مبارك لآخرين يكملون نقصه

ويتمون بنيانه.



## ۞ خطة البحث:

**وقد كانت خطتي في بحثي هذا أن قسمته إلى مقدمة وبابين وخاتمة.**

**أما المقدمة**: فقد تكلمت فيها عن أهمية موضوع السنن الإلهية عامة، وسنة التدافع على وجه الخصوص، ثم تكلمت عن الأسباب التي دفعتني لاختياره والكتابة فيه، ثم ذكرت الدراسات السابقة، ثم ختمت بالحديث عن منهجي فيه والصعوبات التي واجهتها في دراسته وخطة الرسالة.

**وأما الباب الأول**: فعنوانه: السنن الإلهية مفهومها، وأهميتها، وخصائصها، ثم أنواعها ومجالاتها، في ثلاثة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول: واشتمل على تعريف السنة عند علماء اللغة ثم عند علماء التفسير، ثم تعريف السنن الإلهية والتعريف المختار في ذلك، وأهمية دراسة السنن الإلهية.

الفصل الثاني: ذكرت فيه خصائص السنن الإلهية واشتمل على الخصائص التالية: الربانية، الثبات والدوام، الاضطراد والاستمرار، العموم والشمول، الحكمة والعدل، التوازن والتناسق.

الفصل الثالث: قسمت فيه السنن الإلهية إلى عامة وخاصة، وذكرت الحد الذي يميز كل نوع عن الآخر، ومثلت لكل نوع بما يوضحه من السنن.

**وأما الباب الثاني**: فضمنته صلب الرسالة، سنة التدافع، وقد تحدثت فيه عن هذه السنة من خلال خمسة فصول:

الفصل الأول: التدافع لغة واصطلاحاً، وقد تناول تعريف لفظ التدافع عند علماء اللغة، ثم ما توصلت إليه من التعريف الاصطلاحي لقانون التدافع، ثم مرادفات التدافع في القرآن ومقابلاته، بعد إيضاح ما أقصده بذلك.

الفصل الثاني: مظاهر التدافع، بينت فيه بعض مظاهر التدافع ومجالاته التي لا تكاد تخفى على متأمل، من تدافع الإيمان والكفر، وتدافع الخير والشر، وتدافع السراء والضراء، وتدافع الليل والنهار.

الفصل الثالث: واشتمل على أس الموضوع وبيت القصيد فيه، وهو حديث القرآن عن هذه السنة، فابتدأته باستعراض صور التدافع في القرآن بعد جمع الآيات فيها ودراستها، واشتمل على ثمان صور غير ما سبق في مظاهر التدافع، ثم درست أسلوب القرآن في عرض تلك الصور للتدافع، ثم خصائص الأسلوب،والدروس المستفادة من ذلك.

الفصل الرابع: موقف الناس من سنة التدافع، قصرت الحديث فيه على موقفهم من صورة من صوره، وهي صورة التدافع بين الحق والباطل، وذكرت الأسباب التي حملتني على ذلك، بدأت بالمؤمنين،واكتفيت في بيان موقفهم بذكر حقائق القرآن والسنة في ذلك، لأن سمتهم الوقوف عند النص وعدم تجاوزه، ثم الكافرين وأضفت إلى بيان حقائق القرآن الكريم في بيان موقفهم، السبب الذي يحملهم على دوام التدافع مع أهل الإيمان، ثم استعرضت حلقات من التاريخ القديم والحديث تؤكد ثبات موقفهم على التدافع مع أهل الحق، لأدلل على تطابق الواقع مع حقائق النصوص وفهم السلف لها، ثم ذكرت موقف المنافقين ثم الغافلين.

الفصل الخامس: وجردته لبيان حكم وآثار التدافع، سواء ما ذكره العلماء في ثنايا كتبهم، أو ما فتح الله به عليّ في ذلك، على مستوى الأفراد أولاً، ثم على مستوى الأمة، ثم الكون.

**وأما الخاتمة:** فقد ضمنتها أهم نتائج البحث، وبعض الاقتراحات والتوصيات.

ولقد حرصت بقدر الإمكان على العناية بصحة الدليل، وعلى توثيق النصوص والاعتماد على المصادر الأصلية، كما حرصت على تخريج الأحاديث، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذكر موطنه فيهما،

وإن لم يكن في الصحيحين اجتهدت في عزوه إلى مصادره المختلفة من كتب السنة الأخرى، ثم ذكرت من حكم الأئمة عليه ما تيسر، مما يقوي القول به والاعتماد عليه، وقد ترجمت للأعلام غير المشهورين، ثم ختمت بوضع فهارس شاملة.

وأخيراً .. أشكر الله تعالى شكراً لا ينقطع، وأحمده سبحانه حمد من تيقن أنه لا نعمة دقت أو جلت إلا منه وحده وبفضله. ثم اشكر جامعة أم القرى ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، التي فتحت لي الباب لألج إلى عالم الدارسين لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، كما أشكر قسم الكتاب والسنة ممثلاً في رئيسه وأعضائه الكرام، الذين يحيطون أبناءهم الطلاب بالرعاية والعناية وحسن التوجيه فجزاهم الله عني خيرًا.

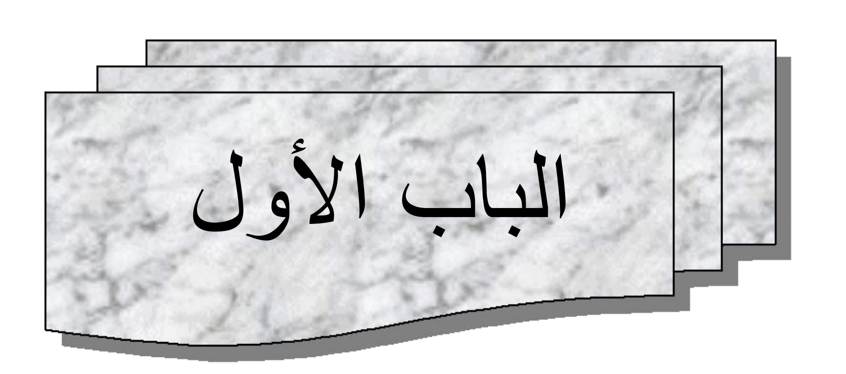
ثم أتقدم بأوفى الشكر وأجزله، وأخلص العرفان وأوفره، لأستاذي وشيخي الفاضل، فضيلة الشيخ الدكتور/ سليمان الصادق البيرة حفظه الله، الذي تعلمت من خلقه وخبرته قبل أن أنهل من علمه ومعرفته، فهو لم يدخر وسعاً في إفادتي والصبر علي، مع كثرت مشاغله، بل لا أبالغ إن قلت: لولاه لما وصل هذا البحث إلى ما وصل إليه، فقد رعاه منذ كان فكرة صغيرة إلى أن تم والحمد لله، تعاهده تعاهد الوالد الناصح لولده القاصر بالتوجيه والتوضيح والتصحيح. ولا أجد ما أجزيه ببعضه فضلاً عن أن أوفيه به، إلا الدعاء له بأن يطيل الله في عمره، ويبارك فيه وفي نسله، وينفع بعلمه وجهده، ويرفع درجته في المهديين.

وأثنى بالشكر الجزيل والعرفان العظيم لشيخي الفاضلين فضيلة الأستاذ/ أمين محمد باشا حفظه الله، وفضيلة الشيخ الدكتور/ صالح الفريح حفظه الله على تفضلهما بمناقشة رسالتي هذه، فجزاهما الله عني خير ما جزى شيخاً عن تلميذه.

كما لا يفوتني أن أشكر أساتذتي الفضلاء على ما قدموا لي من تعليم ونصح وتوجيه،وإلى كل من مد يد العون والمساعدة بتقديم كتاب أو رأي

ومشورة،والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.






# السنن الإلهية

وفيه ثلاثة فصول :

- الفصل الأول: **مفهومها وأهميتها.**
- الفصل الثاني: **خصائص السنن الإلهية.**
- الفصل الثالث: **أنواع السنن الإلهية ومجالاتها.**



# الفصل الأول

## مفهومها وأهميتها

وفيـــه مبحثـــــان :

- المبحث الأول: المراد بالسنن الإلهية.
- المبحث الثاني: أهمية دراسة السنن.

* * * * * *

## المبحث الأول: المراد بالسنن الإلهية

**(السُّنن)** بضم السين وتشديدها وفتح النون، جمع سُنَّه، وهي في اللغة: الوجه،

قال ابن منظور ~: ( وسنة الوجه: صورته... وفي الحديث[1] أنه ﷺ حض على الصدقة فقام رجل قبيح السنة: أ ي الصورة.

وسنة الله: أَحكام أمره ونهيه. وسنها الله للناس: بينها. وسن الله سنة: أي بين طريقاً قويماً.

والأصل في السنة: الطريقة والسيرة. والسنة: الطريقة المحمودة المستقيمة، مأخوذ من السنن، وهو الطريق.

وسَنَنُ الطريق، وسُنَنُه، وسِنَنُه، وسُنُنُه: نهجه )[2].

وقال الجرجاني: ( السُّنَة في اللغة: الطريقة، مرضية كانت أو غير مرضية، والعادة )[3].

وقال الفيروز أبادي في معنى السنة: ( والأصل فيها: الطريقة والسيرة، ومنه قول النبي ﷺ : (( من سن سنة حسنة )) [4] أي طرق طريقة حسنة، وسنة النبي ﷺ : طريقته التي كان يتحراها )[5].

وقال أبو البقاء[6]~: ( السُّنة، بالضم والتشديد: الطريقة، ولو غير مرضية.

(١) لم أجده بهذا اللفظ فيما وقفت عليه من كتب الحديث، وقد ذكره الزمخشري في كتابه الفائق في غريب الحديث (٢٠١/٢) حرف السين، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٥٢/٤)، والزبيدي في تاج العروس (٢٣٠/٣٥) .

(٢) لسان العرب، ابن منظور (٢٧٩/٧) بتصرف.

(٣) التعريفات، الجرجاني (١٦١).

(٤) مسلم من حديث جرير بن عبد الله ﷺ. كتاب: الزكاة، باب: الحض على الصدقة (١٠١٧) .

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز أبادي(٢٦٧/٣).

(٦) أيوب بن موسى الحسيني القويمي الكفوي، كان من قضاة الأحناف، توفي سنة ١٠٩٤هـ. انظر: =

والسنة: الطريقة المسلوكة المتبعة..) [1].

فتحصل مما سبق أن للسنة في اللغة معاني منها: الوجه ، الصورة، الطريقة والسيرة، النهج.

والسنة من الألفاظ العربية التي تكرر استعمالها في النصوص الشرعية، وتناولها العلماء بالإيضاح كلٌ من زاوية اهتمامه وتخصصه.

قال الطوفي[2] ~ في باب اللغات، عند حديثه عن الألفاظ ودلالاتها في الاصطلاح، بعد أن قسمها إلى شرعية وغير شرعية: ( وغير الشرعية: هي كل لفظ في علم أو صناعة أشتهر عند أهله استعماله في مدلوله عندهم. فيتناول ذلك اصطلاح الفلاسفة، والمتكلمين، والفقهاء، والجدليين، والنحاة، والأطباء، وغيرهم من العلماء، واصطلاح النجارين، والحدادين، والصاغة، والملاحين، وغيرهم من الصناع على حقائقهم المتداولة بينهم ) [3] .

ويقول د/مجدي عاشور: ( الأصل في فهم المعاني هو الرجوع إلى اللغة، ولكنها قد تخرج بالاستعمال عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر.

وبمجيء الإسلام، وازدهار العلوم الإسلامية التي قامت حول القرآن، نظر العلماء إلى لفظ (سُنَّة) كمصطلح؛ من خلال اختصاصهم واهتمامهم، فجاء تنوع معناها وفقاً للعلم الذي تندرج تحته من العلوم الشرعية.



= الأعلام. الزركلي (٢/٣٨) .

(١) الكليات، أبو البقاء الكفوي (٤٩٧).

(٢) أبو الربيع سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري البغدادي الحنبلي، ولد سنة بضع وسبعين وستمائة، وتوفي سنة ٧١٦هـ، انظر: الوافي بالوفيات، الصفدي (١٩/٢٤٣)، طبقات المفسرين، الداودي (١/٢٤٦) .

(٣) شرح مختصر الروضة، الطوفي (١/٤٨٩).

فهي في اصطلاح المحدثين غيرها عند علماء الفقه وعلماء التفسير ) [1].

ويقول د/ شريف الخطيب: ( لا ريب أن بين المصطلحات الشرعية، ، وأصولها اللغوية، وشائج قوية، قد تتطابق أحياناً في كل شيء، وقد يزيد الإطلاق الشرعي إضافات جديدة يتطلبها عرفه.

ومع تنوع الفنون الشرعية، وتعدد المدارس العلمية، تختلف وجهات نظر كل مدرسة عن غيرها في بعض التعريفات والاطلاقات، كما يختلف أصحاب كل فن عن غيرهم من أصحاب الفنون الأخرى، لأن كلاً منهم ينظر في إطلاقه، أو تعريفه إلى المادة التي تندرج تحت هذا التعريف ) [2].

والذي يعينا في بحثنا هذا هو معناها عند علماء التفسير.

وردت كلمة (سُّنَة) في القرآن الكريم، ست عشرة مرة، في عشر آيات ، ضمن عشر سور من سور القرآن، وقد جاءت بصيغة المفرد (سُّنَة) وصيغة الجمع (سُنَن) [3].

فقد جاءت بصيغة الجمع (سُنَن) في موضعين، مرة مطلقة غير مضافة في قوله تعالى: ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ ﴾ [آل عمران:١٣٧]، ومرة مضافة في قوله تعالى:﴿ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ [النساء:٢٦]..

أما صيغة المفرد (سُنَّه) فقد جاءت في باقي المواضع مضافة.

إما مضافة إلى لفظ الجلالة، كقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٨].

وإما مضافة إلى ضمير الجلالة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلاً ﴿٧٧﴾ ﴾

---

(١) مدخل إلى دراسة السنن الإلهية، د/ مجدي عاشور (١٥)، وانظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى السباعي (٤٨).

(٢) السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، د/ شريف الخطيب (٢١/١).

(٣) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي (٤٥١).

[الإسراء:٧٧].

وإما مضافة إلى الرسل في قوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾

[الإسراء:٧٧].

وإما مضافة إلى الأولين كقوله تعالى:﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾

[فاطر:٤٣].

وبتأمل ما مضى: نجد أن ما أضيف منها إلى الله تعالى؛ فهو من باب إضافة الشيء إلى فاعله ومدبره، وفق حكمته وإرادته.

أما ما أضيف منها إلى غيره سبحانه؛ فبتأمل السابق واللاحق، واستعراض كلام المفسرين، يتضح جلياً أنها راجعة أيضاً إليه سبحانه وإن أضيفت إلى غيره.

ففي قوله تعالى: ﴿ سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [فاطر:٤٣] ﴿ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾ [الإسراء:٧٧] ختمت الآيتان صراحة بما يدل على نسبة السنة إليه ﷻ في قوله: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلاً ﴾ في الأولى، وقوله ﴿ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلاً ﴾ في الثانية.

وفي قوله تعالى: ﴿ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ نجد أن السنن أضيفت إلى غيره سبحانه، ولكنا نعرف بأدنى تأمل أن الذي سنّ لمن قبلنا؛ هو الذي سنّ لنا، وهو الله سبحانه. وهذا الذي يدل عليه كلام المفسرين.

قال الزمخشري: ( يريد الله أن يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم، وأفاضل أعمالكم، وأن يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين، والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم ) [(١)].

وقال الألوسي ~: ( أي مناهج من تقدمكم من الأنبياء والصالحين؛ لتقفوا أثرهم، وتتبعوا سيرهم ) [(٢)].

(١) الكشاف، الزمخشري (٢٣٢).

(٢) روح المعاني، الألوسي (٣/٢٠).

ولعل إضافتها إلى غيره سبحانه، إنما يكون من قبيل إضافة الشيء إلى محل وقوعه، أو لتوجيه النظر إلى من وقعت عليهم تلك السنة، ليكون ذلك أدعى للاعتبار والاتعاظ[1].

أما معنى (السُّنَة) مجال بحثنا، فقد اعتنى العلماء ببيان معناها، سواء من ألف في بيان معاني مفردات ألفاظ القرآن الكريم كالراغب الأصفهاني وغيره، أو ألف في تفسير القرآن كالطبري وغيره.

قال الراغب: ( السُّنَن: جمع سنة، وسنة الوجه: طريقته. وسنة النبي: طريقته التي كان يتحراها. وسنة الله تعالى: قد تقال لطريقة حكمه، وطريقة طاعته، نحو: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفتح: ٢٣].

﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴾ [فاطر:٤٣] فتنبيه أن فروع الشرائع وإن اختلفت صورها فالغرض المقصود منها لا يختلف ولا يتبدل )[2].

وقال أبو البقاء: (﴿ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [الكهف:٥٥] أي: معاينة العذاب.

﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ ﴾ [آل عمران:١٣٧] أي: مضت لكل أمة سنة ومنهاج، وقيل: أمم)[3].

أما أهل التفسير فقال ابن جرير ~ في تفسير آية آل عمران [١٣٧]: ( السُّنَة: مثلات سير بها فيهم، وفيمن كذبوا به من أنبيائهم الذين أرسلوا إليهم، بإمهالي أهل التكذيب بهم، واستدراجي إياهم، حتى بلغ الكتاب فيهم أجله، لإدالة أنبيائهم وأهل الإيمان بهم عليهم، ثم أحللت بهم عقوبتي، ونزلت بساحتهم نقمتي، فتركتهم لمن بعدهم أمثالاً وعبراً )[4].

---

(١) انظر: مفهوم سنن الله الاجتماعية في القرآن، د/ محمد صديق أبو الحسن (٥٥).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (٤٢٩).

(٣) الكليات (٤٩٨).

(٤) تفسير الطبري (٣/٤٤٣).

وقال الزمخشري في تفسير: ﴿ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال:٣٨]: ( فقد مضت سنة الذين تحزبوا على أنبيائهم من الأمم فدمروا، فليتقوا مثل ذلك أن لم ينتهوا ) [(١)].

وقال ابن تيمية ~: ( السنة: العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول، ولهذا أمر الله بالاعتبار فقال: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ﴾ [يوسف:١١١].

والاعتبار أن يقرن الشيء بمثله فيعلم أن حكمه مثل حكمه... أفاد أن من عمل مثل أعمالهم، جوزي مثل جزاءهم، ليحذر أن يعمل مثل أعمال الكفار، وليرغب في أن يعمل مثل أعمال المؤمنين اتباع الأنبياء ) [(٢)].

وقال ابن قيم الجوزية ~ في تفسير ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ ﴾ [آل عمران:١٣٧]: ( قد كان من قبلكم أمم أمثالكم، فانظروا إلى عواقبهم السيئة، واعلموا أن سبب ذلك ما كان من تكذيبهم بآيات الله ورسله، وهم الأصل وأنتم الفرع، والعلة الجامعة التكذيب، والحكم الهلاك ) [(٣)].

وقال الطاهر بن عاشور ~: ( وفسروا السنن هنا ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾ بسنن الله في الأمم الماضية، والمعنى: قد مضت من قبلكم أحوال الأمم، جارية على طريقة واحدة، هي عادة الله في الخلق )[(٤)]

وقال سيد قطب ~: ( السنن هي القوانين الكونية التي أودعها الله هذا الكون ليسير على وفقها، ويتحرك بموجبها، ويعمل بمقتضاها ) [(٥)].

(١) الكشاف (٤١٣).

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٠/١٣).

(٣) إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية (١٨١/١).

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (٩٧/٤).

(٥) في ظلال القرآن، سيد قطب (٢٧٢/١).

من خلال ما سبق إيراده يتضح ما يلي:

١- أن معنى السنة الواردة في الآيات القرآنية عند الأئمة يدور حول حث اللاحق من الأمم إلى الاعتبار بالسابق، وإن اختلفت عباراتهم.

٢- أن تفسيراتهم جاءت حسب سياق الآيات، ومدلول السنة فيها، لذا انصب كلامهم في بيان معنى السنة على ما يتعلق منها بالأمم والأفراد، إذا استثنينا ما عرفها به سيد قطب ~. وهذا لاشك مجال من مجالات السنن الإلهية، لكن هناك مجال آخر للسنن الإلهية، وهو ما يتعلق منها بالجانب الكوني. فهي إنما ركزت على آثارها الإنسانية لأن الإنسان هو قطب الوجود الدنيوي الأكبر، وهو المخاطب بالقرآن، المأمور بالانتفاع بالسنن، لأداء دوره المناط به في الاستخلاف والقيام بعمارة الأرض[1].

وقد عني بعض العلماء في العصور المتأخرة بالبحث في السنن الإلهية، وتوجيه الأنظار إليها، والدعوة إلى تأملها والاستفادة منها،ولعل السبب في هذا التوجه -والله أعلم- هو ما أصاب الأمة من نكسة، بعد سقوط الخلافة، وتمزق ديار المسلمين، واستعمارها، وحلول النكبات بها[2]. رغبة منهم في تجلية أسباب ذلك، وحرصاً منهم على الرجوع بها إلى سالف مجدها وفخارها، مع توجه الدراسات المعاصرة إلى مجال التخصص في العلوم، والبحث الدقيق في المسائل العلمية .

ولقد تعرض من تناول ذلك بالبحث والتصنيف، إلى وضع تعريف للسنن الإلهية، فجاءت تعريفاتهم مختلفة على حسب مقصود كل منهم في بحثه وتصنيفه.

فبالرجوع إلى ما عرفها به د/ صديق أبو الحسن في بحثه في السنن الاجتماعية، نجده يقول: ( هي وقائع الله، التي جرت عادته بإنزالها بعباده على

(١) انظر: السنن الإلهية، د/ شريف الخطيب (٢٦/١) ، وسنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، د/محمد هيشور (٢٧).

(٢) انظر: السنن الإلهية، د/ شريف الخطيب (٢٧/١).

أعمالهم الاختيارية التي استمرأوها ولم يتحولوا عنها، ثواباً لمن وافقوا منهج الله، أو عقاباً لمن كفروا، أوشاقوا الله وعادته، أو ابتلاء للمؤمنين، أو إملاء، أو استدراجاً للطغاة، وكذا ما وضع الله لعباده من شرائع ) [١].

في حين عرفها د/ عبد الكريم زيدان بأنها: ( الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر، بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه، وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة ) [٢].

وقد جاءت تعريفاتهم مناسبة لموضوع بحثهم، إذ كان بحث كل منهم متناولاً للسنن الاجتماعية .

بينما نجد غيرهم عرفها بمفهومها الشامل لنوعي السنن الكونية والاجتماعية، فجاءت تعريفاتهم متوافقة في مضمونها، مختلفة في إيجازها وبسطها. ولعل من أحسنها اختصاراً وإيضاحاً، ما عرفها به د/ مجدي عاشور حيث قال:

( سنة الله: هي عادة الله، وطريقته وقانونه، الحاكم لحركة الكون والحياة والأحياء، ومعاملة الله المكلفين منهم بناء على أفعالهم وسلوكهم ومواقفهم من شرع الله، واثر ذلك في الدنيا والآخرة )[٣].



(١) مفهوم سنن الله الاجتماعية في القرآن، د/ صديق أبو الحسن (٥٦).

(٢) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، د/ عبد الكريم زيدان (١٣).

(٣) مدخل إلى دراسة السنن الإلهية في القرآن الكريم، د/ مجدي عاشور (٢٠).

راجع للتوسع: *سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، د/ محمد هيشور (٢٧).

*السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، د/ شريف الخطيب (٢٧/١).

*السنن الإلهية في الميدان الاقتصادي، د/ يوسف إبراهيم (١١).

## المبحث الثاني: أهمية دراسة السنن

إن من رحمة الله تعالى بعباده وإكرامه لهذه الأمة، التي هي خير الأمم وآخرها، أن جعل معجزة نبيها ﷺ باقية خالدة، لا تنتهي بانقضاء زمانها وزمانهم، كما كانت معجزات الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام.

وهي كتاب الله المفتوح لكل ذي عين، المشتمل على كل ما فيه صلاحها ونجاحها، من حكم وأحكام، وقصص وأخبار، معجزة باقية ما بقي الليل والنهار، إلى أن يأتي وعد الله.

وحفظها من أن تطالها أيدي العابثين المحرفين، كما طالت الكتب السماوية السابقة قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر:٩].

وقال تعالى في بيان تحريف من سبق: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٧٩].

وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة:١٣].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة:٤١].

وكان من جملة ما اشتمل عليه هذا الكتاب العزيز، الحض والإرشاد إلى تدبر وتأمل آيات الله الكونية المبثوثة في صفحات الكون، وآياته الشرعية المودعة كتابه المصون، قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج:٤٦].

وقال في تدبر كلامه: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩].

وضمن سبحانه لمن تأمل ذلك تأمل المسترشد المهتدي المدكر أن يصل إلى

مراد الله من ذلك، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ [القمر:١٧]. ليصل إلى سنن الله الثابتة وقوانينه المطردة، التي أودعها سبحانه هذا الكون ليسير على وفقها، ويتحرك بموجبها، ويعمل بمقتضاها، لتكون هادياً له ومرشداً، فيتناسق نظامه في تصوره وشعوره، وفي واقعه وارتباطه، وفي عمله ونشاطه، مع تلك السنن، ليؤدي وظيفة الخلافة في الأرض(١) كما وهبها الله له.

وحين يتناسق ويتفاهم مع تلك النواميس التي تحكمه، وتحكم سائر الأحياء، يملك معرفة أسرارها، والانتفاع بها على وجه يحقق له السعادة والراحة والطمأنينة(٢).

ولقد اعتنى القرآن الكريم بالسنن الإلهية عناية كبيرة شملت آيات كثيرة، بأساليب مختلفة في كثير من سوره، إما بالتصريح بذكرها، أو شرح عواملها ونتائجها، أو ضرب الأمثلة من حياة الأمم الماضية، التي تكشف مدى تمسك أولئك بالسنن أو انحرافهم عنها، وما آل إليه أمرهم من عواقب حسنة أو سيئة نتيجة لذلك(٣).

إذاً فالبحث في السنن الإلهية ودراستها، يعد جزءًا من الدراسات الإسلامية التي تعنى بإظهار مكنونات القرآن وكشف أسراره وما جاء في السنة النبوية متصلاً بذلك، وقد أرشد العلماء قديماً وحديثاً إلى هذا العلم، فأشار الشيخ أبو حامد الغزالي ~ المتوفى سنة خمس وخمسمائة للهجرة، إلى هذا العلم فقال في الإحياء: ( وأما القسم المحمود -من العلوم- إلى أقصى غايات الإستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته، وأفعاله، وسننه في خلقه، وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا،

(١) المقصود بالخلافة: أنه يخلف من قبله، ويخلفه من بعده، ساعياً في عمارة الأرض سائرا وفق منهج الله، كما قال تعالى:﴿ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ ﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام:١٦٥].

(٢) انظر: في ظلال القرآن (٤١٥/١).

(٣) انظر: السنن الإلهية، د/ شريف الخطيب (٦/١).

فإن هذا علم مطلوب لذاته، وللتوصل به إلى سعادة الآخرة، وبذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد )[١].

وقال محمد عبده ~: ( إن إرشاد الله إيانا إلى أن له في خلقه سننا، يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علماً من العلوم، لنستديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه ) [٢].

وقال د/علي جمعة: ( إن معرفة السنن جزء من معرفة الدين، وهذه المعرفة ضرورية، وتعد من الواجبات الدينية لأنها تبصرنا بكيفية السلوك الصحيح في الحياة )[٣].

وقال د/عبد الكريم زيدان: ( إن دراستها وفهمها من الأمور المهمة جداً، والواجبة ديانة، لأن معرفتها معرفة لبعض الدين، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ )[٤]، ثم نقل كلام الألوسي في قوله تعالى:﴿ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ أنه ما يتعلق بأمور الدين ومن جملته أحوال الأمم مع أنبيائها[٥].

ثم إن دراسة السنن الإلهية وإبرازها في العصر الحاضر يعد من الأمور المهمة، والمتطلبات اللازمة، نظراً لما تعانيه الأمة من نكسة في مجالات شتى من مجالاتها الحياتية، نتيجة للحملات المتتالية التي يشنها عليها أعداؤها من الصهيونية والصليبية، الذين تلاقت مصالحهم الاستعمارية، وتوحدت جهودهم الاستبدادية، في مقابل أمة الإسلام؛ لسلخها من دينها بتمزيق وحدتها، وتغريب

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي (٥٤/١) .

(٢) تفسير المنار، رشيد رضا (١٣٩/٤).

(٣) تقديم بحث سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها (٩).

(٤) السنن الإلهية، د/ عبد الكريم زيدان (١٦).

(٥) انظر: روح المعاني، الألوسي (٦٦٠/٧).

شعوبها، وفصلها عن تاريخها، بالغزو الفكري للشرق الإسلامي، بل وحتى الغزو العسكري.

فبدراسة السنن الإلهية وإبرازها، يمكن تحديد الداء الذي أصاب الأمة ما أصابها بسببه، ووصف الدواء الإلهي الذي يزيل عللها، ويعيد لها صحتها، ولا شك أن (في إدراكنا للسنن الربانية فوائد عظيمة، حتى لو لم نقدر على تفادي حدوثها والنجاة منها، حيث يعطينا هذا الإدراك والمعرفة صلابة في المواقف، بخلاف من يجهل مصدر الأحداث، فإن الذي يعلم تكون لديه بصيرة وطمأنينة، أما الذي يجهل فليس لديه إلا الحيرة والخوف والقلق)(١).

بل إن العلم بالسنن الإلهية، وثباتها وإطرادها يدفع المسلم للعمل والإنتاج، ويزيل من نفسه الهزيمة التي ربما أقعدته عن الحركة الإيجابية في كثير من جوانب حياته.

فهي توضح له أن من سار وفق سنن الله، فإنه يلقى في حياته الهداية والسعادة والنصر والتمكين.

والقرآن الكريم إذ يرد المسلمين إلى سنن الله في الأرض، فهم ليسوا بدعاً في الحياة، فالنواميس التي تحكم الحياة جارية لا تتخلف، والأمور لا تمضي جزافاً، إنما تتبع هذه النواميس ، فإذا درسوها، وأدركوا مغازيها، تكشفت لهم الحكمة من وراء الأحداث، واطمأنوا إلى ثبات ذلك النظام، واستشرفوا المستقبل على ضوء ما كان في الماضي، ولم يعتمدوا على مجرد كونهم مسلمين، لينالوا النصر والتمكين، بدون الأخذ بأسباب النصر(٢).

كما أن فقه السنن الإلهية يصحح عقيدة المسلم في جانب القدر، ويقوي إيمانه بأن هذا الكون يسير بنظام دقيق محكم، وفق نواميس ثابتة لا مجال فيه لمصادفة،

---

(١) منهج كتابة التاريخ الإسلامي، د/ محمد صامل السلمي (٥٤).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (٤٧٢/١).

بل كله من تدبير حكيم حميد، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩].

ولقد حفلت سنة النبي ﷺ بالقدر الكبير من الإرشاد للسنن الإلهية قولاً وفعلاً، فمن ذلك على سبيل المثال: أن النبي ﷺ حين يرشد أصحابه لسنة الابتلاء، ويشحذ هممهم للصبر والثبات، ويعدهم بالنصر والتمكين، يتمثل ذلك في سلوكه ﷺ .

روى سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أشد بلاء؟ قال: (الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلباً، اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة، ابتلى على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة)(١).

فالنبي ﷺ يربط بين الإيمان والبلاء، بل يجعل عظم الإيمان مع عظم البلاء، سنة من سنن الله في الأنبياء وأتباعهم.

وفي البخاري عن خباب بن الأرت ﷺ قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة. قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعوا الله لنا؟ قال: (كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالميشار فيوضع على رأسه ، فيشق باثنين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله أوالذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون )(٢).

فأخبر ﷺ أن ذلك سنته سبحانه فيمن كان قبلنا، وأنه سيحصل لنا ثم يكون النصر والتمكين.

---

(١) أحمد واللفظ له في مسند سعد بن أبي وقاص ﷺ (١٦٠٧) و(١٤٨١)(١٤٩٤)(١٥٥٥). والترمذي. كتاب: الزهد. باب: ما جاء في الصبر على البلاء، وقال: حسن صحيح (٢٣٩٨). ابن ماجه. كتاب: الفتن. باب: الصبر على البلاء (٤٠٢٣). وصححه ابن حبان (٢٨٩٠)، والحاكم (١٢٧)، وقال الألباني في صحيح الترمذي: حسن صحيح (١٩٥٦) .

(٢) البخاري. كتاب: المناقب. باب: علامات النبوة (٣٦١٢).

فحين نجده ﷺ يرشد إلى تلك السنن الإلهية ويبينها، يتمثل ذلك في سلوكه. فقد روى البخاري ~ في صحيحه من حديث عائشة < أن النبي ﷺ قال لها: (لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب[1]، فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أضلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم على ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقلت: بل أرجوا الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا) [2].

فهذا رسول الله ﷺ يبتلى بما لم يبتل بشر بمثله قط، فيصبر لعلمه ﷺ أن العاقبة له وفق سنن الله التي لا تتبدل ولا تتخلف.

فكان يرشد أصحابه إلى سنن الله في المؤمنين السابقين، ليحذوا حذوهم ويقتفوا أثرهم، ويحذرهم من تنكب سنن الله، والسير على سنن المكذبين الظالمين، ويبين لهم علل وأمراض الأمم، التي أوجبت لهم الهلاك أو الاضمحلال، وأحلت فيهم المصائب والمحن[3].

هذا غيض من فيض، وإلا فسيرته العطرة ﷺ، كلها من أولها إلى آخرها إنما

(١) قرن الثعالب: قال ابن حجر: هو ميقات أهل نجد، ويقال له: قرن المنازل أيضًا، وهو على يوم وليلة من مكة. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (٣٦٤/٦). قلت: يسمى الآن السيل الكبير.

(٢) البخاري. كتاب: بدء الخلق. باب: إذا قال أحدكم: آمين، والملائكة في السماء: آمين، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه (٣٢٣١). مسلم. كتاب: الجهاد والسير. باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين (١٧٩٥) .

(٣) انظر: السنن الإلهية، د/ شريف الخطيب (٦/١).

كانت ماضية حسب سنن الله، مراعياً فيها ذلك منبهاً عليه.

والأمر كذلك في أصحابه ﷺ من بعده، ثم من بعدهم وهو مما امتازوا به على من بعدهم، لذا حازوا السبق على جميع الأمم في جميع المجالات الحياتية النافعة، وساسوهم بتلك السنن بعد أن أدخلوا النور الذي حملوه إلى أرضهم وديارهم.

ثم لما تنكب من بعدهم الصراط المستقيم، وأهملوا ما ذكروا به، صار حالهم إلى ما يرى الرائي ولا عجب، إذ من المعروف أن الشيء يعود إلى أصل حاله حين يضيع ويفقد ما به تميز وارتقى(١).

فإن ما حازه العرب وحققوه من سيادة للعالم، بعد أن كانوا نسياً منسياً، لا قيمة لهم ولا وزن ولا كيان، كما روي عن قتادة ~ أنه قال: ( كان هذا الحي من العرب أذل الناس، وأشقاهم عيشاً، وأعراهم جلداً، وأبينهم ضلالاً، يؤكلون ولا يأكلون، فمكن الله لهم في البلاد، ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا ) (٢).

كان ذلك بسبب تمسكهم بشريعة ربهم وعهده لهم، وسيرهم وفق سنن الله تعالى التي فهموها وأدركوها من كتاب ربهم، وبما لهم من معرفة بأحوال القبائل العربية والشعوب القريبة منهم، وبرصيد تجاربهم، بذكاء منهم وحذق وقوة استنباط(٣).

فكان من نتائج تنحي المسلمين عن دور الريادة، أن تسنم ذلك المرتقى غيرهم من أمم الكفر في الشرق أو الغرب، ممن علموا شيئاً من تلك السنن فعملوا بمقتضاه، وهو ما يتعلق منها بالجانب المادي، فوصلوا إلى مراحل بعيدة من التقدم

(١) انظر: المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية، عبد الله الشبانة (٨١).

(٢) تفسير الطبري (٢١٩/٦)، (٣٨٤/٣).

(٣) انظر: تفسير المنار (١٣٩/٤).

التقني والصناعي، والسبق العلمي المادي، فقدموا للعالم حضارة علمية لكنها ناقصة، حضارة مادية تقدس العلم لكنها تفصله عن الدين، تقدس العلم وتحطم الروح، لا مجال فيها لمثل ولا لأخلاق، فأدخلوا العالم في دوامة واسعة من التيه، والشرود عن الدين.

ولقد أشار من سبر غور تلك الحضارة الغربية، ودرس مراحلها إلى ذلك، فهذا المفكر الإسلامي سيد قطب ~، يبين أن أوروبا استعارت في نهضتها الأساس العلمي في التفكير، والأساس التجريبي للنمو الحضاري ، من جامعات المشرق والأندلس، وقد كان مبنياً على التصور الإسلامي، وتوجيه الفكر الإنساني إلى التعامل مع النواميس الكونية، لكن الذين تتلمذوا من أولئك في تلك الجامعات الإسلامية ووجهوا بالوحشية والعنف البالغين من الكنيسة، بعد رجوعهم إلى بلادهم، مما أنتج عداء للكنيسة ولدينها لوقوفها في وجه العلم والعلماء. لكن الحركة العلمية مضت في طريقها، غير أنها اتخذت العداء للدين كله شعاراً لها، غير مدركة أن جذور اتجاهها هذا الذي تعلمته من المشرق الإسلامي يقوم على منهج ديني.

وواصلت تلك الحركة العلمية نموها، مع تسرب الفكر المادي الإلحادي إلى الفكر هناك، حتى وصلت في القرون الثلاثة الأخيرة إلى نتائج علمية باهرة، لكن مع انتشار مريع للفساد في الحياة الإنسانية، كل ذلك حصل في وقت كان المجتمع الإسلامي يتخلى فيه عن منهجه الإسلامي الأصيل(١).

يقول د/محمد هيشور: ( وبقيت سنن الله من سار عليها من البشرية في أي جانب من جوانب الحياة فاز وظفر وإن كان كافراً، ومن حاد عنها خسر وإن كان مؤمناً، وعلى هذا يفسر انحطاط المسلمين وتقدم غيرهم في العصور المتأخرة

(١) انظر: مقومات التصور الإسلامي ، سيد قطب (٣٦)، في ظلال القرآن (١٩٤٢/٤)، وواقعنا المعاصر، د/محمد قطب (٥٤٤)، العلمانية، د/سفر الحوالي (٤١٠-٤٤٩) .

)[1].

**بعد عرض ما سبق يمكن إيجاز أهمية دراسة السنن الإلهية في النقاط التالية:**

١- أن دراسة السنن الإلهية يعد جزءاً من الدراسات الإسلامية التي تعنى بإظهار مكنونات القرآن الكريم وإبراز كنوزه، وكذلك السنة النبوية.

٢- أن في دراسة السنن الإلهية إعمالاً للنصوص الشرعية الآمرة بذلك، واقتداء بالنبي الكريم ﷺ وصحابته ﭫ .

٣- أن العناية بجانب السنن الإلهية، دراسة واعية وحسن عرض، يضيء للأمة الإسلامية طريقها، ويرسم لها منهجها للوصول إلى قمة سلم الحضارة، ذلك المرتقى الذي لا يصلح إلا لها، بل لا يملك الوصول إليه إلا هي، لأنها التي تملك التصور الصحيح عن الخالق والكون والحياة والإنسان، ويخلصها كذلك من مشاكلها، ويوجه ويضبط طاقات وجهود مفكريها ودعاة الإصلاح فيها.

٤- أن العناية بدراسة السنن الإلهية، يرسم للأمة طريقها الصحيح، وينبهها على أخطائها حين تتعثر ويصيبها ما تكره.

٥- أن التناول الصحيح للسنن الإلهية، يعطي الميزان الصحيح، الذي توزن به الحضارات المختلفة، ويرشد إلى السبيل الذي ارتقى به أولئك سلم الحضارة.

٦- أن دراسة المسلم للسنن الإلهية، يعمق إيمانه بالله، ويزيد يقينه بأنه مالك كل شيء، ويبرز له شيئاً من حكمة الله سبحانه وعدله، وإبداعه في خلقه.

٧- أن فقه المسلم للسنن الإلهية، يزيد إيمانه بالقدر، ويقوي يقينه بأن كل ما يحدث، يحدث بقدر من الله سبحانه وحكمه.

٨- أن فقه المسلم للسنن الإلهية، وانتفاعه بها، وتناسقه معها، يحقق له

(١) سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها (٣٣).

السعادة والراحة والطمأنينة.

٩- أن فقه المسلم للسنن الإلهية، ووعيه بها، يدفعه للعمل والإنتاج، ويزيل من نفسه ما قد يصيب غيره من هزيمة نفسية، وإحباط يقعده عن تحقيق دوره في عمارة الأرض.

١٠- أن فقه المسلم للسنن الإلهية، ووعيه بها، يعطيه صلابة في مواقفة، وثباتاً في خطاه، وإصرارا على المضي قدماً في سبيل تحقيق دعوته، مع حسن التعامل مع الأحداث والمستجدات.

١١- أن الاهتمام بدراسة السنن الإلهية وفقهها، يزود الدارس بفراسة، تمكنه من استشراف المستقبل استشرافاً صحيحاً، يؤهله لوضع خططه الاستراتيجية المستقبلية بدقة أكبر.



# الفصل الثاني

## خصائص السنن الإلهية

* *　　* *　　* *

## تمهيـــــد:

إن التأمل في الآيات القرآنية الواردة في السنن الإلهية، وما عقبت به، والتمعن في أحاديث النبي ﷺ ودراسة سيرته، وتتبع حلقات التاريخ، يوقف المتأمل على شيء من خصائص السنن الإلهية.

فالقرآن الكريم هو المعجزة الباقية، التي يأخذ منها كل جيل بنصيبيه، والسنة النبوية هي الشارحة للقرآن الموضحة لمعانيه المترجمة لأحكامه، والتاريخ هو الراصد لتلك السنن الإلهية في عالم الواقع، الذي يوقف المتأمل على تلك السنن الممتدة في عمرها، التي عاصر أحداثها أجيالٌ متعاقبة .

وقبل الحديث عن خصائص السنن الإلهية، لا بد من التنبيه على قضية مهمة، قد تزل فيها بعض الفهوم، وهي:

أن كل ما في هذا الكون هو مخلوق لله تعالى خلقه وقدره، لا تحدث فيه حركة ولا سكون إلا بأمره وقدره، وقد جاء القرآن الكريم والسنة النبوية مقررين لهذه الحقيقة مؤكدين عليها في مواضع شتى، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف:٥٤] فالخلق كله لله، وأمره كله بيده لا يخالف ولا يرد[١].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنعام: ١]، فجاءت هذه الآية مذكرة بعظيم الخلق الذي عمَّ السموات والأرض وما فيهن، وذلك أوجز لفظ يستحضر في قلب السامع والقارئ وذهنه عظمة الله وقدرته[٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الفرقان:٢] كل شيء بالعموم،

(١) انظر: تفسير الطبري (٥١٤/٥).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٢٦/٧).

(فشمل العالم العلوي والسفلي، من حيواناته ونباتاته وجماداته وكل ما فيه، أعطى كل مخلوق منها ما يليق به ويناسبه من الخلق، وما تقتضيه حكمته)[1].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر:٤٩] أي: كل شيء (مقدر مكتوب في اللوح قبل وقوعه)[2].

أما الأحاديث النبوية، فمن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كتب الله مقادير الخلائق، قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء)[3].

والسنن الإلهية من جملة ما خلقه الله وقدره، فهو سبحانه الذي قدَّرها بحكمته، فما شاء منها أنفذه، وما لم يشأ لم ينفذه سبحانه وكان كل ذلك بحكمة. فهو الذي خلق كل شيء في هذا الوجود، وأودعه قانونه الثابت الذي يؤدي على أساسه وظيفته التي خلق لها .

وهذه القوانين والنواميس أنشأها الله وسلطها، وهي مطردة في الجملة، لأن الله قدر لها ذلك، فهي تجري كما أرادها سبحانه، وقد يجري غيرها بمشيئته وحكمته، كما يقع في المعجزات الخارقة لما يسمى بالقوانين الكونية.

فالنار على سبيل المثال، أودعها الله خاصية الإحراق، كما أودع سبحانه بعض الأجسام خاصية الاحتراق بالنار، لكن مشيئته سبحانه جرت بقدر غير هذا في حادث إبراهيم عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء:٦٩][4].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ~، أن ما يتعلق بالحوادث الكونية التي

---

(١) تفسير السعدي (٥٧٧).

(٢) روح المعاني (١٤/١٣٢).

(٣) مسلم. كتاب: القدر. باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٢٦٥٣).

(٤) انظر: مقومات التصور الإسلامي (٦٢).

قدرها الله وقضاها، مما يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر، من نظر إليها، أيقن أن الأشياء كلها مخلوقة لله، مدبرة بمشيئته ، مقهورة بحكمه، فما شاء الله كان وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن وإن شاء الناس، لا معقب لحكمه ولا راد لأمره، ورأى أنه سبحانه رب كل شيء ومليكه، له الخلق والأمر، وكل ما سواه مربوباً له مدبر مقهور[1].

وذكر ابن قيم ~، أن مشيئة الله سبحانه موجبة لكل موجود، كما أن عدم مشيئته موجب لعدم وجود الشيء، فهما الموجبتان ، ما شاء الله وجب وجوده، وما لم يشأ وجب عدمه وامتناعه ،وهذا يعم كل مقدور من الأعيان والأفعال والحركات والسكنات، فسبحانه أن يكون في مملكته مالا يشاء أو أن يشأ شيئاً فلا يكون [2].

فالسنن لا تجري جرياناً آلياً حتمياً مسلوب الإرادة، بل بقضاء الله وقدره، وإذا أراد سبحانه إبطال شيء منها فإنه لا ينفذه، وهذا يخالف مبدأ الحتمية ويفند زعم ما ذهب إليه المؤمنون بها[3].

وبالإضافة إلى ما سبق بيانه فإنه يمكن القول أنه بالتأمل في الآيات القرآنية التي ورد ذكر السنن فيها صريحاً، أو بالإشارة، وتأمل الأحاديث النبوية، نخلص إلى خصائص السنن الإلهية وفهمها، فمن تلك الآيات التي صرحت بذكر السنن:

قوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴾ [الإسراء:٧٧].

وقوله: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب:٦٢].

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٥٨/٨).

(٢) انظر: شفاء العليل، ابن قيم (١٤٤/١).

(٣) انظر: مدخل إلى دراسة السنن الإلهية (٨٤) . في ظلال القرآن (١١٢٠/٢)، مقومات التصور الإسلامي (٣٢).

وقوله: ﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلاًۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلاً ﴾ [فاطر:٤٣].

فالمقطع الذي نص على الخصيصة فيه، صدر بحرف العطف الواو الذي يفيد مطلق الجمع في الأولى والثانية، والفاء الذي يفيد التعقيب على ما مضى في الثالثة، ثم جيء بحرفي النفي (لا، لن)، ثم جيء بكلمة (تجد)، التي تفيد الاستقصاء والمبالغة في الانتفاء؛ ليتحصل أن من يستقصي تاريخ البشرية، ويطلع على حاضرها، لن يجد سنة من سنن الله تحولت عمن استحقها، أو تبدلت بغيرها[١]، لأن سنن الله مع الذين خلوا من قبل، أو مع الحاضرين، أو مع الآتين، واحدة لا تتبدل[٢].

ومن الآيات التي أشارت إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔاًۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ۝١٠ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝١١ ﴾ [آل عمران: ١٠-١١].

فتوعد الله من كذب من هذه الأمة بنبيها، بسنة كسنة آل فرعون والذين من قبلهم من الأمم، حين كذبوا بآياته فأخذهم بذنوبهم، فلم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم[٣]، فهذه الآية فيها إشارة لاطراد السنن واستمرارها وهو من خصائصها.

أما الأحاديث التي أشارت إلى خصائص السنن فكثيرة، ومنها قوله ﷺ: (ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم، أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم )[٤].

---

(١) انظر: مفهوم السنن الاجتماعية في القرآن (٥٧).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١١٢/٢٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩٠/٣)، تفسير ابن كثير (١٦/٢)، في ظلال القرآن (٣٦٦/١).

(٤) البخاري عن عمرو بن عوف الأنصاري ﷺ. كتاب: الجزية والموادعة، باب: الموادعة مع أهل الذمة والحرب (٣١٥٨). مسلم واللفظ له. كتاب: الزهد والرقائق (٢٩٦١).

=

فالنبي ﷺ يحذر أمته مزالق الأمم قبلها، من شيوع الحقد والحسد بينهم بسبب الدنيا، مما يحملهم على التباغض والتقاطع والتدابر والتقاتل، والحرص على أمر الدنيا وترك أمر الآخرة مما يكون سبباً في هلاكها كما كان سبباً في هلاك من قبلها، ويعبر بالكاف الذي يلحق ما قبلها بما بعدها في الحكم، وهو دال على ثبات السنن .

ويمكن إجمال بعض ما دلت عليه النصوص من خصائص السنن الإلهية فيما يلي:

## خصائص السنن الإلهية:

### أولاً: ربانية المصدر:

الله سبحانه خالق كل شيء ومالكه، قال تعالى في سياق الثناء على نفسه[1] الكريمة بالحمد على ملكه ما في السموات وما في الأرض ملكاً حقيقياً: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ:١]، فخلق سبحانه العالم العلوي والعالم السفلي بكل ما فيهما من حيوان وجماد، وأعطى كل مخلوق منها ما يناسبه ويليق به وفق حكمته سبحانه، فجعل لكل ناموسه الذي يسير وفقه بدقة ونظام، يعجز الإنسان عن إدراك حقيقته كاملة كما هي، بل لا يملك العاقل حين يتأمل ذلك إلا أن يقر بعجز هذا المخلوق الإنسان، الذي هو كالذرة في خضم ما حوله من مخلوقات وموجودات، تنطق جميعاً بقدرة الله وعظمته واستحقاقه للعبادة، قال سبحانه: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الفرقان:٢] وقال سبحانه: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعلى:١- ٣] وقال تعالى مخبراً عن موسى عليه السلام أنه قال: ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ [طه:٥٠] وفيه بيان بأن الله وهب كل مخلوق الصورة التي خلق بها، وهبة الهداية للوظيفة التي

---

=

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٣٥/٢٢).

خلق من أجلها، كل هذا الوجود المؤلف مما لا يحصيه إلا الله، كلها تعمل منفردة ومجتمعة داخل إطار السنن الإلهية التي قدرها الله، لتسير بلا تعارض ولا خلل، ولا فتور في لحظة من اللحظات[١].

## ۞ ثانياً: الثبات والدوام:

فهي لا تتغير، وأن ما أجرى الله به العادة، لم يتهيأ لأحد أن يقلبه ويغيره، بل إنما يجري عن سنن واحد، كما أراده الله تعالى بحكمته وإرادته.

فالسنن الإلهية لا تختلف بتغير الزمان، ولا المكان، وليست خاضعة لإرادة المخلوقات وما يعتريها من اضطراب، بل هي خاضعة لإرادة الله تعالى الذي ﴿ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [٢]، قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴾ [الإسراء:٧٧].

وقال تعالى: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ [فاطر:٤٣].

قال ابن تيمية ~: ( فالتبديل: أن تبدل بخلافة، والتحويل: أن تحول من محل إلى محل مثل استفزازه، أي استفزاز الكفار لرسول الله ﷺ من الأرض ليخرجوه منها، فإنهم لا يلبثون خلفه إلا قليلا، ولا تتحول هذه السنة بأن يكون هو المخرج وهم اللابثون، بل متى أخرجوه خرجوا خلفه ) [٣].

وقال الزمخشري: ( بين أن عادته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها، أي لا تتغير وأن ذلك مفعول له لا محاله ) [٤]، وخص في الآية كل منهما بنفي مستقل لتأكيد انتفائهما[٥].

(١) انظر: في ظلال القرآن (٢٣٣٨/٤) (٣٨٨٤/٦) (٢٥٤٨/٥).

(٢) انظر: مفهوم السنن الاجتماعية في القرآن (٥٨)، سنن القرآن في قيام الحضارات (٣٧).

(٣) جامع الرسائل، ابن تيمية (٥٥/١)، مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٣/١٣).

(٤) الكشاف (٨٨٩).

(٥) انظر: روح المعاني (٥١٩/١٢).

فالسنن الإلهية ثابتة لا تتبدل ولا تتحول، والقرآن يوجه الأنظار إلى مصداق ذلك فيما وقع للأمم من قبل، حين يسير المعتبرون في الأرض بأعين مفتوحة، وقلوب يقظة، فيقفون على مصارع الغابرين، ويتأملون ما كانوا فيه وما صاروا إليه، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [فاطر:٤٤] [١].

وقال سبحانه: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَـٰفِرِينَ أَمْثَـٰلُهَا ﴾ [محمد:١٠]، فوعظ المتأخرين بما أصاب المتقدمين، تحذيراً لهم من أن يعاقبوا بمثل عقابهم إذا أحدثوا مثل أفعالهم.

وفي قول ورقة بن نوفل ﷺ لرسول الله ﷺ حين أخبره بإخراج قومه له، واستغراب النبي ﷺ لذلك، مع ما اتصف به من مكارم الأخلاق وكمال السجايا بقوله: (أو مخرجي هم): قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي[٢]. دليل على فقهه ﷺ للسنن الإلهية، وأنها ثابتة لا تتبدل، لما اطلع عليه من كتب من سبق[٣].

## ۞ ثالثاً: الإضطراد والاستمرار:

فهي نافذة واقعة بكل من قام به ما يوجبها لا تتخلف، لذا وعظ الله عباده بقصص الأمم السابقة وما حل بها، ليعتبروا بذلك.

قال تعالى بعد أن ذكر حال بني النظير وما حل بهم لكفرهم وخيانتهم: ﴿ فَٱعْتَبِرُواْ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ أي: فاتعظوا واعتبروا، فإن في هذا معتبرا يعرف به صنع الله تعالى في المعاندين للحق، المتبعين لأهوائهم، الذين لم تنفعهم عزتهم، ولا منعتهم قوتهم. والعبرة بعموم اللفظ، فإن هذه الآية تدل على الأمر باعتبار

(١) انظر: في ظلال القرآن (٢٩٥٠/٥).

(٢) البخاري من حديث عائشة <. كتاب: بدء الوحي. باب: ٣ .

(٣) انظر: فتح الباري ، ابن حجر (٣٢/١).

النظير بنظيره، وقياس الشيء على مثله(١).

قال الرازي: ( المراد أن يعرف الإنسان عاقبة الغدر والكفر والطعن في النبوة، فإن أولئك اليهود وقعوا بشئوم الغدر والكفر في البلاء والجلاء، والمؤمنون أيضاً يعتبرون به فيعدلون عن المعاصي ) (٢).

ومثله قول الله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٧-١٣٨]، أي: قد مضت من قبلكم أحوال الأمم جارية على طريقة واحدة، هي عادة الله في الخلق(٣).

فالأمر بالسير في الأرض وتأمل ما حصل لتلك الأمم السابقة بسبب تكذيبها، واعتبار ذلك هدى للناس وموعظة، دليل على اضطراد ذلك وإلا لم يكن لكل ذلك معنى، قال ابن تيمية ~: ( ومن هذا صارت قصص الأنبياء المتقدمين عبرة لنا، ولولا القياس واضطراد فعله وسننه لم يصح الاعتبار بها، والاعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره، كالأمثال المضروبة في القرآن وهي كثيرة ) (٤).

ومن أدلة السنة على اضطراد السنن، حديث الابتلاء، فعن سعد بن أبي وقاص ﵁ قال: سألت النبي ﷺ : أي الناس اشد بلاء؟ قال: (الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل) (٥).

ففيه دليل على أن سنة ابتلاء الله لأولياءه، وامتحانه لهم، مضطردة مستمرة في الأنبياء وأتباعهم على قدر إيمانهم .

(١) انظر: تفسير السعدي (٨٤٩).

(٢) التفسير الكبير، الرازي (٥٠٣/١٠).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٩٧/٣).

(٤) جامع الرسائل (٥٥/١).

(٥) سبق تخريجه.

كذلك فإن الله وجه أنظار عباده إلى تأمل آياته الكونية التي أودعها في الكون واضطرادها في الجملة، لتكون دليلاً لهم على عظمته وألوهيته، وهادياً لهم ومرشداً للقانون الإلهي الذي تسير عليه مخلوقاته؛ ليستدلوا بذلك على اضطراد سننه سبحانه في خلقه، فقال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴾ [الرعد:٢].

ونص على اضطراد سننه الكونية في تعاقب الليل والنهار، فقال: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ ﴾ [الأعراف:٥٤]، وقال: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس:٤٠]، فقسم لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسماً من الزمان، وجعل أمرهما على التعاقب، وجعلهما متواليين رحمة بهم ونعمة عليهم، وهذا تدبيره واختياره، كما دبر لهم كل سنن الحياة(١).

وقال: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ﴾ [الحديد:٦]، ففي كل يوم، إما أن يطول الليل ويقصر النهار، فيدخل الليل في النهار ويمتد، وإما أن يكون العكس، وهما سنتان إلهيتان دائبتان، تقعان بقدره سبحانه، فيبدو كل يوم وكأنه حدث جديد ومشهد جديد، يتأمله الإنسان فيشكر ربه عليه، إذ لو شاء سبحانه لجعله سرمداً إلى يوم القيامة، ليلاً دائماً، أو نهاراً سرمداً كذلك، ولتعطلت حين ذلك مصالح العباد وفسدت أحوالهم(٢)، فكان من رحمته إجراء تلك السنة على ذلك السنن في الجملة إلا حين يشاء سبحانه.

### رابعاً: العموم والشمول:

السنن الإلهية عامة وشاملة، فكل ما في هذا العالم من نبات وجماد وحيوان

(١) انظر: الكشاف (٨٩٥)، في ظلال القرآن (٢٧٠٨/٥).

(٢) انظر: مقومات التصور الإسلامي (٣٢٠)، وفي ظلال القرآن (٢٤٧/٤).

وإنسان وكل مخلوق، سواء تعلق بالجانب الكوني، كنزول المطر وهبوب الريح وغيرها، أو الجانب الإنساني كارتفاع الأمم وانخفاضها، وشقاء الأفراد وسعادتهم وغير ذلك، كله يحدث وفق قانون ثابت دقيق لا يخرج عن أحكامه شيء(١)، كما دلت على ذلك آيات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [فصلت:١١- ١٢]، إيماءة إلى انقياد هذا الكون للناموس الإلهي الذي يدبره ويصرفه سبحانه وفق تقديره، وإيماءة كذلك إلى اتصال هذا الكون بخالقه سبحانه اتصال طاعة واستسلام(٢). فقد جعل لكل أمره وتدبيره اللائق به. فختمت الآيات باسمين كريمين من أسماءه سبحانه، دالين على عزته التي قهرت كل شيء، وعلمه الذي أحاط بكل شيء فقدره ودبره على ما يصلحه، فقال: ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾.

أما ما يتعلق بعموم السنن الإلهية في الجانب الإنساني، فالآيات الدالة على ذلك كثيرة جداً، إما بالتنصيص على ذلك، أو بالإشارة إليه، فالسنن شاملة يسري حكمها على الجميع دون محاباة أو تمييز، بل تنطبق على الناس جميعاً، أفراداً وجماعات، بغض النظر عن أديانهم مسلمين و كافرين ، أو أجناسهم عرباً و عجماً، أو أنسابهم أشرافًا وغيرهم.

قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء:١٢٣]، دليل على سنة من سنن الله تعالى، وهي: أن الجزاء مترتب على العمل، وأن السنة لا تحابي أحداً(٣). فقد نزلت هذه الآية حين اختصم أهل الإسلام مع اليهود والنصارى في تفضيل كتاب كل منهم، ونبي كل منهم، كما روى ابن جرير

(١) انظر: السنن الإلهية، د/عبدالكريم زيدان (٧)، السنن الإلهية، د/يوسف إبراهيم (٣٥).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (٣١١٤/٥).

(٣) انظر: في ظلال القرآن (٧٦٢/٢).

~ عن ابن عباس { في الآية[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٨] بعد أن ذكر إنجاءه لنبيه يونس ، دليل أيضاً على عموم سنته، فهو وعد منه بإنجاء أوليائه وأن ذلك يعمهم ويحيطهم[2].

قال ابن تيمية ~ في قوله تعالى: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلاًۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلاً ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر:٤٣]: ( دليل على أن هذا من مقتضى حكمته، وأنه يقضي في الأمور المتماثلة بقضاء متماثل لا بقضاء مخالف، فإذا كان قد نصر المؤمنين لأنهم مؤمنون كان هذا موجباً لنصرهم حيث وجد هذا الوصف )[3].

ومن أدلة السنة على عموم السنن وشمولها، قوله ﷺ حين شفع أسامة بن زيد { في المخزومية التي كانت تستعير المتاع وتجحده: (إنما أهلك الذين من قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد)[4]، فبين ﷺ أن العدل ضمان السلامة والفلاح، وعليه صلاح الأمم، وأن الظلم سبب هلاك الأمم، وأن إهلاك الحائدين عن سنن العدل سنة إلهية تعم كل من اتصف بذلك وتشمله، فيعزز هذا التحذير النبوي والإرشاد للسنة الإلهية الحرص على العدل، ويكون لدى العاقل حاجزاً عن الظلم، بإعطاء كل ذي حق حقه، مما يصحح علاقة الإنسان مع ربه، وعلاقته مع نفسه ومن حوله.



(١) انظر: تفسير الطبري (٤/٢٨٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٧/١٣٣)، تفسير السعدي (٥٣٠).

(٣) جامع الرسائل (١/٥٤).

(٤) البخاري من حديث عائشة <. كتاب: الحدود. باب: إقامة الحدود على الشريف والوضيع (٦٧٨٧). مسلم واللفظ له. كتاب: الحدود. باب: قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود (١٦٨٨) .

## خامساً: الحكمة والعدل:

النواميس والسنن الإلهية قائمة على الإبداع والتوازن، منتظمة بسلك الحكمة؛ لأنها من صنع العليم الحكيم سبحانه، كما جاء في سورة التين بعد سياق شيء من تلك السنن، من خلق الإنسان في أحسن تقويم، وتقلبه في إطواره المختلفة، وترتب الجزاء على العمل، ختمت الآيات بما يدل على أن ذلك عين الحكمة في قوله: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [التين:٨]، فهل تقتضي حكمته أن يترك الخلق سدى، أم أنّ الذي خلق الإنسان على هذا النحو البديع، وأوصل إليه من النعم والخيرات مالا يحصيه، لابد أن يعيده إلى دار هي مستقره وإليها قصده[١]، تلك سنة لله ثابتة اقتضتها حكمته.

والسنن الإلهية كما أنها قائمة على الحكمة، قائمة أيضاً على العدل، فهي لا تحابي مؤمناً لإيمانه، بل هي شاملة لكل من تعرض لها، سائرة على سنن العدل؛ لأنهامن تدبير الله سبحانه الذي قال عن نفسه ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف:٤٩]، وحسبنا في ذلك ما دفعه الصحابة ﭫ ثمناً لمخالفتهم أمر رسول الله ﷺ في معركة أحد، حين مالت قلوب بعضهم للدنيا ثم تاب الله عليهم، كما سجل القرآن ذلك ليكون دليلاً على العدل في منظومة السنن الإلهية، ودرساً يعتبرون به ﭫ ومن بعدهم، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ ﴾ [آل عمران:١٦٥] وبعد أن سجل عليهم الحدث بشرهم بالتوبة: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ ﴾ [آل عمران:١٥٢].

فأعلمهم سبحانه سنته في ترتب العواقب التي تحل بالبشر على ما يصدر من سعيهم ونشاطهم وخطأهم وإصابتهم وطاعتهم ومعصيتهم[٢]. قال ابن قيم ~:

---

(١) انظر: تفسير السعدي (٩٣٠).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (٤٥٣/١).

(عرفهم سبحانه عاقبة المعصية، والفشل والتنازع، وأن الذي أصابهم إنما هو بشؤم ذلك)[١].

❂ سادساً: التوازن والتناسق:

لما كان ما يحصل في هذا العالم يسير وفق قوانين ثابتة، ونواميس مطردة، هي من صنع حكيم حميد، يسير داخل إطار عام يميزه التوازن والتناسق الدقيق، كانت السنن الإلهية في حقيقتها وحدة كلية مترابطة، يشد بعضها بعضا كالجسد الواحد، أساسها ومحورها الإنسان، وروحها العدل[٢]. تسير في توافق وتناسق وترابط، لا تصادم بينها ولا تعارض. فالكون بأفلاكه ومبدعاته، والإنسان بإرادته وحركاته وفاعليته، كلها تعمل وفق سنن ونواميس يفعل الله بها ما يفعل، ويحقق بها ما يحقق تقديرًا منه وتدبيرًا، ليس شيء منها خارجاً عن السنن والنواميس الإلهية، ولا مقابلاً لها ولا مناهضا لفعلها.

فالإنسان مثلاً حين وهبه الله كينونته وفكره وإرادته وتقديره وتدبيره وفاعليته في الأرض، لم يجعل شيئاً من ذلك معارضاً مع سننه سبحانه، ولا مناهضا لمشيئته، ولا خارجاً عن حكمته وقدرته، ولكن جعل من سننه وقدره أن يقدر الإنسان ويدبر، وأن يتحرك ويؤثر، وأن يتعرض لسنن الله فتنطبق عليه، وأن يلقى جزاء هذا التعرض من الم ولذة، وتعب وراحة، وشقاء وسعادة، وأن يتحقق كل ذلك في تناسق وتوازن داخل منظومة السنن الإلهية[٣].

وهكذا يبدو التكامل والتناسق بين سنن الله كلها سواء الكونية أو الإنسانية، فكلها أطراف من سنن الله الشاملة لهذا الوجود[٤].

(١) زاد المعاد، ابن قيم الجوزية (٢١٨/٣).

(٢) انظر: سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها (٣٢).

(٣) انظر: في ظلال القرآن (٥٠٨/١).

(٤) انظر: المرجع السابق (١١/١).

# الفصل الثالث

# أنواع السنن الإلهية ومجالاتها

* * * * * *

## ۞ تمهيـــــد:

قبل الحديث عن أنواع السنن الإلهية، تجدر الإشارة إلى أن البحث في موضوع السنن الإلهية يعد من البحوث المتأخرة المعاصرة، لذا اختلفت آراء الباحثين في بعض عناصر هذا الموضوع، ومنها الحديث عن أنواع السنن الإلهية ومجالاتها.

فمن مقسم للسنن الإلهية إلى كونية وإنسانية[1]، إلى من جعلها سننًا جبرية لا إرادية يشترك فيها الإنسان مع سائر الموجودات، وسننًا إرادية اختيارية داخلة تحت قدرة الإنسان وتحكمه[2]، إلى من فصل فجعل منها الكونية والنفسية والاجتماعية والتاريخية وغير ذلك[3]. ومرجع ذلك جدة البحث فيها واختلاف الآراء والاجتهادات، فكل يقسم حسب ما أدى إليه تأمله، وما يراه أقرب للضبط في موضوع تقسيم السنن الإلهية وتصنيفها.

لكن قد يشكل على تلك التقسيمات، عدم الدقة في ضبط تصنيف السنن بناء على الحد الذي وضع لكل نوع، إذ قد يوجد من السنن الإلهية ما يمكن تصنيفه في كل نوع على حسب تلك الحدود فيزدوج ولا ينضبط.

ومن ذلك سنة التدافع التي هي موضوع البحث، فعند تأمل صورها ومجالاتها، نجد صوراً منها غير داخلة تحت مقدور البشر، فتكون كونية لا إرادية من هذا الوجه، وصوراً أخرى هي من مقدور البشر، فتكون إنسانية اجتماعية

(١) انظر: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، د/ عبد الكريم زيدان (٧، ١٢). مفهوم سنن الله الاجتماعية في القرآن، د/ صديق أبو الحسن (٦٢). السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، د/شريف الخطيب (٧٥/١).

(٢) انظر: سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، د/ محمد هيشور (١٨).

(٣) انظر: تقديم بحث سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، د/علي جمعة (١٢)، مدخل إلى دراسة السنن الإلهية، د/مجدي عاشور (٢٢).

إرادية من هذا الوجه، فيزدوج تصنيفها في كل نوع، ما يفقد ذلك التقسيم الضبط في تصنيف السنن الإلهية وتمييزها، ويخرجه عن الحد المعتبر عند علماء الأصول في التعريفات.

واستقصاء السنن الإلهية والحديث عنها بحث يطول، يعتمد على تأمل آيات القرآن الكريم، وتدبر أحاديث النبي ﷺ واستقراءها، وتتبع المسيرة التاريخية وتأملها، والسنن كثيرة، بل لا أبالغ إن قلت: إنها تبلغ العشرات بل قد تزيد[1]، وما البحوث المعدة فيها إلا محاولة لإبراز شيء من تلك السنن الإلهية لا استقصاءها.

والحاجة قائمة لإبراز السنن الإلهية، ودراسة حديث القرآن والسنة عنها، لما لذلك من أهمية سبقت الإشارة إلى شيء منها.

وما هذا البحث إلا محاولة لإبراز سنة من تلك السنن الإلهية ودراسة النصوص الواردة فيها، وهي سنة التدافع. لذا سأكتفي في هذا الفصل بذكر ما توصلت إليه في تصنيفها، بالحد الذي أرى أنه مميز لكل نوع عن الآخر ، مع التمثيل لكل نوع، والله أسأل التوافيق والسداد ولزوم سواء الصراط.

(١) أشار سيد قطب رحمه الله في ظلاله إلى أكثر من سبعين سنة (باستقراء)، وأعدت د/ زينب عطية محمد فهرساً للسنن بعنوان: السنن الإلهية في الآفاق والأنفس والأمم، ضم أكثر من ٩٦ سنة إلهية.

## النوع الأول: سنن عامة:

وحدها: اشتراك الإنسان فيها مع غيره، فهي للإنسان كما هي لغيره، وليست مقصورة على فعل صادر من المكلف، بل هي مبثوثة في الآفاق والأنفس، يراها كل ذي عين، ويدركها كل صاحب عقل، أشارت النصوص إلى جملة منها، ويتكشف للإنسان أطراف منها كلما ارتقى في سلم المعرفة، عن طريق الملاحظة والتجربة التي تقود إلى شيء من تلك السنن في آماد متطاولة من الزمان(١). ومن هذه السنن العامة:

### أولاً: سنة الله تعالى في المتماثلات والمختلفات:

جرت عادة الله تعالى بالتسوية بين المتماثلات معنى وصفة، والتفريق بين المختلفات كذلك، وهذا من مقتضيات عدله سبحانه في حكمه وحكمته سبحانه في أمره ، قال شيخ الإسلام ~: ( وهو ﷻ كما يفرق بين الأمور المختلفة، فإنه يجمع ويسوي بين الأمور المتماثلة، فيحكم في الشيء خلقاً وأمراً بحكم مثله، لا يفرق بين متماثلين، ولا يسوي بين شيئين غير متماثلين، بل إن كانا مختلفين متضادين لم يسو بينهما ) (٢).

لذا كان اختلاف النتائج والأحكام في الدنيا والآخرة مبنياً على مقدار التساوي والاختلاف في المعاني والأوصاف(٣).

والقرآن الكريم يؤكّد في مواضع شتى منه على هذه السنة، والله سبحانه أنكر على من نسب إليه الظلم ومجانبة الحكمة بظنه أنه يسوي بين المختلفات، كالتسوية بين الأبرار والفجار، فقال سبحانه: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الجاثية:٢١]،

(١) انظر: في ظلال القرآن (٢٧٢/١)، مقومات التصور الإسلامي (٤٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/١٣).

(٣) انظر: السنن الإلهية، د/عبد الكريم زيدان (١٦٣).

قال ابن قيم ~: ( فدل على أن هذا الحكم سيء قبيح ينزه الله عنه.. وأنه حكم شيء يتعالى ويتنزه عنه لمنافاته لحكمته وغناه وكماله، ووقوع أفعاله على السداد والصواب والحكمة، فلا يليق به أن يجعل البر كالفاجر، ولا المحسن كالمسيء، ولا المؤمن كالمفسد في الأرض، فدل على أن هذا قبيح في نفسه تعالى الله عن فعله ) [1]، فأنكر سبحانه عليهم ظنهم التسوية بين مجترحي السيئات وفاعلي الحسنات، في الحياة وفي الممات؛ لأن ذلك مخالف لقاعدة الحق والعدل الثابتة الأصيلة التي قام عليها أمر الكون، والذي يُقَوَّمُ به كل ما فيه، ومنه حياة الناس، فعلم أن ذلك إنما يتحقق بالتفرقة بين المسيئين والمصلحين في جميع الأحوال، ومجازاة كل بما كسب تحقيقاً للعدل وقياماً بالقسط[2].

والمتأمل للسياق القرآني يجد تطبيق ذلك واضحاً جلياً، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [البقرة:٨١- ٨٢]، فجمع سبحانه بين كل صنف لتماثلهم ولم يفرق بينهم، إذ السياق عام في كل من اشتمل عليه ذلك الوصف، كما دل عليه قوله: (من كسب)، فدل على أن من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته، ووافى يوم القيامة وليس له حسنة، بل جميع ما عليه سيئات، فهو من أهل النار، وأن الذي آمن بالله ورسوله ، وأثبت صدقه في ذلك بالعمل الصالح فهو من أهل الجنة[3].

ومثله ما رواه البخاري ~ عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قالوا: يا رسول الله أي الإسلام أفضل؟ قال: (من سلم المسلمون من لسانه ويده) [4]. فعدل

(١) مفتاح دار السعادة ،ابن قيم الجوزية (٣٣٨).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (٥/٣٢٣٠).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣١٩/١)، تفسير المنار (٣٦٣/١).

(٤) البخاري. كتاب: الإيمان. باب: أي الإسلام أفضل (١١). مسلم. كتاب: الإيمان. باب: بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل (٤٢) .

ﷺ عن الجواب عن خصال الإسلام المسؤول عن أفضلها، إلى الجواب عمن اتصف بها[1]، من باب المساواة بين المتماثلات، وإلحاق الشيء بمثله في الحكم.

فهذه سنة عامة جارية مجرى العدل الذي قامت عليه السموات والأرض، لذلك كانت كل دعوة تخالف التعاليم الإلهية، وتدعو إلى المساواة بين المختلفات أو التفريق بين المتماثلات، إنما هي في حقيقتها خروج عن نطاق العدل جارية مجرى الظلم، متجاوزة لهذه السنة الإلهية العامة، ومن تلك الدعوات على سبيل المثال، الدعوة إلى التقريب بين الأديان، أو الدعوة إلى المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة، أو الدعوة إلى المساواة بين الديمقراطية والشورى في الإسلام.

## ثانياً: سنة الله تعالى في الاختلاف والتنوع:

حين يتأمل العاقل ما حوله، تتكشف له سنة من سنن الله في هذا الكون، هي سنة الاختلاف والتنوع التي شاء الله أن تكون بين الموجودات في هذا الكون، فلكل طبيعته ومادته، ولكل صفاته وخصائصه التي تميزه عن غيره، من ملك ، أو إنسان، أو حيوان، أونبات، أوجماد .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الاختلاف فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [فاطر:٢٧]، فاخبر سبحانه أنه خلق الأشياء متنوعة مختلفة، حتى التي خلقت من شيء واحد هو الماء، فأخرج به سبحانه من الثمرات ما يختلف بعضه عن بعض في طعمه ولونه وريحه وخصائصه، وخلق الجبال كذلك مختلفة الأشكال والألوان، منها الصلب القاسي، ومنها السهل، وكذلك الحيوانات من الأناسي والدواب، مختلفة الأشكال والأحجام والألوان والصفات، حتى في الجنس الواحد، بل النوع الواحد، فتبارك الله أحسن الخالقين[2] .

---

(١) انظر: فتح الباري (٧١/١).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥٤٤/٦).

والإنسان الذي كلف بمهمة عمارة الأرض، هو من جملة تلك المخلوقات التي شملتها هذه السنة، فأخبر الله بأنهم لا يزالون مختلفين، وأنه لذلك خلقهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [هود:١١٨- ١١٩]، والمعنى: اختلافهم إلى مؤمنين وكفار، كما هو قول عامة المفسرين[١]، إلا أن ذلك إنما حصل منهم لاختلاف أحوالهم ، وتصوراتهم وميولهم واستعداداتهم، بل حتى المؤمنون مختلفون في تفاضل درجاتهم، فبعضهم أوفى إيماناً من بعض، على حسب اختلاف هممهم وأعمالهم، لذا ختمت آية فاطر بعد سياقها لشيء من الآيات الكونية بقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ ﴾ [فاطر:٢٨]، أي: كذلك كما يكون أمر الاختلاف في ظواهر الأشياء المشاهدة في اختلاف ألوانها، كذلك يكون اختلاف خشية الله في قلوب العلماء على حسب اختلاف قلوبهم ومداركهم، فكلما كان العالم بالله أعرف كان له أخشى[٢].

وفي الحديث الصحيح: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق،و الحياء شعبة من الإيمان) [٣]، فأخبر عن تفاضل الإيمان بتفاوت شعبة، واختلاف الناس فيه حسب ما يتعاطونه من شعب للإيمان.

واختلاف الناس واضح جلي لا يخفى على متبصر، فلا تجد اثنين متماثلين تمام التماثل، لذا جعل الله تأمل شيء من ذلك آية من آيات عظمته، وعلامة على وحدانيته، فقال: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ

(١) انظر: المحرر الوجيز (٩٧٦) .

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٣٠٤/٢٢)، تفسير الطبري (٤٠٩/١٠)، تفسير الكشاف (٨٨٦)، تفسير ابن كثير (٥٤٤/٦).

(٣) البخاري. من حديث أبي هريرة ﷺ. كتاب: الإيمان. باب: أمور الإيمان (٩). مسلم واللفظ له. كتاب: الإيمان. باب: بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها (٣٥) .

فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ [الروم:٢٢]، فـ(خالف عز وعلا بين هذه الأشياء، حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد، ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا أسلوب، ولا غير ذلك من صفات النطق وأحواله، وكذلك الصور وتخطيطها والألوان وتنويعها، ولاختلاف ذلك وقع التعارف، وإلا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضرباً واحداً لوقع التجاهل والالتباس، ولتعطلت مصالح كثيرة... وفي ذلك آية بينة، حيث ولدوا من أب واحد، وفرعوا من أصل، فذو هم على الكثرة التي لا يعلمها إلا الله مختلفون متفاوتون)[1].

## ثالثاً: سنة التدافع:

التدافع من القوانين والسنن الإلهية العامة على الحد الذي سبق إيضاحه، وهذه السنة قائمة في كل ما حولنا، بل هي موجودة في داخلنا. ومن صور هذه السنة ما هو داخل في مقدور الإنسان، ومنها ما ليس كذلك .

ونفي التدافع من الأدلة التي وردت في القرآن الكريم تقريرًا لوحدانية الله، وانفراده بالملك ونفي الشريك عنه، قال تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٢]، فالعالم كله يسير في أكمل وجه وأصلحه، لا خلل فيه ولا عيب، ولا ممانعة ولا معارضة، فدل ذلك على أن مدبره واحد، وأن ربه وإلهه واحد، إذ لو كان له ربان أو أكثر لاختل نظامه، وتقوضت أركانه، لأنهما يتمانعان، ويتعارضان، ويتدافعان، فإذا أراد أحدهما تدبير شيء، وأراد الآخر عدمه، كان من المحال تحقق مراداهما معاً، ووجود مراد أحدهما دون الآخر، يدل على عجز الآخر، واتفاقهما على مراد واحد دائماً غير ممكن، فتعين أن يكون القاهر من غير ممانع ولا مدافع هو الله الواحد القهار[2].

والتدافع سنة عامة مبثوثة في صحفات الكون من حولنا، في الكواكب

(١) الكشاف (٨٢٨)، وانظر: تفسير ابن كثير (٣٠٩/٦).

(٢) تفسير السعدي (٥٢١).

والحيوانات وغيرها، وفي الإنسان كذلك.

وما يتعلق منه بالإنسان، منه ما يكون بغير قدرته، كما في كريات الدم البيضاء،

فقد أثبت الطب الحديث أنها تمثل جهاز المناعة في الجسم، فتعمل على مدافعة كل ما يتسلل إلى داخل الجسم من جراثيم قد تضره[1]، ومنه ما هو مقدور للإنسان، كمدافعة المؤمن لنوازع الشرفية، كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ ﴾ [النازعات:٤٠- ٤١]، فأخبر سبحانه أن من نهى نفسه عن هواها فيما يكرهه الله ولا يرضاه منها، فزجرها عن ذلك ودفعها عنه، كانت الجنة مأواه ومنزله يوم القيامة[2].

فالتدافع سنة عامة قائمة في الجواهر، كتدافع آيتي الليل والنهار، إذ لم يكن الحال نهاراً سرمداً ولا ليلاً سرمداً، وتدافع بني الإنسان بعضهم مع بعض، وتدافع الحيوانات فيما بينها، وقائمة في الأعراض كذلك، كتدافع حالتي الفرح والحزن في النفس، وحالتي الصحة والمرض، وحالتي الشبع والجوع، وحالتي التعب والإعياء والراحة والنشاط، وكل تلك أعراض. وهذا التدافع كله لإحداث التوازن الذي يكون به صلاح الحياة واستمرارها، إذ لولاه لما أطاق الإنسان العيش بوتيرة واحدة، لأنه ملول بطبعه، وسيأتي مزيد تفصيل لهذه السنة العامة.

رابعاً: سنة الأسباب والمسببات:

النصوص الشرعية من القرآن والسنة، والأحداث السابقة أو المتجددة من حولنا، كلها تنطق بأن كل شيء يحدث بسبب، سواء كان هذا الحدث يتعلق بالجماد أوالحيوان أو الإنسان، يشترك في ذلك ما يحصل في الكون من حول الإنسان، أو

(١) انظر: الإيدز حصاد الشذوذ، د/عبدالحميد القضاة (٩٦)، الإيدز وباء العصر، د/محمد علي البار (١٢٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/٤٤٠)، الكشاف (١١٧٨).

ما يحصل للإنسان ذاته[1].

فهذه السنة التي هي ربط المسببات بأسبابها والنتائج بمقدماتها، تعد قانوناً عاماً شاملاً لكل ما في العالم، في الدنيا أو في الآخرة على حد سواء، قال شيخ الإسلام ~: (إن الله ﷻ يعلم الأشياء على ما هي عليه، وكذلك يكتبها ، فإذا كان قد علم أنها تكون بأسباب من عمل وغيره، وقضى أنها تكون كذلك، وقدر ذلك لم يجز أن يظن أن تلك الأمور تكون بدون الأسباب التي جعلها الله أسباباً، وهذا عام في جميع الحوادث)[2].

وقال ابن قيم ~: ( والنبي ﷺ أخبر بالقدر السابق، وجريانه على الخليقة بالأسباب، فإن العبد ينال ما قدر له بالسبب الذي أقدر عليه، ومكن منه وهيء له، فإذا أتى بالسبب أوصله إلى القدر الذي سبق له في أم الكتاب، وكلما زاد اجتهاده في تحصيل السبب كان حصول المقدور أدنى له ) [3].

وقال رشيد رضا ~: ( إن للأسباب مسببات لا تعدوها بحكمة الله في نظام الخلق، وإن لله تعالى أفعالاً خاصة به، فطلب المسببات من أسبابها ليس من اتخاذ الأنداد في شيء، وإن هناك أموراً تخفى علينا أسبابها ويعمى علينا طريق طلابها، فيجب علينا بإرشاد الدين والفطرة أن نلجأ فيها إلى ذي القوة الغيبية ، ونطلبها من مسبب الأسباب، لعله بعنايته ورحمته يهدينا إلى طريقها، أو يبدلنا خيراً منها ) [4].

يستوي في هذه السنة الإلهية العامة الأمور المادية والأمور المعنوية، كما نطق بذلك القرآن في غير موضع، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا ﴾ [البقرة:١٦٤]، وقال: ﴿ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ ﴾ [الأعراف:٥٧]، وقال سبحانه: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠

(١) انظر: السنن الإلهية، د/عبد الكريم زيدان (٢١).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/٢٧٦).

(٣) شفاء العليل (١/٧٧).

(٤) تفسير المنار (٢/٦٦).

﴾ [الأنبياء:٣٠].

فأخبر سبحانه أنه جعل إنزال المطر سبباً به يخلق النبات، وأن الماء سبب في حياة ما يصلح للحياة، ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [النحل:٧٢]، فجعل سبحانه الإلتقاء بين الذكر والأنثى سبباً علق به وجود الولد في المعتاد، وهو من السنن الإلهية العامة.

وقال في الأمور المعنوية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [الأنفال:٢٩]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [الحديد:٢٨]، فجعل سبحانه الإيمان به وتقواه سبباً في حصول البصيرة وتكفير السيئات ومغفرة الذنوب.

والمؤمن مأمور بالأخذ بالأسباب منهي عن تعطيلها، فالأخذ بالأسباب من الإيمان بالقدر، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال:٦٠]، فأمر الله بضرورة الأخذ بالأسباب مع قوله سبحانه: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال:١٠]، ليوجه عباده إلى الإيمان الصحيح بالقدر، إذ الإيمان حركة فاعلة تقتضي الجد والعزم، فجعل الأخذ بأسباب القوة، من الاستعداد لهم، هو سبب جعل الله إياهم لا يعجزون، لأن الله هيأ أسباب استئصالهم ظاهرها وباطنها[1].

فالأخذ بالأسباب المشروعة من الإيمان بالقدر، لكن مع عدم الاعتماد عليها، فالله خالق الأسباب والمسببات، وهي (داخلة تحت تدبير الله ومشيئته، فيقوي سبحانه بعضها ببعض، ويبطل إن شاء بعضها ببعض، ويسلب بعضها قوته وسببيته، ويعريها منها، ويمنعه من موجبها مع بقائها عليه، ليعلم خلقه أنه الفعال لما يريد، وأنه لا مستقل بالفعل والتأثير غير مشيئته، وأن التعلق بالسبب دونه

(١) انظر: التحرير والتنوير (٥٥/١٠).

كالتعلق ببيت العنكبوت.

فهي لا تضر ولا تنفع إلا بإذنه، وأنه إذا شاء جعل نافعها ضاراً، وضارها نافعاً، ودواءها داء وداءها دواء، فالالتفات إليها بالكلية شرك مناف للتوحيد، وإنكار أن تكون أسباباً قدح في الشرع والحكمة، والإعراض عنها مع العلم بكونها أسبابًا نقصان في العقل. أما تنزيلها منازلها، ومدافعة بعضها ببعض، وتسليط بعضها على بعض، والقيام بها، فهو محض العبودية لله)[1].

(فيجب علينا بإرشاد الدين والفطرة أن نلجأ فيها إلى ذي القوة الغيبية،ونطلبها من مسبب الأسباب، لعله بعنايته ورحمته يهدينا إلى طريقها، أو يبدلنا خيراً منها، ويجب مع هذا بذل الجهد والطاقة في العمل بما نستطيع من الأسباب حتى لا يبقى في الإمكان شيء، مع اعتقادنا بأن الأسباب كلها من فضل الله علينا ورحمته بنا، إذ هو الذي جعلها طرقاً للمقاصد، وهدانا إليها بما وهبنا من العقل والمشاعر)[2].

ومعرفة الأسباب وتقدير النتائج والأحكام يمكن ضبطه ومعرفة وقته بدقة في السنن والأحداث الكونية المادية، كالشمس يمكن ضبط شروقها وغروبها، وبناء عليه يمكن ضبط دخول وقت الليل والنهار، وساعات كل منها، لذا علق الشارع مواقيت الصلاة بهذه السنة الكونية .

أما السنن الاجتماعية، فهي ذات أسباب دقيقة وكثيرة، متشعبة ومتشابكة، قد يعسر على الكثير معرفتها تفصيلاً، لكن يمكن للمتأمل الفاحص أن يعرفها ويحيط بها، ويجزم بنتائجها بدقة، من غير جزم بميعاد ذلك، كأن يحكم على الدولة الظالمة بالزوال، لكن مع عدم القدرة على تحديد وقت ذلك على وجه الدقة

(١) مدارج السالكين، ابن قيم (٢٠١/١). وانظر: مجموع الفتاوى (١٣٨/٨) .

(٢) تفسير المنار (٦٦/٢).

والضبط[1].

## النوع الثاني: سنن خاصة:

وحدها: خصوصها بمن صدر منه ما أوجب وقوع السنة عليه، فهو بفعله الصادر منه، عرض نفسه لهذا النوع من السنن، وهي مرتبطة بالتكليف، كما قال تعالى حين أصاب المسلمين يوم أحد ما أصابهم: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ ﴾ [آل عمران:١٦٥]، فبين سبحانه أن أنفسهم هي التي تخلخلت وفشلت وتنازعت في الأمر، وأنفسهم هي التي عصت، فهذا الذي تستنكرون أن يقع عليكم، هو من عند أنفسكم حين تعرضتم لسنة الله فانطبقت عليكم[2].

**ومن هذه السنن الخاصة:**

أولاً: سنة الابتلاء:

الأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:٢- ٣]، فأخبر تعالى عن تمام حكمته، وأن حكمته لا تقتضي أن كل من قال: إنه مؤمن، وادعى لنفسه الإيمان، أن يبقى في حالة يسلم فيها من الفتن والمحن، ولا يعرض له ما يشوش عليه إيمانه وفروعه، فإنه لو كان الأمر كذلك، لم يتميز الصادق من الكاذب، والمحق من المبطل، لكن سنته وعادته في الأولين وفي هذه الأمة أن يبتليهم بالسراء والضراء، واليسر والعسر، والمنشط والمكره، والغنى والفقر، وإدالة الأعداء عليهم في بعض الأحيان، ومجاهدة الأعداء بالقول والعمل، ونحو ذلك من الفتن، فمن ثبت عند كل ذلك ولزم الإيمان ولم يتزلزل، ودفعه عن

(١) انظر: السنن الإلهية، د/عبد الكريم زيدان(٢٤) .

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥٠٧/٣)، في ظلال القرآن (٥٠٨/١)،التحرير والتنوير (١٦٠/٤).

نفسه، دل ذلك على صدق إيمانه وصحته[1].

وفي الحديث الذي سبق عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أشد بلاء؟ قال: (الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلباً، اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه) [2]، فبين أن البلاء الحاصل للمؤمن، إنما يكون على حسب دينه وإيمانه، ليتمحص إيمانه، ويظهر صدقه من عدمه، فالمؤمن حين فعل ما باختياره من سلوك طريق الحق والهداية، عرض نفسه للابتلاء الذي يميز صدق المدعين كما يميز الكير معدن الذهب والفضة.

والله سبحانه عالم بما يكون من المكلف قبل أن يبتليه، لكن ليظهر ذلك في عالم الشهادة، وليتكشف في فعل المكلف الذي يكون عليه مدار الثواب والعقاب، فلما ادعى الإيمان، طولب بإقامة البرهان، وذلك إنما يكون بالثبات عند البلاء، إذ الثبات عند البلاء يري الإنسان حقيقة نفسه، فكل إنسان يرى نفسه على الحق في الجملة، لكن التمكن من المعرفة والثبات على الحق، لا يعرف في الغالب إلا إذا وجد للحق خصم ينازعه ويعارضه، هنالك تتوجه قوى المؤمن إلى تأييد حقه وتمكينه، مع ما في ذلك من فائدة له في وقوفه على حقيقة نفسه[3].

ثانياً: سنة الهدى والضلال:

خلق الله الإنسان، وميزه من بين سائر المخلوقات، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا ٧٠ ﴾ [الإسراء:٧٠]، فميزه الله بالعقل الذي هو مناط التكليف، وأسند إليه مسئولية عظيمة هي مسؤلية القيام بعمارة الأرض، وسخر له ما في السموات وما

---

(١) انظر: تفسير السعدي (٦٢٦) . تفسير الطبري (١٢٠/١٠) تفسير الكشاف (٨١٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: تفسير المنار (٢٦/٢).

في الأرض؛ ليستعين بكل ذلك على القيام بهذه المهمة، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية:١٣]، ثم مع ذلك لم يتركه هملاً، بل أرسل إليه الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وأعطى هذا الإنسان القدرة الكاملة على سلوك طريق الهداية، أو تنكب ذلك وسلوك طريق الغواية، قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد:١٠] فأودع نفسه خصائص القدرة على ذلك[1].

وتكفل الله لمن بذل ما في وسعه لتحصيل الهداية، واتباع مرضات الله، أن يأخذ بيده إليها ويوفقه لسلوكها، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩]، فدلت الآية على أن من أحسن فيما أمر به أعانه الله، ومن اجتهد في طلب الهداية يسرها له[2]. وفي الحديث القدسي: (إذا تقرب العبد إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا أتاني مشياً أتيته هرولة)[3].

قال شيخ الإسلام ~: ( وهذه الزيادة تكون على الوجه المتفق عليه، بزيادة تقريبه للعبد إليه، جزاء على تقربه باختياره، فكلما تقرب العبد باختياره قدر شبر زاده الرب قربا إليه حتى يكون كالمتقرب بذراع، فكذلك قرب الرب من قلب العابد، وهو ما يحصل في قلب العبد من معرفة الرب والإيمان به، وهو المثل الأعلى )[4].

أما سنته سبحانه فيمن أعرض عن هداه، فإنه يضله، قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ

(١) انظر: في ظلال القرآن (٣٩١١/٦)، تفسير الطبري (٥٩٢/١٢)، تفسير السعدي (٩٢٥).

(٢) انظر: تفسير السعدي (٦٣٦)، التحرير والتنوير (٣٧/٢١).

(٣) البخاري واللفظ له من حديث أنس ﷺ . كتاب: التوحيد. باب: ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه (٧٥٣٦). مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ. كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار. باب: الحث على ذكر الله (٢٦٧٥).

(٤) مجموع الفتاوى (٥١٠/٥).

ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص:٥٠]، فأخبر سبحانه أنه لا يهدي من اتبع هواه[١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ [النساء:١١٥]، فبيَّن الله أنّ من ترك الهدى بعد تبينه له، أنه يتركه وشأنه وما اختاره من ضلال، فيتركه وما اختاره لنفسه، ويخذله فلا يوفقه للخير، لكونه رأي الحق وعلمه وتركه. فجزاؤه من الله عدلاً أن يبقيه في ضلاله حائراً، ويزداد ضلالاً إلى ضلاله[٢].

وهذه السنة الإلهية مترتبة على عمل الإنسان مرتبطة بمقدار ما أعطيه المكلف من الإرادة والاستقلال، والعمل بالاختيار، فالوجهة التي يتولاها في حياته، والغاية التي يقصدها في عمله، يوليه الله إياها ويوجهه إليها فيسير على طريقها، فلا تجبره القدرة الإلهية على ترك ما اختار لنفسه، ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً بخلقهم على حالة واحدة من الطاعة كالملائكة، قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةًۖ ﴾ [هود:١١٨]، ولكن شاء سبحانه أن يخلقهم على ما هم عليه من تفاوت الاستعداد والإدراك، وعمل كل بحسب ما اختار لنفسه ورأى أنه خير لها وأنفع عاجلاً وآجلاً[٣].

ثالثاً: سنة الله في إهلاك الأمم الظالمة والكافرة:

تكرر في القرآن الكريم عرض قصص الأنبياء مع أقوامهم، وكيف كانت نتيجة ظلم الظالمين، وتحذير هذه الأمة من سلوك مسالك الأمم السالفة في عتوها وضلالها وتكذيبها أنبيائها. كل ذلك تنبيهاً لهم من أن تنطبق عليهم سنة الله كما انطبقت على من سبقهم حين استدعوها بذنوبهم وظلمهم. فبعد أن ذكر الله جملة من الأنبياء في سورة الأعراف ابتداء من نوح ، ثم هود، ثم صالح، ثم شعيب عليهم السلام، وكيف كانت نهاية من كذب بدعوتهم، التفت الخطاب القرآني

(١) انظر: روضة المحبين، ابن قيم (٣٦٧).

(٢) انظر: تفسير السعدي (٢٠٢).

(٣) انظر: تفسير المنار (٤١٥/٥) .

للمخاطبين بهذا القرآن ليحذرهم من مثل ذلك، فقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٠٠]، فأبان تعالى ذلك للباقين بعد هلاك الماضين، منبهاً لهم وقد ورثوا أرضهم، ورأو آثارهم، ألم تهتدوا أن ما أصابهم كان بذنوبهم، ثم عملتم كأعمال أولئك المهلكين؟ أو لم تهتدوا أن الله لو شاء لأصابكم بذنوبكم؟ فإن هذه سنته في الأولين والآخرين(١).

فالله سبحانه يريد من عباده اليقظة والحساسية والتقوى ومراقبة النفس، والعظة بتجارب البشر، والعبرة برسوم المهلكين، وعدم الاغترار بطيب العيش ورخاء الحياة، ويعدهم على ذلك الأمن والطمأنينة والرضوان والفلاح في الدنيا والآخرة، إذا هم أخلصوا العبودية له، فيقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف٩٦] (٢)، ويحذرهم سبحانه من ضد ذلك حالاً منهم وسوء عاقبة منه لهم ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾، فبظلمهم لأنفسهم ولغيرهم وبمعصيتهم لربهم استدعوا سنة الله في إهلاكهم واستئصالهم.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء:١٦]، فأخبر سبحانه عن عادته في إهلاك من ظلم، بأنه إذا أراد أن يهلك قرية ويستأصلها أمر مترفيها بالصلاح والاستقامة، فلما لم يمتثلوا وفسقوا -والناس تبع لهم- عند ذلك حقّ عليهم العذاب، وحاق بهم الهلاك، والتاريخ الغابر والمعاصر يخبرنا بأن المترفين هم سبب فساد المجتمعات(٣).

والترف أعم من أن يحصر في المال كما قد يتبادر إلى أذهان الكثير، بل الترف يكون في الإرادات بانصراف همة المكلف إلى طلب اللذائذ المختلفة من أي

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/٦)، تفسير ابن كثير (٤٥١/٣)، تفسير السعدي (٢٩٨).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (١٣٤١/٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥١/٨)، تفسير السعدي (٤٥٥).

وجه كان لفساد تصوره، وضعف همته عن طلب معالي الأمور، حتى يصبح أمر الآخرة لا يمثل إلا خانة في هامش حياة الناس إن كان. ويكون الترف كذلك في التصورات بانحراف الفكر عن الطريق الصحيح الذي خلق من أجله، فيتيه في أفكار وتصورات لا تقرب بعيداً ولا تروي غليلاً، بل غالباً ما تكون معاول هدم لرسوم الأنبياء وصروح الرسالات .

وإنما أنيط أمر إفساد ما بقي من حال المجتمعات التي أراد الله إهلاكها بأهل الترف لأنهم أهل الفساد غالباً، كما قرر القرآن في غير موضع أنهم أصحاب الجبهة الأولى في حرب الأنبياء ، فينتشر حينها الطغيان والفساد، عند ذلك تنطبق عليهم السنة بالهلاك والتدمير، كما فعل بأمم كثيرة من قوم نوح ومن بعدهم ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ﴾، ثم حذر المخاطبين بهذا القرآن بأنه مطلع على أعمالهم قادر على إهلاكهم، فقال: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الإسراء:١٧].

وقد أشار ابن خلدون ~ إلى خطورة الترف وأنه سبب في تجرؤ المترفين على الذنوب والمعاصي. والناظر في تاريخ الأمم صعوداً وهبوطاً، يجد مصداق ذلك جلياً، فيستقيم حالهم ما استقاموا، فإذا غيروا عن سلوك الأخلاق التي تدعوا إلى الفضيلة غير الله عليهم الحال جزاء وفاقاً(١)، فزالت تلك الحضارات والأمم .

وليس المقصود بسقوط الحضارات في القرآن زوال تلك الأمم من الوجود وفناء أفرادها على الدوام، إنما قد يكون السقوط والهلاك بالانهيار الداخلي لتلك الأمم، وذهاب قوتها وعزتها وهوانها على الأمم، حين تذوب في غيرها وتنمحي شخصيتها وهويتها .

والثابت بالتتبع التاريخي للأمم أن منها من لم ينقرض كيانها ويندثر وجودها البشري كلية، وإنما ضعفت واستكانت، وغاب تأثيرها المباشر في مسرح الحياة

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون (٣٤٦).

الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، فاستوعبتها حضارات أخرى هي أشد وأبقى، فأنشئت على كيانها حضارات جديدة تسلمت الريادة والسيادة(١).

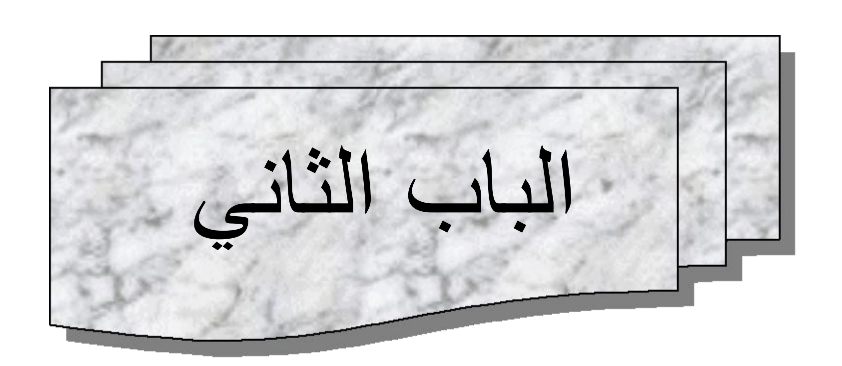
وفي الصحيح(٢) أن النبي ﷺ حين مر بحجر ثمود في خروجه إلى تبوك، وجه أمته إلى الاعتبار بآثارهم (وأن يتذكروا غضب الله على الذين كذبوا رسوله، وأن لا يغفلوا عن مواطن العظة برسومها الدارسة، وأطلالها القديمة، ونهاهم عن الانتفاع بشيء من ربوعها حتى الماء، لكيلا تفوت بذلك العبرة، وتخف الموعظة، وأمرهم بالبكاء والتباكي، تحقيقاً للتأثر بعذاب الله، فإن الغابرين شهدوا معجزات الأنبياء ودلائل نبوتهم، لكن قست قلوبهم فاستهانوا بها، وحق عليهم العذاب، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون من نقمة الله وغضبه) (٣)، فليحذر من بعدهم من أن يصيبهم بذنوبهم ما أصاب من قبلهم، سنّة من سنن الله تعالى.



(١) انظر: سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها (٢١٩) .

(٢) انظر: البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنه. كتاب: المغازي. باب: نزول النبي ﷺ الحجر (٤٤١٩). مسلم. كتاب: الزهد والرقائق. باب: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين (٢٩٨٠) (٢٩٨١) .

(٣) السيرة النبوية، د/ علي الصلاَّبي (٨٢٣).




# سنــــة التدافــــع

<u>وفيه خمســة فصول</u> :

- الفصل الأول: **التدافع لغة واصطلاحاً.**
- الفصل الثاني: **مظاهر التدافع.**
- الفصل الثالث: **حديث القرآن عن سنة التدافع.**
- الفصل الرابع: **موقف الناس من سنة التدافع.**
- الفصل الخامس: **حكم وآثار سنة التدافع.**



# الفصل الأول

## التدافع لغةً واصطلاحاً

وفيـــه ثلاثـــة مباحـــث :

- المبحث الأول: التدافــع لغـــــة.
- المبحث الثاني: التدافع اصطلاحاً.
- المبحث الثالث: مرادفات التدافع ومقابلاته في القرآن.

* * * * * *

## المبحث الأول: التدافع لغة

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية التي عنيت بإبراز معاني الألفاظ العربية مطلقاً، أو التي اختصت باللفظ القرآني يمكن الوصول إلى معنى التدافع.

قال ابن منظور ~ : ( الدفع: الإزالة بقوة. وتدافعوا الشيء: دفعه كل واحد منهم عن صاحبه. وتدافع القوم: دفع بعضهم بعضا. واستدفعت الله الأسواء: أي طلبت منه أن يدفعها عني، وفي حديث خالد: أنه دافع الناس يوم مؤتة: أي دفعهم عن موقف الهلاك.

وتدفع السيل واندفع: دفع بعضه بعضاً )[1].

وبنحو ما مضى ذكر صاحب القاموس المحيط[2].

وقال الراغب: ( الدفع إذا عدي بـ (إلى) اقتضى معنى الإنالة، نحو قوله تعالى:

﴿ فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ ﴾ [النساء:٦]، وإذا عدي بـ (عن) اقتضى معنى الحماية، نحو: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ ﴾ [الحج:٣٨]، وقال: ﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ﴾ [الحج:٤٠]، وقوله: ﴿ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ ﴾ [المعارج: ٢،٣] أي: حام. والمدُفَّع: الذي يدفعه كل أحد، والدفعة من المطر، والدفاع من السيل )[3].

واختصره أبو البقاء المكي[4].

قلت: أصل: ( تدافع ) الفعل الثلاثي المجرد، ( دَفَع ) وهو يفيد معنى التفرد من واحد مقابل آخر أو أكثر، نحو: دفع الله عنا الشرور، ومنه قراءة من قرأ ﴿

(١) لسان العرب، ابن منظور (٢٧٤/٥) بتصرف.

(٢) انظر: القاموس المحيط، الفيروز أبادي (٢٧/٣).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني (٣١٦).

(٤) انظر: الكليات، أبوالبقاء (٤٥٠).

إِنَّ ٱللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾[1] [الحج:٣٨]، بفتح الياء من غير ألف .

أما ( التدافع ) فهو فعل خماسي مزيد على وزن تفاعل، وهو يفيد معنى المشاركة بين اثنين أو أكثر، ولا يكون إلا لازماً، نحو: تدافع القوم، أي: اشتركوا في التدافع فيما بينهم[2].

فتحصل: أن الدفع معناه: الإزالة بقوة. وهو إما أن يكون من واحد لحظ نفسه نحو: دفع زيد عن نفسه، كقوله تعالى: ﴿ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ ﴾ [آل عمران:١٦٨]، أو يكون لحظ غيره فيعدى بـ (عن)، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [الحج:٣٨]، فيكون المعنى: أزال الله عن الذين آمنوا حماية لهم.

وإما أن يكون بمعنى المشاركة في الدفع وهو ( التدافع ) على وزن ( تفاعل )، فيدل مع الإزالة بقوة على المشاركة والمقابلة في ذلك من اثنين فأكثر، نحو: تدافع القوم: أي: دفع بعضهم بعضاً وأزال بعضهم بعضاً.



(١) قراءة أبي عمرو، وابن كثير، انظر: البحر المحيط (٤٥٣/٦)، المحرر الوجيز (٢٢٧).

(٢) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، باب أبنية المصادر (٦٨/٢، ٧١)، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام (٢٣٦/٣، ٢٤٠)، وانظر كتاب: همع الهوامع شرح جمع الجوامع، في الأصول، السيوطي (٢٦٧/٣) .

## المبحث الثاني: التدافع اصطلاحًا

بعدما سبق في مبحث التدافع وبيان أصل هذا اللفظ ومعانيه، نقول: ورد النص على هذه السنة في سورتين من كتاب الله ، الأولى: سورة البقرة: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [البقرة:٢٥١]، والثانية: سورة الحج: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحج:٤٠]، وقد صح في لفظ الدفع قراءتان:

١- دِفَاعُ (قرأه نافع[١] بألف وكسر الدال) [٢]، على (اعتبار أن كلاً من أهل الحق المصلحين، وأهل الباطل المفسدين يقاوم الآخر ويقاتله) [٣] ويدافعه.

٢- دَفْعُ (قرأه الباقون بفتح الدال من غير ألف، ساكن الفاء) [٤]، (على اعتبار أنه منه سبحانه، إذ كان سنة من سننه في الاجتماع البشرى) [٥].

وعلى القراءتين جميعاً، فإنا نستفيد معنى التدافع من قوله تعالى فيهما: ﴿ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ ؛ ليكون المعنى: (لولا أن الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم، لغلب المفسدون، وفسدت الأرض) [٦]. وسواء سميناها سنة التدافع لما سبق، أو سميناها سنة الدفع، بالنظر إلى عمل كل دافع على حده، أو بالنظر إلى محصلة التدافع بدفع المصلح للمفسد، أو بنسبة ذلك إلى الله تعالى، لأنه الذي قدرها سبحانه وسنها، بل وأمر بها المؤمنين كما في قراءة الجمهور الماضية ،وقراءة

(١) نافع بن أبي نعيم الليثي المدني، مولاهم، كان إمام القراء في وقته، ولد سنة ٧٠هـ، وتوفي سنة ١٦٩هـ. انظر: السبعة. ابن مجاهد (٥٣)، معرفة القراء الكبار. الذهبي (٢٤١/١) .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب (٣٠٤/١).

(٣) تفسير المنار (٤٩١/٢).

(٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع (٣٠٤/١).

(٥) تفسير المنار (٤٩١/٢).

(٦) الكشاف (١٤٣).

ابن كثير[1] وأبي عمرو[2] في آية الحج: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [الحج:٣٨] بفتح الياء وإسكان الدال من غير ألف. قال مكي بن أبي طالب[3]~: ( وحجة من قرأ بغير ألف، أنه جعل الفعل من واحد، وهو الله جل ذكره، يدفع عمن يشاء )[4].

وقد أشارت كثير من الآيات القرآنية إلى سنة التدافع في صورها المختلفة المبثوثة في صفحات الكون، لا في الإنسان فحسب، بل حتى في الأفلاك السيارة كتدافع آيتي الليل والنهار. وعرفنا بالنظر والتأمل جوانب من هذه السنة سواء في داخل الإنسان، أو فيما حوله من المخلوقات، لذا يمكن أن نقول في تعريف سنة التدافع بمفهومها الاصطلاحي العام:

ظاهرة كونية إلهية، تنشأ من احتكاك المتدافعين، إما بسبب اختلاف التصورات أو الطباع بدرجات متفاوتة من القوة.

فالتدافع يمثل حركة إيجابية تحصل للإنسان أو الحيوان أو غيرهما من مكونات الكون كالكواكب مثلاً، وهذه الحركة هي في حقيقتها صورة من الاحتكاك الذي يعدل الأوضاع ويمنع الفساد، ويكون ناتجاً عن تصورات مبنية على أفكار أو معتقدات متباينة إلى حد التناقض كما في الإنسان مما هو داخل في مقدوره، أو يكون ناتجاً عن قوانين وموازين إلهية أخرى هي طبائع الأشياء التي أودعها الله

(١) الإمام أبو عبد الله بن كثير بن المطلب، مولى عمرو بن علقمة، الكناني المكي، إمام المكيين في القراءة. ولد سنة ٤٥هـ، وتوفي سنة ١٢٠هـ. انظر: معرفة القراء الكبار (١٩٧/١)، غاية النهاية. ابن الجزري (٤٤٣/١) .

(٢) أبو عمرو، زبَّان على ما رجحه الذهبي، المازني، النحوي، البصري، إمام العربية والإقراء، مقريء أهل البصرة. ولد سنة ٦٨هـ، وتوفي سنة ١٥٤هـ. انظر: معرفة القراء الكبار (٢٢٣/١)، غاية النهاية (٢٨٨/١) .

(٣) أبو محمد، مكي بن أبي طالب بن حموش بن محمد بن مختار القيسي المقريء. ولد سنة ٣٥٥، وتوفي سنة ٤٣٧. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي (٥٩١/١٧)، الأعلام، الزركلي (٢٨٦/٧) .

(٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع (١٢٠/٢).

فيها، فيحصل التدافع بدرجات متفاوتة من القوة، حتى يتوج هذا التدافع في نهايته بغلبة المتسق مع سنن ونواميس إلهية معينة، تعمل باضطراد في حركة هذا الكون المترامي الأطراف، لحفظ توازنه واستقامة أمره، والأخذ بناصيته شطر الحق والعدل والصواب بعد كل شرود وانحراف[1].



(١) انظر:حوار الحضارات ، عطية فتحي الويشي (٨٦)، مقومات التصور الإسلامي (٣٧٧).

## المبحث الثالث: مرادفات التدافع ومقابلاته في القرآن الكريم

مضت سنة الله تعالى في عباده، أن كل نبي يبعث بلسان قومه، ليكون ذلك ادعى لقبول دعوته، وتبليغه رسالات ربه، كما نص الله تعالى على ذلك في كتابه، قال تعالى:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ [إبراهيم:٤] (أي: وما أرسلنا رسولاً إلى أمة من الأمم قبلك وقبل قومك إلا بلغة الذين أرسلناه إليهم، ليفهمهم ما أرسل به إليهم من أمره ونهيه بسهولة ويسر، ولتقوم عليهم الحجة وينقطع العذر) [(١)].

فكانت الرسالة الخاتمة بأوسع اللغات وأشملها وأعلاها، لغة العرب في وقت بلغت فيه هذه اللغة الذروة والكمال في البيان والإيضاح والبلاغة. فناسب ذلك اتساع دائرة المخاطبين بالرسالة المحمدية لتشمل الناس كافة، فبلغت الغاية في جنس المخاطبين من جهة، واكتمال الرسالات الإلهية بهذه الرسالة من جهة أخرى.

قال الشافعي ~ : ( لسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظاً، ولا نعلم يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها حتى لا يكون موجوداً فيها من لا يعرفه ) [(٢)].

وألفاظ القرآن الكريم بتراكيبها البديعة، ومعانيها البليغة، جاءت على أبلغ الألسنة العربية، لسان قريش، الذي جمع أفصح ما في ألسنة العرب، لكن في نظم إلهي أعجز الفصحاء، وأعيى البلغاء منهم ومن غيرهم، قال تعالى في سياق التحدي بكتابه سبحانه: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء:٨٨].

(١) تفسير المراغي (١٢٦/١٣)، وانظر: الكشاف (٥٤٤)، في ظلال القرآن (٢٠٨٧/٤)، تفسير السعدي (٤٢١).

(٢) الرسالة، الشافعي (٢٧).

لذا كان كل لفظ قرآني لا يقوم مقامه سواه في سياقه، والحرف لا يؤدي معناه حرف آخر، بل الحركة والنبرة تأخذ مكانها الخاص في هذا النظم المعجز[1]، وما محاولات المفسرين المشكورة، وجهودهم المباركة، إلا محاولة لكشف بعض معاني اللفظ القرآني كشفاً يفهم المعنى ويحصل به التعبد. قال الراغب: ( وجعل معجزة هذا الكتاب أنه مع قلة الحجم متضمن للمعنى الجم، بحيث تقصر الألباب البشرية عن إحصائه، والآلات الدنيوية عن استيفائه، كما نبه عليه بقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [لقمان:٢٧])[2]، فالتفسير إنما هو تقريب لمعاني ألفاظ القرآن، وليس على وجه التحديد الدقيق لمعنى اللفظ القرآني[3].

وهذا المبحث لا يبحث الترادف[4] كما يراه الأصوليون[5] وأرباب اللغة[6]، من تعدد الألفاظ لمعنى واحد، بحيث يمكن أن يقام كل لفظ مقام صاحبه فيفيد نفس

(١) انظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة بنت الشاطئ (٨/٢)، الفروق اللغوية، محمد الشايع (١٧٧).

(٢) المفردات (١٥٣).

(٣) انظر: الفروق اللغوية (١٧٧)، مقدمة في أصول التفسير ، ابن تيمية (٥١).

(٤) مسألة الترادف من المسائل التي كثر فيها الخلاف وتعددت فيها الأقوال، وخلاصة الأقوال فيها:

القول الأول: وجود الترادف في اللغة وفي القرآن. ومن أشهر من قال به: ابن الأثير الكاتب، وابن العربي المالكي، ومن المتأخرين صبحي الصالح.

القول الثاني: نفي وجود الترادف في القرآن، وهو قول الجمهور، واختلفوا في وجوده في اللغة. ومن أشهر من قال بنفيه في القرآن: ابن تيمية، والراغب الأصفهاني، وابن عطية، ومن المتأخرين: عائشة بنت الشاطئ. راجع للتوسع بحث: الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، د/محمد الشايع (١٦٣-٢١١).

(٥) انظر: شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، القرافي (٣١)، المستصفى، الغزالي (٣١/١) .

(٦) انظر: الكتاب، سيبويه (٢٤/١)، المخصص. ابن سيده (٢٦٠/١٣) .

المعنى، إنما يكتفى فيه بالإشارة إلى ما دل على معنى للتدافع في القرآن على سبيل التمثيل لا الحصر؛ لأن اللفظ القرآني أوسع من أن يحاط به كما سبق.

**المطلب الأول: المرادفات:**

سأبدأ بذكر اللفظة التي تدل على التدافع أولاً، ثم أذكر المقابلات، ذاكراً من أقوال أهل العلم ما يدل على ذلك.

١- ( الدفع ) :

وردت هذه اللفظة في القرآن بمعنى التدافع في ستة مواضع[١] بصيغ مختلفة، اشتملتها سور مكية ومدنية. فجاءت بصيغة الأمر للمفرد (ادفع) في سورتين مكيتين هما (المؤمنون) و(فصلت)، آمرة المؤمنين بمقابلة السيئة بالحسنة، والصفح عمن جهل، قال تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت:٣٤].

قال ابن كثير ~ : ( ثم قال مرشدا له إلى الترياق النافع في مخالطة الناس، وهو الإحسان إلى من يسيء ليستجلب خاطره، فتعود عداوته صداقة وبغضه محبه، فقال: (ادفع بالتي هي أحسن السيئة ) وهذا كما قال في الآية الأخرى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ ... فعاملوهم بالجميل مع إسدائهم إليهم القبيح )[٢]. فأمر النبي ﷺ وأمته بمدافعة الإساءة من الجاهلين، سواء في ذلك الحسية أو المعنوية، بالإحسان إليهم استمالة لقلوبهم، وترفعاً عن جهلهم، تحقيقاً لقول الله تعالى في مدح عباده: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان:٦٣].

وجاءت هذه اللفظة بصيغة الأمر للجمع ( ادفعوا ) في سورة آل عمران

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (٣٢٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٩٢/٥).

وهي مدنية: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ ﴾ [آل عمران:١٦٧]، حاكية قول عبد الله بن عمرو بن حرام ﷺ ، لمن رجع بجزء من جيش المسلمين وهو عبد الله بن أبي رأس النفاق، وكان ذلك في معركة أحد. فـ ( ادفعوا ) في الآية معناه: كثروا السواد وإن لم تقاتلوا، فيندفع القوم لكثرتكم، وقيل: رابطوا. ولا ريب أن المرابط مدافع، لأنه لولا مكان المرابطين في الثغور لجاءها العدو، والمكثر للسواد مدافع. وذهب بعض المفسرين إلى أن ابن حرام ﷺ إنما قال ذلك استدعاء لهم للقتال حمية، لأنه دعاهم إلى القتال في سبيل الله ، فلما رأى أنهم ليسوا أهلا لذلك، عرض عليهم الوجه الذي يحشمهم ويبعث الأنفة فيهم، وهو أن يقاتلوا دفاعاً عن الحوزة. قاله ابن عطية ~ [١].

ووردت أيضاً بصيغة المضارع ( يدافع ) في سورة الحج، للدلالة على استمرار دفع الله سبحانه عن أولياءه، كما قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [الحج:٣٨]، قال الزمخشري: ( خص المؤمنين بدفعه عنهم، ونصرته لهم كما قال: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وقال: ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴾ ، وقال: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ ﴾ وجعل العلة في ذلك أنه لا يحب أضدادهم،وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها، ومن قرأ (يدافع) فمعناه: يبالغ في الدفع عنهم كما يغالب من يغالب فيه، لأن المغالب يجيء أقوى وأبلغ ) [٢].

وجاءت بصيغة المصدر ( دفع ) في موضعين، مشيرة إلى سنة التدافع ضمانا لصلاح المعاش، وحفظ التوازن في الحياة ، قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

قال ابن عطية ~: ( أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لولا دفعه بالمؤمنين به في صدور الكفرة على مر الدهر لفسدت الأرض ، لأن الكفر كان يطبقها،

(١) انظر: المحرر الوجيز (٣٨٠).

(٢) الكشاف (٦٩٦).

ويتمادى في جميع أقطارها، والله تعالى لا يخلي الزمان من قائم بحق، وداع إلى الله، ومقاتل عليه إلى أن جعل ذلك في أمة محمد ﷺ إلى قيام الساعة، له الحمد كثيرا )[1].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ ﴾ [الحج:٤٠]، فأذن تعالى للمظلومين في قتال الظالمين ومدافعتهم بالقوة ، لئلا يستشري الفساد في الأرض، وتنتهك الحرمات، وتضيع معالم الخير، بضراوة أهل الظلم والطغيان، وتعديهم على مواضع العبادة وتخريبها، وذلك عنوان على أقبح صور الإفساد في الأرض، لأنه هتك لسياج الحرمات الفردية والجماعية في أقدس مقدساتها[2].

٢- ( الجهاد ):

تكرر هذا اللفظ في القرآن في إحدى وثلاثين موضعاً، بصيغ مختلفة ، دالة على معنى التدافع، إذ الجهاد معناه: بذل الجهد واستفراغه في مدافعة العدو[3]. يستوي في ذلك العدو الظاهر، والعدو الباطن. فالجهاد في القرآن ليس مقصوراً على المدافعة الظاهرة بالسلاح المعبر عنها فيه بـ (القتال)، بل هو شامل للعدو الظاهر والباطن، وبكل ممكن من يد ولسان ومال، كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه : (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)[4]، لذا تكرر استخدام لفظ الجهاد في سور مكية ولم يكن ثم قتال.

قال الراغب ~ : ( والجهاد ثلاثة أضرب:

---

(١) المحرر الوجيز (٢٢٧).

(٢) انظر: القرآن العظيم هداية وإعجاز، محمد صادق عرجون (٣٠٨).

(٣) انظر: المفردات (٢٠٨).

(٤) أحمد في مسند أنس بن مالك رضي الله عنه (١٢٢٤٦) (١٢٥٥٥) (١٣٧٣٨). والنسائي. كتاب: الجهاد. باب: وجوب الجهاد (٣٠٩٨). أبو داود. كتاب: الجهاد. باب: كراهية ترك الغزو (٢٥٠٤). وصححه ابن حبان (٤٦٨٨)، والحاكم (٢٤٧٢)، والألباني في صحيح أبي داود (٢١٨٦).

مجاهدة العدو الظاهر، مجاهدة الشيطان، مجاهدة النفس.

وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ﴾ ، ﴿ وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾)[1].

وقال تعالى في سورة الفرقان وهي مكية: ﴿ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾ ، فأمر الله نبيه ﷺ والأمر لأمته من بعده أن يستفرغوا وسعهم في مدافعة الكافرين والمبطلين، ونصرة الحق وقمع الباطل، قال السعدي ~: ( لا تبق من مجهودك في نصر الحق وقمع الباطل إلا بذلته، ولو رأيت منهم من التكذيب والجرأة ما رأيت ، فابذل جهدك واستفرغ وسعك ولا تيأس ) [2].

٣- ( القتال ):

والمقاتلة: المحاربة وتحري القتل، وهو من المفاعلة[3]. وقد وردت هذه اللفظة في القرآن بمعنى التدافع الظاهر باليد، وجاءت في صيغ متعددة:

فجاءت على اسم الفاعل، إحدى عشرة مرة: قاتل، قاتلكم، قاتلهم، قاتلوا، قاتلوكم. وجاءت بلفظ: تقاتل، تقاتلوا، تقاتلون، تقاتلونهم، تقاتلوهم، تسع مرات.

ولفظ: يقاتل، يقاتلوا، يقاتلوكم، يقاتلونكم، سبع عشرة مرة .

وبلفظ الأمر: قاتل، قاتلا، قاتلوهم، أربع عشرة مرة.

وبلفظ: قوتلتم، قوتلوا، يُقاتلون، ثلاث مرات.

وبلفظ: اقتتل، اقتتلوا، يقتتلان، أربع مرات.

وبلفظ: القتال، ثلاث عشرة مرة[4]، فتحصل من كل ذلك إحدى وسبعين مرة،

---

(١) المفردات (٢٠٨) .

(٢) تفسير السعدي (٥٨٥).

(٣) المفردات (٦٠٥).

(٤) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (٦٤٤).

وما ذاك إلا لأهميته وتأكيد أمره.

وكل هذه الألفاظ جاءت في سور مدنية، أي في مرحلة الإذن بالقتال. قال ابن جرير ~ في قوله تعالى: ﴿ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ ﴾ [البقرة:١٩١]: (فإن بدأوكم به هناك عند المسجد الحرام في الحرم فاقتلوهم، فإن الله جعل ثواب الكافرين على كفرهم وأعمالهم السيئة، القتل في الدنيا والخزي الطويل في الآخرة ... فأذن لهم بقتالهم، إذا كان ابتداء القتال من المشركين، قبل أن يقتلوا منهم وبعد أن يقتلوا منهم قتيلاً، وقد نسخ الله تعالى ذكره هذه الآية بقوله: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [البقرة:١٩٣]، وقوله: ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة:٥] )[(١)].

وقال السعدي ~ في قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ ﴾ [الحج:٣٩]: (أذن الله لهم بقتال الذين يقاتلون ، وإنما أذن لهم لأنهم ظلموا) [(٢)].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف:٤]، فأكد تعالى الإخبار بمحبته للمقاتلين في سبيله صفاً، مظهرين للجد في كل موطن من مواطن القتال وأحواله، وإنما ذكر هذه الصفة وهي الصف بتراص في نحر العدو دون غيرها، لأنها أشد أحواله، فمن بلغ جده إلى هذه الصفة في هذه الحالة حري ألا يقصر عن أي حال أخرى[(٣)].

٤- ( المحاجة ):

وهي أن يطلب كل واحد أن يرد الآخر عن حجته ومحجته[(٤)]، وقد وردت في القرآن بصيغ مختلفة في ثلاثة عشر موضعاً: حاج، حاججتم، حاجك، حاجه،

---

(١) تفسير الطبري (٢/١٩٨).

(٢) تفسير السعدي (٥٣٩).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (١٨٥٢).

(٤) انظر: المفردات (٢١٩).

حاجوك، تحاجوا، أتحاجوننا، يحاجوكم، يحاجون، يتحاجون[1].

قال ابن عطية ~ في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ ﴾ [البقرة:١٣٩] (أي: أتجادلوننا الحجة على دعواكم) [2]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ ﴾ [غافر:٤٧]، فيخبر تعالى عن تخاصم أهل النار، وتدافعهم التهمة بينهم، وعتاب بعضهم لبعض[3]. ومثله قوله تعالى: ﴿ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ ﴾ [سبأ:٣١].

٥- ( المجادلة ):

وهي المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، من جدلت الحبل، أي: أحكمت فتله، كأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه، وقيل من الجدال، أي: الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه[4].

وقد تكرر في القرآن بصيغ مختلفة تسعاً وعشرين مرة: جادلتم، جادلتنا، جادلوا، جادلوك، تجادل، تجادلك، تجادلوا، تجادلونني، يجادل، يجادلنا، ليجادلوكم، يجادلون، يجادلونك، جادلهم، جدلاً، جدال، جدالنا[5].

قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الحج:٦٨]، أي: (إن أبو للجاجهم إلا المجادلة بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع، فادفعهم بأن الله أعلم بأعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء، فهو مجازيكم به) [6].

٦- ( المدارأة ):

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (٢٣٧).

(٢) المحرر الوجيز (١٣٧).

(٣) انظر: تفسير السعدي (٧٣٩).

(٤) انظر: مفردات القرآن (١٩٠).

(٥) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (٢٠٢).

(٦) الكشاف (٧٠١).

من دارأته أي: دافعته[١]، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ [البقرة:٧٢] أي: تدافعتم التهمة فيها[٢]. وقد جاءت في القرآن خمس مرات بصيغ مختلفة: يدرأ، يدرؤون، فادرؤوا، فادارأتم[٣]. قال تعالى: ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ [القصص:٥٤]، قال ابن جرير: (ويدفعون بحسنات أفعالهم التي يفعلونها سيئاتهم)[٤].

**المطلب الثاني: مقابلات التدافع:**

سبق في بيان معنى التدافع لغة: أنه المفاعلة بالإزالة بقوة من متقابلين أو أكثر، فالمقابل له في المعنى: ماخلا من تلك المفاعلة بالإزالة فلزم حالة السكون والخضوع، وقد جاء هذا المعنى في القرآن الكريم بألفاظ مختلفة سأشير إلى بعضها:

**١- ( الذِّل ):**

وهو ما كان عن قهر، يقال: ذل يذل ذُلّاً[٥]: والذليل في الناس: هو الفقير الخاضع المهان[٦]، وهي حالة حين يلبسها الإنسان تلزمه حالة السكون والخضوع المقابل للتدافع، قال الراغب: ( وقوله تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ أي: كن كالمقهور لهما، وقرئ "جناح الذِّلِّ" أي: لن وانقد لهما )[٧].

وفي الدواب يقال: ذلت الدابة، أي: طاوعت ولزمت حالة الانقياد بعد أن كانت شماسًا، أي: مدافعة بمنع ظهرها والانقياد لقائدها، ومنه قوله تعالى في سياق

(١) انظر: المفردات (٣١٣).

(٢) انظر: الكشاف (٨٢)، المحرر الوجيز (١٠١).

(٣) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (٣١٤) .

(٤) تفسير الطبري (٨٦/١)، وانظر: المحرر الوجيز (١٤٤٥).

(٥) انظر: المفردات (٣٣٠).

(٦) انظر: الكليات، أبو البقاء (٤٦٣).

(٧) المفردات (٣٣٠).

الامتنان على عباده بتسخير الأنعام لهم: ﴿ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ [يس:٧٢] وقال تعالى في النحل: ﴿ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾ [النحل:٦٩]، أي: منقادة غير متصعبة[١].

وقد وردت هذه اللفظة في مواضع من القرآن بصيغ مختلفة دالة على ما مضى: ذللناها، تُذلُّ، الذُّلِ، ذِلَّةٌ، أذلة، الأذلين.

قال تعالى في شأن اليهود: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ [البقرة:٦١]، قال ابن جرير ~: (الذلة: هي الصغار الذي أمر الله جل ثناؤه عباده المؤمنين أن لا يعطوهم أماناً على القرار على ما هم عليه من كفرهم بالله وبرسوله، إلا أن يبذلوا الجزية عليه لهم)[٢]، فأهل الذمة قد لزموا حالة الخضوع والسكون تحت حكم الإسلام، وجعل ذلك شرطاً في إعطائهم الأمان، لذا متى بدر منهم ما يخالف ذلك بطل عهدهم.

وقال الزمخشري: ( جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم، فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه... فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة ومدقعة )[٣].

**٢- ( الإسلام ):**

هو الانقياد بالخضوع وترك الممانعة كما قال ابن جرير ~ [٤].

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن بهذا المعنى في صيغ مختلفة: يسلموا، أسلم، أسلما، أسلمت، ءأسلمتم، أسلمنا، أسلموا، تسلمون، لتسلم، يسلمون، مسلماً،

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) تفسير الطبري (٣٥٦/١).

(٣) الكشاف (٧٩)، وانظر: المحرر الوجيز (٩٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢١٢/٣) .

مسلمين، مسلمون، مستسلمون[1].

قال ابن جرير ~ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران:١٩]: (الطاعة له، وإقرار الألسن والقلوب بالعبودية والذلة، وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهي، وتذللها له بذلك، من غير استكبار عليه، ولا انحراف عنه، دون إشراك غيره من خلقه معه في العبودية والألوهية) [2].

وقال تعالى: ﴿ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ ﴾ [الفتح:١٦]، فهذا خطاب للأعراب المتخلفين عن الجهاد مع رسول الله ﷺ أنهم سيدعون لقتال من يقاتل المسلمين من أهل البأس الشديد، وأن غاية ذلك أن يثخنهم المسلمون فيضعفوا ويذلوا، ويذهب بأسهم، فعند ذلك يكفُّون عن المدافعة إما بالدخول في الإسلام، وإما بإعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون[3].

**٣- ( الوهن ):**

هو الضَعْفُ، من قول القائل: وهن فلان في هذا الأمر فهو يهن وهنا[4]، أي: ضعف فيه، وقد جاءت هذه اللفظة مفيدة ترك التدافع والضعف عنه في القرآن بصيغ مختلفة: وهنوا، تهنوا، أربع مرات[5]، حاثة المؤمنين على الاستمرار في مدافعة الكافرين ومجاهدتهم، مسلية لهم على ما أصابهم من القرح، مذكرة لهم بأنهم المنصورون على عدوهم الأعلون على من سواهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ ﴾ [آل عمران:١٣٩]، قال ابن عطية رحمه لله: ( نهى ﷻ المؤمنين عن الوهن لما أصابهم بأحد، والحزن

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (٤٣٧).

(٢) تفسير الطبري (٣/٢١٢).

(٣) انظر: الكشاف (١٠٢٦)، تفسير ابن كثير (٧/٣٣٩)، تفسير السعدي (٧٩٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٣/٤٤٦)، المفردات (٧٨٧).

(٥) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (٨٥٧) .

على من فقد وعلى مذمة الهزيمة، وأنسهم بأنهم الأعلون أصحاب العاقبة، والوهْن والوَهن: الضعف واللين والبلى ) [(١)]. وقال في قوله تعالى: ﴿ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ﴾ [آل عمران:١٤٦] أي: (لم يكسبوا من العجز والإلقاء باليد ما ينبئ عن ضعفهم)[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ [محمد:٣٥]، قال الزمخشري:
(لا تهنوا: لا تضعفوا ولا تذلوا للعدو ) [(٣)]، وقال السعدي: ( لا تضعفوا عن قتال عدوكم، ويستولي عليكم الخوف، بل اصبروا واثبتوا، ووطنوا أنفسكم على القتال والجلاد ) [(٤)].

**٤- ( الخشوع ) :**

أصله: التواضع والتذلل والاستكانة، يقال: خشعت جوارحه: أي: سكنت بعد حركة[(٥)]، وهو مقابل للتدافع لأنه ضد الحركة، قال ابن عطية: ( الخشوع: هيئة في النفس يظهر منها على الجوارح سكون وتواضع ) [(٦)].

وقد تكرر هذا اللفظ في القرآن بصيغ مختلفة: خشعت ، تخشع، خشوعاً، خاشعاً، خاشعون، خاشعين، خشعاً، خاشعة، الخاشعات[(٧)]، قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [طه:١٠٨]،وذلك يوم يبعثون من قبورهم، يقومون منها خائفين خاضعين، يتبعون

(١) المحرر الوجيز (٣٥٩)، وانظر: الكشاف (١٩٦).
(٢) المحرر الوجيز (١٠٢٣)، وانظر: الكشاف (١٩٨).
(٣) الكشاف (١٠٢٣).
(٤) تفسير السعدي (٧٩٠).
(٥) انظر: تفسير الطبري (٣٠٠/١)، المفردات (٢٨٣).
(٦) المحرر الوجيز (٨٣).
(٧) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (٢٨٦).

الداعي مهطعين إليه مطاوعين، خاشعة أصواتهم للرحمن، لا يسمع في ذلك الموقف الرهيب إلا وطء الأقدام، أو المخافتة سرا، يأسرهم الخشوع والسكون والإنصات [(١)].

**٥- ( الضَّعف ) :**

وهو ضد القوة، وقد ضعف فهو ضعيف، ويكون في النفس، وفي البدن، وفي الحال ، قال تعالى: ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ [الأنفال: ٦٦]، وقال: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص:٥] [(٢)].

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن مقابلة للتدافع بصيغ مختلفة: اسْتَضْعَفُوني، يَستَضْعفُ، استضعفوا، يُستَضعفون، مُسْتَضْعفون، المستَضعفين[(٣)].

قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ [النساء:٧٥].

قال الزمخشري: ( المستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين، يلقون منهم الأذى الشديد، وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرون ) [(٤)]، فعجز أولئك عن المدافعة الظاهرة حتى في أبسط صورها وهو الفرار بدينهم من الأذى الحسي، ولم يجدوا لهم خلاصاً إلا سلاح الدعاء الذي لا يخيب، لذا قال تعالى بعد هذه الآية في بيان حقيقة المستضعفين أنهم الذين ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [النساء:٩٨]، وهو العجز عن كل أنواع التخلص[(٥)].

(١) انظر: تفسير السعدي (٥١٣).

(٢) انظر: المفردات (٥٠٦).

(٣) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (٥١٧).

(٤) الكشاف (٢٤٠)، وانظر: تفسير الطبري (١٧١/٤)، المحرر الوجيز (٤٥٥).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٤٧٢).

وقال تعالى عن هارون عليه السلام أنه اعتذر لأخيه موسى عليه السلام عن اتخاذ قومه معبوداً من دون الله وهو بين أظهرهم ﴿ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي ﴾ [الأعراف:١٥٠]، أي أنه لم يأل جهداً في كفهم بما بلغته طاقته من بذل القوة في مضادتهم ومدافعتهم، حتى قهروه واستضعفوه،ولم يبق إلا أن يقتلوه عليه السلام [(١)].

**٦- ( الخَبْتُ ) :**

هو: (البراح القفر المستوي من الأرض، كأن المخبت في القفر قد انكشف واستسلم وبقي دون منعة فشبه المتذلل الخاشع بذلك) [(٢)]، وحالة الإخبات من التذلل واللين والخشوع مقابلة لحالة التدافع، وقد جاءت هذه اللفظة في القرآن بصيغ مختلفة: أخبتوا، فتخبت، المخبتين[(٣)]، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ ﴾ [هود:٢٣]، أي: اطمأنوا إلى ربهم وانقطعوا إلى عبادته وخشعوا له وتواضعوا وذلوا له وأنابوا[(٤)].

**٧- ( الدُهْنُ ) :**

من الإدهان، وهو الملاينة وترك الجد والمهاودة فيما لا يحل، مأخوذ من الدهن ، شُبه التليين في القول والفعل بتليين الدُهن[(٥)].وهي حالة مقابلة للتدافع لأنها ترك الجد اللازم للتدافع.

وقد جاءت في القرآن مفيدة هذا المعنى في ثلاث صيغ: تدهن، يدهنون، مدهنون[(٦)]. قال تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩ ﴾ [القلم:٩]، أي: ود هؤلاء

---

(١) انظر: الكشاف (٣٨٩)، تفسير السعدي (٣٠٤).

(٢) المحرر الوجيز (٩٣٩)، وانظر: المفردات (٢٧٢).

(٣) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (٢٧٧).

(٤) انظر: الكشاف (٤٨١)، المحرر الوجيز (٩٣٩)، تفسير السعدي (٣٨٠).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٨٢/١٢)، المحرر الوجيز (١٨١٧)، المفردات (٣٢٠).

(٦) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (٣٢٤).

المشركون يا محمد لو تلين معهم وتصانعهم، فتترك مدافعتهم بالحجة، وتكفيرهم وعيب آلهتهم، (وتوافقهم على بعض ما هم عليه بالقول أو بالفعل أو بالسكوت عن بعض ما أمرت به)[1] فيلينون لك[2].



(١) تفسير الطبري (١٢/١٨٢).

(٢) انظر: الكشاف (١١٢٩)، تفسير السعدي (٨٧٩)، المحرر الوجيز (١٨٨٣).




# مظاهر التدافع

وفيــــه أربعــة مباحـــث :

- المبحث الأول: التدافع بين الإيمان والكفر.
- المبحث الثاني: التدافع بين الخير والشر.
- المبحث الثالث: التدافع بين السراء والضراء.
- المبحث الرابع: دفع الليل النهار والنهار الليل.

* * * * * *

## ۞ تمهيـــــد:

الإنسان بكل ما أودع الله فيه من قدرات، وما زوده به من إمكانات، إنما يعد حلقة في سلسلة المخلوقات التي خلقها الله ولا يحصيها إلا هو سبحانه، مما وجد وما هو موجود وما سيوجد في هذا الكون الشاسع الواسع، قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنعام:١]، وقال سبحانه: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنعام:١٠١]، غير أن هذا المخلوق الإنسان ميز على غيره من المخلوقات بميزات تمكنه من القيام بالدور الذي أنيط به، وهو القيام بعمارة الأرض، وتحقيق العبودية لله سبحانه اختياراً.

فأعطي العقل وقنواته من السمع والبصر التي تمكنه من فهم ما يدور حوله، وتجعل له القدرة على التمييز بين الحق والباطل والنافع والضار، وسلوك طريق الإيمان أو التنكب عنه وسلوك طريق المغضوب عليهم والضالين، قال تعالى في سياق الامتنان على بني آدم بهذه النعمة التي تميزهم عن غيرهم: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل:٧٨]، فأعطاهم سبحانه إياها، وجعل ينميها فيهم شيئًا فشيئًا إلى أن وصل كل عبد إلى الحالة اللائقة به، لأجل أن يشكروا الله الذي أعطاهم بتحقيق العبودية له، والسير وفق المنهج الذي يريده منهم سبحانه[1].

وباستعمال الإنسان لتلك الأدوات في تأمله وتفكره، سواء في الكون حوله مما يمكنه أن يرصده ويشاهده، أو في حقائق الوحي التي ترشده إلى تأمل المشاهد، وتزوده بحقيقة غير المشاهد، ما يوصل الإنسان قطعاً إلى أن هذا الكون بكل مودعاته يسير وفق قانون ثابت دقيق، تنسجم مكوناته حتى يأخذ بعضها برقاب بعض في تناسق وانسجام فيما يسمى بالسنن الإلهية، فيسير المؤمن في

(١) انظر: تفسير السعدي (٤٤٥).

طريقه إلى الله ملاحظاً تلك السنن مراعياً لها مستفيداً منها غير متصادم معها، أو معتقد أنه يمكنه الخروج عن تلك المنظومة من السنن والاستقلال عنها.

والإنسان حين يتأمل حوله أو يرجع بفكره إلى ما في داخله من أحوال مختلفة تعتوره، أو يقف على المسار التاريخي لبني الإنسان، يدرك سنة التدافع التي تحكم الحياة لتحفظ لها توازنها واستمرارها. سنة التدافع التي ربط صلاح الأرض بها في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

فيمكن للمتأمل أن يدرك هذه السنة في الأحوال المتناقضة التي تعتوره بين الحين والآخر، مما يكون في مقدور الإنسان دفعه بحالة أخرى، أو مما ليس في مقدروه، مما يهجم عليه فيدفع عنه حالة بأخرى نتيجة لما يتعرض له في حياته من مواقف وأحداث.

كذلك يمكن للمتأمل أن يشاهد هذه السنة حتى في غير بني الإنسان من حيوانات ونحوها، حين يرصد تصرفاتها وتعاملها فيما بينها أو مع غيرها، أو فيما يعتورها هي أيضاً من أحوال نفسية، نتيجة لما تتعرض له من مواقف وأحداث؛ ليتيقن ما سبقت الإشارة إليه من أن هذه السنة من السنن العامة التي لا تقتصر على بني الإنسان.

وكذلك الأمم والحضارات في تدافع مستمر وحركة دائبة على مدى الأيام، فأمة ترتفع على حساب أخرى تنخفض، حضارة تزدهر، وأخرى تندثر، أمة قوية على حساب أخرى ضعيفة، أمة متغلبة وأخرى مغلوبة مقهورة، في تفاعل دائم لم يتوقف ولن يتوقف ، هذا بالنسبة لهذه السنة على المستوى الأممي .

كذلك هي مشاهدة في علاقات الأفراد فيما بينهم، وقد سجل القرآن الكريم صوراً من هذا التدافع كثيرة، منها قصة ابني آدم التي سجلت أول صورة من صور التدافع المزدوجة بالعنف من الطرف القاتل والحلم والصفح من الطرف المقتول، وما الجدال والحوار إلا صور من صور التدافع القائم بين الأفراد أو

الأمم، وقد أخذ مساحة واسعة من الآيات القرآنية، وهو الذي ينظم حياة الأفراد ويضمن لها الاستمرار والدوام داخل دوائر المنظومات الاجتماعية المختلفة.

وعلى مستوى الأسرة، نلحظ كذلك هذه السنة قائمة في علاقات أفراد الأسرة فيما بينهم، سواء في حال الاستقرار الأسري أو في حال الخلافات الأسرية، في علاقة الأزواج فيما بينهم، أو علاقة الآباء بالأبناء كلها قائمة على هذا القانون بأشكاله المختلفة من الحوار والجدال وغيرها من أشكال التدافع وصوره.

من خلال ما سبق إيضاحه تبين عموم هذه السنة وتعدد مجالاتها، لكن لعلي أشير قبل استعراض صورها في القرآن إلى أوضح مظاهرها مما يراه كل إنسان ويعيشه ولا يكاد يجهله وهي:

١- التدافع بين الإيمان والكفر.

٢- التدافع بين الخير والشر.

٣- التدافع بين السراء والضراء.

٤- دفع الليل النهار والنهار الليل.



## المبحث الأول: التدافع بين الإيمان والكفر

خلق الله سبحانه آدم أبا البشر عليه السلام بيده، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ [ص:٧٥]، فشرفه وكرمه واختصه بهذه الخصيصة التي اختص بها عن سائر الخلق[1].

ولم يقتصر الأمر على ذلك التكريم في طريقة الخلق، بل تعداه إلى كرامات متتالية ، فضل بها هذا المخلوق على ضعفه، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [ص:٧٢]، [الحجر:٢٩] فنفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له، تكريما وتشريفاً، فتبين أن هذا المخلوق ميز بكل تلك الكرامات لمهمة عظيمة ستناط به، وهي القيام بتحقيق العبودية لله، وإقامة حكمه في الأرض، عمارة لها وإصلاحاً فيها، وسخر له ما في السموات وما في الأرض مما حوله، وأرشده ووجهه بإرشادات وتوجيهات تشحذ همته وتقوي عزيمته ليخوض معركة شرسة تستمر عليه مدى الأيام والليالي، لا تفتر لحظة، ولا تقف دقيقة، توعد بها عدوه قبل أن يكون هذا المخلوق في عالم الأحياء[2].

وبدأت بالفعل تلك المعركة منذ اللحظات الأولى في حياته، واستمرت على أشدها معه ثم مع ذريته، وستستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. معركة بين معسكرين لا يجتمعان، الأول: معسكر الإيمان، وجنوده الأنبياء من آدم عليه السلام ثم ذريته من المؤمنين وعلى رأسهم الأنبياء والمرسلون. والمعسكر الآخر: معسكر الكفر، يقوده إبليس ومعه ذريته، ومن تبعه وأضله من البشر. تدافعاً مستمراً بين الإيمان والكفر في صور متعددة وأشكال متنوعة، منها الباطن ومنها الظاهر، منها المباشر ومنها غير المباشر.

ولقد سجل القرآن الكريم في آيات كثيرة منه التدافع بين الإيمان والكفر،

(١) انظر: تفسير السعدي (٧١٧).

(٢) انظر: البداية والنهاية (١/١٣٠).

وأخذ ذلك مساحة كبيرة منه، وبخاصة في عرض قصص الأنبياء وأتباعهم مع أعدائهم، بل يقرر القرآن استمرار هذا النوع من التدافع،وأنه لا يزال ما بقي إيمان وكفر وحق وباطل.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ ﴾ [البقرة:٢١٧]، فـ (أعلمهم أن أولئك المشركين لا هم لهم إلا منع الإسلام من الأرض، فترك قتالهم هو الذي يبيد الحق وأهله، وانتظار إيمانهم بمجرد الدعوة، طمع في غير مطمع، والقتال في الشهر الحرام أهون من الفتنة عن الإسلام، لو لم يحتف بها غيرها من الآثام، كيف وقد قارنها الصد عن سبيل الله والكفر به، والصد عن المسجد الحرام، وإخراج أهله منه، والاعتداء بالقتال والاستمرار عليه... وهكذا كان وهكذا يكون، فلا يزال الكفار يقاتلوننا ليردونا عن ديننا إن استطاعوا )[(١)].

فأخبر سبحانه أنهم لن يزالوا يقاتلون المؤمنين، لا غرض لهم في ذلك إلا أن يكونوا كفاراً بعد إيمانهم، وهو وصف عام لكل الكفار[(٢)]، وخصوصاً أهل الكتاب من اليهود والنصارى. والتاريخ خير شاهد بوقوف هاتين الأمتين في وجه أهل الإسلام، تتنوع وسائل قتالهم ومدافعتهم للمسلمين ولا تتغير مقاصدهم وأغراضهم،وكلما انكسر في أيديهم سلاح انتضوا غيره، وكلما كلت في أيديهم أداة شحذوا غيرها[(٣)].

وقال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ ﴾ [البقرة:٩]، فحذر الله عباده المؤمنين من سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب، وأعلمهم سبحانه بعداوتهم لأهل الإيمان في الباطن والظاهر، وأن كثيراً منهم يودوا لو أنهم يردونهم من بعد إيمانهم كفاراً

(١) تفسير المنار (٣١٧/٢).

(٢) انظر: تفسير السعدي (٩٧).

(٣) انظر: في ظلال القرآن (٢٢٢/١).

حسداً من أنفسهم لهذه الأمة ولنبيها مع معرفتهم أنه الحق[1].

وقال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة:١٢٠]، فاستعمل أداة النفي ( لن ) للمبالغة في التيئيس من الرضى؛ لأنها لنفي المستقبل وتأبيده، ثم ذكر الغاية التي ينتهي إليها عدم الرضي بقوله: (حتى تتبع ملتهم) كناية عن اليأس من اتباع اليهود والنصارى لشريعة الإسلام يومئذ، لأنهم إذا كانوا لا يرضون إلا باتباعه ملتهم فهم لا يتبعون ملته، ولما كان اتباع النبي ﷺ ملتهم مستحيلاً، كان رضاهم عنه كذلك مستحيلاً، على حد قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ وقوله: ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ ﴾ [الكافرون:٢-٣]، فدلت الآية على أنهم لا يؤمنون بالنبي ﷺ لأنه غير متبع ملتهم، وأنهم لا يصدقون بالقرآن لأنه ناسخ لكتبهم[2].

والقرآن الكريم حين يقرر ذلك ويؤكده ، يسوق حلقات من التاريخ شاهدة بذلك؛ لينشيء لدى المسلم تصوراً صحيحاً لخط سير الحياة البشرية، وأنها سارت وتسير في خطين متوازيين، خط مشرق مضيء يمثل البشرية حين تهتدي بنور الله وتسير على منهجه الذي رسمه لها الأنبياء بوحي من الله، وخط آخر مظلم يمثل البشرية حين تتيه في غياهب الضلال، وتشرد بعيداً عن شريعة الله ودين الأنبياء، سائرة خلف عدوها إبليس الذي أضلها بعد أن كانت على الفطرة والتوحيد.

عرضها القرآن الكريم بسمة عامة، ظاهرة واضحة في كل تلك الحلقات من التاريخ، هي الصراع والتدافع بين الحق والباطل، والهدى والضلال، الذي لم يتوقف ولن يتوقف أبداً[3].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥٣٤/١)، تفسير ابن كثير (٣٨٦/١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٦٩٣/١) .

(٣) انظر: العلمانية، د/ سفر الحوالي (٧٨). الآيات القرآنية التي تولّت عرض هذا المظهر من مظاهر التدافع كثيرة جدًا، بل إن جانب القصص القرآني جلّه فيه ما خلا النزر اليسير منه، كذلك =

= آيات الأحكام التي تولت تشريع الجهاد في سبيل الله. لكن منها على سبيل المثال: [الفاتحة ٧]، [البقرة ٩، ١١، ١٤، ٢٧، ٣٦، ٤٩،...]، [آل عمران ١٣، ٢٠، ٢١،...]، [النساء ٢٧، ٤٤، ٤٦،...]، [المائدة ١١، ١٨، ٢١، ٥٧،...].

## المبحث الثاني: التدافع بين الخير والشر

الخير: ما يُرغَبُ فيه من كل نافع[1] من صحة وإيمان وعقل وعدل وغيره، والشر بضده. ودائرته في هذا المبحث أوسع من دائرة الإيمان والكفر في المبحث السابق، لأن الإيمان من الخير بل هو رأسه، والكفر من الشر بل هو رأسه، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس:٥٨]، فالفضل هنا: هداية الله تعالى لعبده إلى دينه، وتوفيقه إلى اتباع شريعته، والرحمة هي: عفوه سبحانه عن عبده، وإسكانه جنته التي جعلها جزاء على اتباع شريعة الإسلام والإيمان به[2].

وقال تعالى في وصف طائفة من الكافرين وهم اليهود: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة:٦٠]، فجعل الشر وصفاً للمكان، وهو لأهله[3] للمبالغة في أنهم من شدة شرهم تلبس الشر حتى بمكانهم، وما ذاك إلا لإمعانهم -والعياذ بالله- في الكفر والضلال.

والتدافع بين الخير والشر سنة إلهية دائمة مستمرة لا تتوقف ما بقي على وجه الأرض عاقل يدعوا إلى ما ينفع، و سفيه يدعوا إلى ما يضر، لذا فإن الدعوة إلى ما ينفع والبعد عما يضر ليس بالضرورة أن تنطلق من خلفية دينية، بل ربما يكون المحرك لها والدافع إليها تحكيم العقل في اختيار الأصلح، والوقوف على نتائج الشر وآثاره.

وقد عاب الله على الكفار أنهم لا يعملون عقولهم التي وهبهم إياها في النظر فيما يصلحهم،وتأمل حقيقة الدعوة المحمدية، وأنها سبيل الشرف والرفعة، بما تدعوا إليه من العقائد الصحيحة والشرائع الكاملة والأخلاق الفاضلة، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠]، وقال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ

(١) انظر: المفردات (٣٠٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٩١٣).

(٣) انظر: الكشاف (٢٩٨).

إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سبا:٤٦].

فالتدافع بين الخير والشر موجود في كل بيئة، وفي كل أمة حتى ولو كانت كافرة، وهو يبدأ من داخل الإنسان في التدافع بين نوازع الخير التي تدعوه إلى ما ينفعه ، ونوازع الشر التي تدعوه إلى ما يضره. (فالإنسان إذا رجع إلى نفسه وأصغى لمناجاة سره، يجده عندما يهم بعمل شيء، أن في قلبه طريقين وفي نفسه خصمين مختصمين، أحدهما يأمره بسلوك الطريق الأعوج، وآخر ينهاه عن العوج، ويأمره بالاستقامة، ولا يترجح عنده باعث الشر، ولا يجيب داعي السوء، إلا إذا خدع نفسه بعد المشاورة والمذاكرة وأعرض عن نداءات العقل، وصرف نفسه عن الحق اتباعا لهواه، فزين لها الباطل، وهذه الشؤون النفسية في غاية الخفاء، تكون المنازعة ثم المخادعة ثم الترجيح، ويمر ذلك كله كلمح البصر)(١)، من أجل ذلك عفى الله سبحانه لعباده عما اختلج في صدورهم مما لا بد من وقوعه لهم، ما لم يترتب على ذلك الحديث تحرك فعلي مقصود للعبد بعمل أو كلام، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم تعمل أو تتكلم )(٢).

ثم تتسع دائرة التدافع بين الخير والشر لتخرج عن محيطها في داخل الإنسان إلى محيط أوسع داخل المجتمعات كبيرة كانت أو صغيرة، تدافع محتدم لا يفتر لحظة. وقد بين الله ذلك في كتابه فقال: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ [النساء: ٢٧]، فعبيد الشهوات همهم ورغبتهم أن يحولوا المجتمعات إلى مجتمعات تائهة، ينسلخ فيها الأفراد حتى من ثوب

(١) تفسير المنار (١٥١/١) بتصرف.

(٢) البخاري واللفظ له. كتاب: الطلاق. باب: إذا قال لامرأته وهو مكره: هذه أختي فلا شيء عليه (٥٢٦٩). مسلم. كتاب: الإيمان. باب: تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر (١٢٧).

الإنسانية، لينحطوا إلى درك من البهيمية مطلق من كل عقال ديني أو أخلاقي أو اجتماعي، متدثرين بشعارات خداعة من الحرية والتمدن والتحضر وغيرها من شعاراتهم الكاذبة، والتي هي في حقيقتها ليست سوى أسماء أخرى للشهوة المرادة في الآية[1].

ولفظ الشهوات في الآية جاء بصيغة الجمع، إشارة إلى دخول كل أنواع الشهوات فيها، فقصر المقصود في الآية بشهوة الفروج كما هو قول عامة المفسرين[2] ، لا يعطي لفظ الشهوة حقه في الدلالة ، في آية قررت منهج متبعي الشهوات مع اختلافها واختلافهم في الميل بالناس عن منهج الله الذي وضعه لصلاحهم في جميع شؤونهم، وبخاصة أن الآية ألحقت بما ينتظم الشؤون المالية والاقتصادية في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [النساء:٢٩]، ووردت بجمع لفظ الشهوة، وهذا الذي رجحه الطبري ~ حيث قال: ( وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن الله عز وجل .. وصفهم بإتباع شهوات أنفسهم المذمومة، وعمهم بوصفهم بذلك، من غير وصفهم باتباع بعض الشهوات المذمومة. فإذا كان ذلك كذلك، فأولى المعاني بالآية ما دل عليه ظاهرها )[3] .

فالتعبير بلفظ ( الشهوة ) في الآية له دلالة عميقة مشعرة بأنه هنا يعم كل أنواع الشهوة، سواء في المال أو الرياسة أو الفروج أو الظهور والتصدر أو غير ذلك من الشهوات، مما يريد أربابها أن يميلو بالناس فيه إلى أسباب هلاكهم وعطبهم، سواء في الاقتصاد أو السياسة أو الأخلاق أو الفكر. ولا يزال التدافع وسيبقى بين هذه الاتجاهات المنحرفة التي تسوق للشر، وبين أهل الخير ودعاة الإصلاح قائمة في المجتمعات مع اختلاف مشاربها ومعتقداتها[4].

(١) انظر: في ظلال القرآن (٦٣١/٢).

(٢) انظر: الكشاف (٢٣٣)، المحرر الوجيز (٤٢٦) .

(٣) تفسير الطبري (٣٢/٤) .

(٤) ومن الآيات القرآنية التي عرضت هذا المظهر من مظاهر التدافع غير ما سبق في المبحث =

= السابق:

[البقـرة: ٧٢، ٢٠٥]، [آل عمـران: ١٠٤، ١١٠]، [النســاء: ٢٧]، [المائـدة: ٢٧، ٣٣، ٣٨]، [الأنفال:٢٦]، [الحجرات:٩] ...

# المبحث الثالث: التدافع بين السراء والضراء

السراء: حسن الحال، إما في النفس بعلم أو فضل أو عفه، وإما في البدن بعافية وكمال، وإما في الحال بكثرة مال وجاه، والضراء بضد ذلك كله[1]، قال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرࣲّ ﴾ [الأنبياء:٨٤]، مخبرة عن أيوب عليه السلام حين أصابه البلاء في بدنه وماله وأهله إلى أن كشف الله ما به برحمته وفضله[2].

والإنسان وهو جزء من الحياة يتحرك كالحياة حركة دائمة مستمرة، من الولادة إلى الطفولة إلى الشباب إلى الرجولة إلى الكهولة إلى الشيخوخة، تعتوره في كل ذلك أحوال مختلفة من سراء وضراء وصحة وبلاء. فمن سنن الله تعالى في عباده أن ينقلهم من حال إلى حال، كما قال تعالى في كتابه واصفاً نفسه الكريمة سبحانه: ﴿ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنࣲ ﴾ [الرحمن:٢٩]، كل يوم في شأن خلقه فيفرج كرب مكروب، ويرفع قوماً ويخفض آخرين، ويغني من يشاء ويفقر من يشاء وغير ذلك من شئون خلقه[3]. كما روى أبو الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في الآية من شأنه أنه: ( يغفر ذنبا، ويفرج كربا، ويرفع قوماً، ويضع آخرين ) [4].

فالحياة لا تدوم على حال، والعبد متقلب فيها بين السراء والضراء، قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ [آل عمران:١٣٤]، أي: (في جميع الأحوال لأنها لا تخلو من حال مسرة ومضرة) [5].فهو متقلب في كل ذلك

---

(١) انظر: المفردات (٥٠٣)، تفسير الطبري (٨/٦)، المحرر الوجيز (٧٢٦).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١٢٩٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥٩٢/١١)، الكشاف (١٠٧١).

(٤) ابن ماجة في المقدمة. باب: فيما أنكرت الجهمية (٢٠٢)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجة (١٦٨)، وذكره البخاري عن أبي الدرداء من قوله في كتاب: التفسير. باب: تفسير سورة الرحمن. قال ابن حجر رحمه الله: (وصله المصنف في التاريخ وابن حبان في الصحيح، وللمرفوع شاهد آخر عن ابن عمر أخرجه البزار) الفتح (٤٩٠/٨) .

(٥) الكشاف (١٩٥).

بسبب ما يباشر من أسباب مؤدية به إلى السراء أوالضراء. فالبدن مثلاً (قد يعرض له أسباب رديئة توهن قوته وتضعفها فلا ينتفع معها بالأسباب الصالحة والأغذية النافعة، بل تحيلها تلك المواد الفاسدة إلى طبعها وقوتها، فلا يزداد بها إلا مرضا، وقد تقوم به مواد صالحة وأسباب موافقة توجب قوته، وتمكنه من الصحة وأسبابها، فلا تكاد تضره الأسباب الفاسدة، بل تحيلها تلك المواد الفاضلة إلى طبعها) [(١)].فيتدافع في البدن الصحة والمرض بمباشرة العبد لأسباب كل منهما.

وليس ذلك قاصرًا على بني البشر فقط، بل حتى في الحيوان فهو يدفع حالة الضراء بالجوع مثلاً بما يضادها من الشبع المؤدي إلى السرور، ويحاول التخلص من حالة الضر التي يعيش فيها بحبس أو تهديد بافتراس إلى مباشرة أسباب النجاة من هروب يدفع به حالة الضراء ليحصل السرور والطمأنينة، وكذلك الإنسان صغيراً أو كبيراً مسلماً أوكافراً.

والإسلام وهو دين الفطرة يأمر بالجد والعزم في مدافعة الضراء بالسراء والشدة بالرخاء، يتضح ذلك من الأحاديث النبوية الحاثة على ذلك، كقوله ﷺ: (استعن بالله ولا تعجز) [(٢)]، وأمره ﷺ بالتداوي ليدفع العبد ما أصابه من ضر، فتحصل له حالة السراء بدفع ما أصابه بذلك، كما روى أسامة بن شريك ﷺ قال: قالت الأعراب: يا رسول الله، ألا نتداوى؟ قال: ( نعم، يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء، إلا داء واحد، قالوا: يا رسول الله وما هو؟ قال: ( الهرم ) [(٣)].

(١) زاد المعاد (٣/٤٢٦).

(٢) مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ . كتاب: القدر. باب: في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله (٢٦٦٤) .

(٣) أحمد في مسند أسامة بن شريك ﷺ (١٨٦٤٥). الترمذي واللفظ له. كتاب: الطب. باب: ما جاء في الدواء والحث عليه (٢٠٣٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. أبو داود. كتاب: الطب. باب: في الرجل يتداوى (٣٨٥٥). ابن ماجة. كتاب: الطب. باب: ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء =

فكمال التوحيد الذي يقتضيه الفهم السليم لركن الإيمان بالقضاء والقدر، أن يكون المؤمن منازعاً للقدر؛ بمعنى أنه لا يستسلم للقدر الذي أصابه بما يضره فيقعد عن مدافعته، بل يدفع أقدار الله بعضها ببعض كما قال ﷺ : (لا يرد القدر إلا الدعاء) [(١)]، وهو لا ينافي الرضى والتسليم. فالمؤمن في عمل دائب وحركة دائمة يستدفع الضراء بمباشرة أسباب السراء، ويطلب الراحة بعد الشقاء، (وإلى هذا أشار الشيخ عبد القادر ~ فيما ذكر عنه، فبين أن كثيراً من الرجال إذا وصلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا، إلا أنا فإني انفتحت لي فيه روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق، والرجل من يكون منازعاً للقدر لا من يكون موافقاً للقدر) [(٢)].

والقرآن الكريم حين يسوق قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، يبرز ضمن ما يبرز سعيهم إلى دفع الضراء التي أصابتهم بتعاطي أسباب السراء والحث على ذلك، كما ذكر الله عن نبيه موسى عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ يَـٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [يونس:٨٤] موصياً لهم بالصبر والثبات على البلاء، واصفاً لهم طريق الخلاص من هذه الضراء،مذكراً لهم بما يستعينون به على ذلك[(٣)]، قائلاً لهم: ﴿ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن

= (٣٤٣٦). وصححه الحاكم (٤٢٤)، وابن حبان (٦٠٢٩)، والألباني في صحيح أبي داود (٣٢٦٤).

(١) أحمد في مسند ثوبان ﷺ (٢٢٧٤٥)(٢٢٧٧٧)(٢٢٨٠٢). ابن ماجة في المقدمة. باب: في القدر (٩٠). كتاب: الفتن. باب: العقوبات (٤٠٢٢)، صححه الحاكم (١٨٥٧)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجة (٧٣)، والسلسلة الصحيحة (١٥٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥٨/١٠). عبد القادر هو: الشيخ عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الجيلاني أو الجيلي الحنبلي، ولد بجيلان سنة ٤٧١هـ، وتوفي رحمه الله ٥٦١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي (٤٣٩/٢٠)، البداية والنهاية. ابن كثير (٤١٩/١٦). الأعلام. الزركلي (٤٧/٤).

(٣) انظر: تفسير السعدي (٣٧).

يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٨- ١٢٩].

فهذا نبي الله ﷺ الذي يوقن بحقيقة الألوهية وتشرق في قلبه، يحدث قومه بقلب النبي ولغته، فيوصيهم باحتمال الفتنة والصبر على البلية، والاستعانة بالله عليها ليندفع عنهم حال بحال بعد مباشرة أسبابه، ويعرفهم بحقيقة الواقع الكوني، فالأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة لمن يتقون الله ولا يخشون أحداً سواه. فإذا كانوا هم يشكون له ما أصابهم من ضر متصل في نظرهم بدأ قبله، وهو مستمر معه، ولا تبدوا له نهاية في حسبانهم، يعلن هو عليه السلام رجاءه في ربه أن يهلك عدوهم، ويستخلفهم في الأرض[1]. ثم يباشر أسباب المدافعة بخروجه بهم من سلطة الطاغية، قال تعالى: ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَـٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَـٰهُم مِّن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الشعراء: ٥٢- ٦٦] مستدفعاً النقمة بمباشرة أسباب النعمة، راسماً لهم ولسواهم المنهج الصحيح في سير المؤمن إلى ربه، لا تقعده المصيبة ولا توهنه المدافعة والهزيمة، بل هو موقن بالعاقبة الصالحة وإن لم يرها في حياته فهي له في آخرته، ولمنهجه في دنيا الناس ولا شك، فاليسر يخرج من رحم العسر، وكلما ازداد ظلام الليل أذن ببزوغ الفجر.

فالتدافع بين السراء والضراء دائم متصل، قائم في شعور كل حي بدفع الضراء التي نزلت به بتعاطي أسباب السرور، والذي يدبر ذلك كله هو الله الخالق المدبر سبحانه[2].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن (٣/١٣٥٥).

(٢) ومن الآيات القرآنية التي عرضت هذا المظهر من مظاهر التدافع: [البقرة:١٢٥، ٢١٤]، [آل =

= عمـران: ٢٩، ١٢٠، ١٤٠]، [الأعـراف: ١٦، ٩٥، ٩٦، ١٣١، ١٣٥، ١٦٠، ١٧٢]، [التوبـة: ٢٥، ٢٦، ٤٠، ١١٧، ١١٨]، [يونس: ٢١، ٢٢، ٢٣، ٧٣، ٩٣] ...

## المبحث الرابع: دفع الليل النهار والنهار الليل

مضت سنة الله تعالى أن يتوالى على أهل الأرض الجديدان الليل والنهار، يدفع كل منهما الآخر في حركة دائمة مستمرة، تتعاقب فيهما آيتا الليل والنهار[1]، إلى أن يأتي أمر الله تعالى فيختل هذا النظام الدقيق، مؤذناً بانقضاء الحياة الدنيا وابتداء الحياة الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ﴾[الأنعام:١٥٨]، قال ابن جرير ~: ( قيل: إن تلك الآية التي أخبر الله جل ثناؤه أن الكافر لا ينفعه إيمانه عند مجيئها: طلوع الشمس من مغربها )[2].

وقال ابن عطية ~: ( أما ظاهر اللفظ لو وقفنا معه فيقتضي أنه توعدهم بالمشهد الفظيع من أشراط الساعة، دون أن يخص من ذلك شرطا، يريد بذلك الإبهام الذي يترك السامع مع أقوى تخيله، لكن لما قال بعد ذلك: ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا ﴾ وبينت الآثار الصحاح في البخاري ومسلم أن الآية التي معها هذا الشرط هي طلوع الشمس من المغرب، قوي أن الإشارة بقوله:﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾ إنما هو إلى طلوع الشمس من مغربها )[3].

وفي الصحيح من حديث أبي ذر ﷺ قال: كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس، فقال: ( يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس؟ ) قلت: الله ورسوله أعلم. قال: (فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ )[4].

(١) انظر: الكشاف (٥٩١) أشار في تفسير: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ ﴾ [الإسراء:١٢]، إلى أن ذلك أحد الوجهين في الآية.

(٢) تفسير الطبري (١٥٨/٥).

(٣) المحرر الوجيز (٦٧٨).

(٤) البخاري واللفظ له. كتاب: التفسير. باب: قوله ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ (٤٨٠٢). مسلم. كتاب: الإيمان. باب: الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (١٥٩) .

فالتدافع بين الليل والنهار دائم مستمر، يدفع الليل النهار حتى يزيله عن سلطانه، ثم يدفع النهار الليل حتى يفعل به كذلك في تدافع مستمر، ليخلف أحدهما الآخر، كما قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝ ﴾ [الفرقان:٦١- ٦٢].

قال ابن قيم ~: ( فذكر تعالى خلق الليل والنهار وأنهما خلفة، أي: يخلف أحدهما الآخر لا يجتمع معه، ولو اجتمع معه لفاتت المصلحة بتعاقبهما واختلافهما، وهذا هو المراد باختلاف الليل والنهار، كون كل واحد منهما يخلف الآخر لا يجامعه ولا يحاذيه، بل يغشى أحدهما صاحبه فيطلبه حثيثاً حتى يزيله عن سلطانه، ثم يجيء الآخر عقيبه فيطلبه حثيثاً حتى يهزمه ويزيله عن سلطانه، فهما دائماً يتطالبان ولا يدرك أحدهما صاحبه )[(١)].

وقال تعالى: ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾ [الأعراف:٥٤]، والمعنى: أن الله تعالى قد جعل الليل الذي هو الظلمة يغشى النهار وهو ضوء الشمس على الأرض، أي يتبعه ويغلب على المكان الذي كان فيه، ويطلبه حثيثاً من قولهم: فرس حثيث السير، أي: يعقبه سريعاً كالطالب له لا يفصل بينهما شيء[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ [الليل:١]، وقوله: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴾ [الشمس:٤]، أي: النهار والشمس[(٣)] حين تدفعها ظلمة الليل البهيم، فتحيل ضوء الكون ظلاماً وسكونا.

وقد جعل الله سبحانه تدافع الليل والنهار وتعاقبهما من الأدلة الدالة على وحدانيته سبحانه وعظمته، قال تعالى: ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ ﴾ [الرعد:٣]، فجعل سبحانه تتابع الليل والنهار مع ما اختص به كل منهما من مصالح للعباد، آية عليه سبحانه. فالليل حين تظلم الآفاق، فيسكن كل حيوان إلى مأواه، ويستريحون من كد العمل، وعناء السعي والتعب والنصب الذي لحقهم

(١) مفتاح دار السعادة (٢٢٦).

(٢) انظر: تفسير المنار (٤٥٣/٨) .

(٣) الكشاف (١٢٠٦).

بالنهار، ثم يبزغ الفجر وينتشر النور وتشرق الشمس فيضيء الكون وينتشرون في مصالحهم وأعمالهم بالنهار ، كل ذلك يعد سنة من سنن الله تعالى، كما قال: ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝ ﴾ [النبأ:٩- ١١].

فالليل يلفه السكون، وتخلد فيه الأحياء للراحة، وعكسه النهار؛ لذا كان من سوءات الحضارة والمدنية المعاصرة أن انقلب ميزان البشر في ذلك، فخالفوا ميزان الكون الذي يسير وفقة، مما سبب لهم مشاكل وعقداً نفسية ، وأمراضاً صحية.

كذلك استخدمت الإشارة إلى تدافع الليل والنهار لدلالة على المبدأ والمعاد، قال تعالى: ﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ۝ ﴾ [المدثر:٣٢- ٣٤]، (مبدأ ومعاد يومي يتكرر على الناس، فبينما الحيوان في سكون قد هدأت حركاتهم، وسكنت أصواتهم، ونامت عيونهم، وصاروا إخوان الأموات، إذ أقبل من النهار داعية، وأسمع الخلائق مناديه، فانتشرت منهم الحركات، وارتفعت منهم الأصوات، حتى كأنهم قاموا من قبورهم ، يقول قائلهم: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور، فهو معاد جديد بدأ وأعاده الله الذي يبدئ ويعيد) [(١)].

كذلك يربط السياق القرآني بين وعد الله بالنصر لمن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه، وبين تدافع الليل والنهار، في إيلاج الليل في النهار، وإيلاج النهار في الليل. وهي ظاهرة كونية تتكرر على الناس مع غفلتهم عنها، ليفتح بصائرهم ومشاعرهم إلى أن الذي يطوي النهار ويدفعه من جانب ويسدل الليل وينشره،ويطوي الليل ويدفعه من جانب وبنشر النهار في دقة لا تختل، وإطراد لا يتخلف، هو الذي ينصر من وقع عليه البغي ويدفع عن عبده العدوان. سنة إلهية كتلك السنة الكونية المتمثلة في دفع الليل بالنهار ودفع النهار بالليل، فهو سبحانه الذي يزوي سلطان المتجبرين وينشر سلطان العادلين، مشيراً بما يشاهدون إلى

(١) التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية (١٦٣) بتصرف .

الذي هم عنه غافلون[1].

قال تعالى: ﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٦٠ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٦١ ﴾ [الحج: ٦٠- ٦١].[2]



(١) انظر: في ظلال القرآن (٢٤٣٩/٤).

(٢) ومن الآيات القرآنية التي عرضت هذا المظهر من مظاهر التدافع: [البقرة:١٦٤]، [آل عمران: ٢٧، ١٩٠]، [يونس:٦]، [الحج:٦١]، [الفرقان:٦٢].

انظر للاستزادة: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (٨١٣).

# الفصل الثالث

## حديث القرآن عن سنة التدافع

وفيـــه أربعــة مباحـــث :

- المبحث الأول: الآيات الواردة في ذلك.
- المبحث الثاني: أسلوب القرآن في عرض سنة التدافع.
- المبحث الثالث: خصائص هذا الأسلوب.
- المبحث الرابع: الدروس المستفادة من ذلك.

* *        * *        * *

## المبحث الأول: الآيات الواردة في ذلك

قبل البدء في استعراض الآيات الواردة في سنة التدافع، تحسن الإشارة إلى طريقتي في تناول التفسير الموضوعي[1]، وذلك ضمن الخطوات التالية:

١- تتبع الآيات القرآنية مرتبة من أول القرآن إلى نهايته وجمع الآيات المتعلقة بالموضوع.

٢- تقسيم الآيات الواردة في التدافع إلى صور، مبتدئًا بذكر الأول منها وروداً حسب ترتيب المصحف[2].

٣- الرجوع إلى كتب التفسير المعتمدة، وكتب السنة النبوية، لمعرفة أسباب النزول، وتدرج التشريع، والنسخ، والعموم والخصوص، وغير ذلك مما يتقرر به المعنى.

٤- تقسيم كل صورة من صور التدافع إلى عناصر مترابطة منتزعة من الآيات ، ورد الآيات إلى عناصرها ومواضعها من البناء الكلي للموضوع، مع تفسير موجز لما يحتاج إلى تفسير، واستنباط حقائقها ورد الشبهات عنها.

وقد وجدتها تنقسم غير ما سبق في المظاهر إلى ثمان صور، هي على وجه الإجمال:

١-التدافع مع الشيطان. ٢-مدافعة السيئات.
٣-دفع الله عن أوليائه. ٤-مدافعة الكافرين.

---

(١) التفسير الموضوعي منهج تفسيري متأخر، لم يأخذ شكله النهائي بعد، بل لا زال أربابه من أهل العلم يضيفون في طريقته ويستدركون. وقد استفدت من طريقة الشيخ د/ عبد الستار فتح الله سعيد،التي وضعها للتفسير الموضوعي في كتابه: المدخل إلى دراسة التفسير الموضوعي ص(٥٦)، والتي تعتبر تطويراً لعمل سبق على يدي شيخه الأستاذ/ أحمد الكومي رحمه الله في رسالته التفسير الموضوعي .

(٢) لم أعتمد ترتيب الصور حسب ترتيب نزول الآيات لكل صورة، لأني لم أر ذلك مؤثراً في إبراز كل صورة في وجهها المتكامل دون خلل أو نقص، مع أني راعيت ذلك عند الحديث عن تدرج تشريع القتال، لتأثر الأحكام في ذلك بترتيب النزول .

٥-القتال.
٦-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٧-مدافعة النوازع.
٨-الجهاد في سبيل الله.

### الصورة الأولى: التدافع مع الشيطان:

سبقت الإشارة إلى بداية هذا التدافع بين الإنسان والشيطان في مظاهر التدافع، وأنها بدأت في أول لحظة من خلق هذا المخلوق الإنسان، لما وقع في قلب المتكبر إبليس من الحسد لآدم حين فضل عليه، فتكبر عليه وعلى أمر الله بالسجود له.

ومن تأمل القرآن والسنة وجد اعتنائها بذكر الشيطان وكيده ومحاربته كبيراً، فذكر ذلك في مواضع عدة، حتى إن تحذير الرب تعالى لعباده منه جاء أكثر من تحذيره من النفس، لأن شر النفس وفسادها إنما ينشأ عن وسوسته[1]. فتكررت الآيات في القرآن مبينة هذه الصورة من التدافع. ويمكن تصنيف تلك الآيات إلى أربعة محاور دار حولها حديث القرآن وهي:

١- بداية عداوة الشيطان والتحذير منها .

٢- حرص الشيطان على إغواء الإنسان .

٣- خطوات الشيطان في استدراج الإنسان .

٤- وسائل دفع كيد الشيطان .

#### أولاً: بداية عداوة الشيطان والتحذير منها:

تكرر حديث القرآن عن قصة خلق الله تعالى لآدم عليه السلام، وامتناع إبليس عن السجود له امتثالاً لأمر الله تعالى، وتكرر كذلك تحذير الله من هذا العدو، وذلك في سور مكية ومدنية، مما يوحى للمتأمل بضرورة يقظته الدائمة، ويشعره بأنه جندي

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية (١٠٠) .

في ميدان،وأنه هو صاحب الغنيمة أو السلب في هذه المعركة[1] .

فأول حديث عن الشيطان يقابل القارئ من أول القرآن هو الحديث عن أصل العداوة وبدايتها، مثيراً في وعي القارئ وحسه الحذر من هذا العدو، ومهيئاً نفسه لتقبل كل تحذير منه يأتي بعد ذلك في سياق الآيات القرآنية. وهذه القصة تتكرر في القرآن مراراً فاتحة للقارئ المجال ليقف على مدى خبث هذا العدو ولؤمه حين يعادي هذا المخلوق الذي لم يصدر منه ما يكون سبباً في كل هذا الحنق والعداوة.

فتكرر الحديث عن بدء العداوة في سبعة مواضع[2]، هي: [البقرة:٣٠- ٣٩]، [الأعراف:١١- ٢٥]، [الحجر:٢٨- ٤٢]، [الإسراء :٦١- ٦٥]، [الكهف:٥٠]، [طه:١١٥- ١٢٧]، [ص:٦٥- ٨٥]، لكن سيقت القصة في كل مرة لأداء غرض خاص في جو خاص يناسب جو السورة وموضوعاتها، فجاءت مبسوطة في مواضع موجزة في مواضع أخرى، لكنها تكاملت جميعاً في إعطاء صورة متكاملة عن الحادثة التي كانت شرارة لبداية حرب مستعرة بين الشيطان وبني آدم، لا يهدأ أوارها ولا تضع أوزارها، يهدف الشيطان من ورائها إيقاع أكبر عدد من أبناء آدم في حبائله، لإيرادهم النار معه، ويسعى الإنسان إلى الخلاص من حبائل الشيطان ورد كيده في نحره والنجاة من شره.

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [البقرة: ٣٤- ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ

(١) انظر: في ظلال القرآن (٥٥).

(٢) انظر: التفسير الكبير (٢٠٥/٥) .

خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأعراف:١١- ١٦].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحجر:٢٨-٤٢] .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٦١- ٦٣] .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الكهف:٥٠].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ

بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [طه:١١٦- ١٢٣].

وقال تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [ص:٧١- ٨٢].

فاتفقت الآيات جميعاً على التركيز على بدء العداوة، مشيرة إلى استمرار هذه المدافعة من تلك اللحظة الأولى وإلى أن ينتهي كل فريق إلى مستقره في الآخرة ﴿ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ [الشورى:٧]، كما عرضت القصة في سورة الأعراف مركزة على الرحلة الطويلة من الجنة وإليها، مبرزة عداوة الشيطان للإنسان ومدافعته باستمرار من أول الرحلة إلى نهايتها.

أما تحذير الله تعالى للإنسان من هذا العدو فقد جاء في أسلوبين:

١- تحذير صريح من الشيطان .

٢- حديث عن الشيطان تضمن التحذير منه .

الأسلوب الأول: تحذير الله سبحانه الصريح من الشيطان:

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ في ثمانية مواضع من القرآن: [البقرة:١٦٨، ٢٠٨]، [الأنعام:١٤٢]، [الأعراف: ٢٢]، [يوسف:٥]، [الإسراء: ٥٣]، [يس: ٦٠]، [الزخرف:٦٢].

قال ابن جرير ~: ( يعني: أنه قد أبان لكم عداوته ، فإبائه عن السجود لأبيكم، وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة، واستزله بالخطيئة، وأكل من الشجرة ، فلا تنتصحوه أيه الناس، مع إبانته العداوة، ودعوا ما يأمركم به، والتزموا

طاعتي )[1].

وقال الزمخشري: ( ظاهر العداوة كما فعل بآدم وحواء ولقوله: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر )[2].

وقد أكد هذا من الله تعالى بأداة التوكيد (إنَّ)، ومعنى المبين (الظاهر العداوة من أبان الذي هو بمعنى بان)[3].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [القصص:١٥] تقريرًا لما قاله موسى عليه السلام حين قتل القبطي؛ ليضيف إلى ما سبق من عداوة الشيطان الواضحة، تحويله هذه العداوة إلى عمل جاد دؤوب في إفساد الإنسان وإيقاعه في المهالك. قال ابن عطية ~: ( وكان موسى عليه الصلاة والسلام لم يرد قتل القبطي ، لكن وافقت وكزته الأجل وكان عنها موته، فندم موسى عليه السلام ورأى أن ذلك من نزغ الشيطان في يده، وأن الغضب الذي اقترنت به تلك الوكزة كان من الشيطان ومن همزه، وهو نص على ذلك،وبهذا الوجه جعله من عمله )[4]، وعلى مثله يدل حديث رسول الله ﷺ : (لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزغ في يده)[5].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ في موضعين من القرآن [لقمان:٣٣]، [فاطر:٥]. ثم عقبت آية فاطر بما يدل على أن الغرور هو الشيطان ، كما هو أحد الوجهين في تفسير الآية[6]، ويؤيده التنصيص عليه في آية فاطر في قوله تعالى:

---

(١) تفسير الطبري (٨١/٢).

(٢) الكشاف (٥٠٤).

(٣) التحرير والتنوير (١٠٤/٢).

(٤) المحرر الوجيز (١٤٣٦).

(٥) البخاري واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . كتاب: الفتن. باب: قول النبي ﷺ (من حمل علينا السلاح فليس منا) (٧٠٧٢). مسلم. كتاب: البر والصلة والآداب. باب: النهي عن الإشارة بالسلاح (٢٦١٧).

(٦) انظر: المحرر الوجيز (١٤٩١) .

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ ﴾ [فاطر:٦]. والملاحظ في لفظ الآية تقديم الضمير ( لكم ) على ذكر العداوة؛ وذلك لمزيد التنبيه على أمر الشيطان وعداوته والتحذير منه[١]، وأنه لا ينفك عن ذلك؛ ليستحث همة المكلف على معاداته في العقائد والأفعال، وألا يوجد منه ما يدل على عدم معاداته في السر أو الجهر[٢].

وقال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ [الأعراف:٢٧]، فجاءت بصيغة العموم لتشمل المؤمنين والمشركين من أبناء آدم، بعد النداء بـ (يا)؛ ليكون أبلغ في شد انتباههم واستثارت اهتمامهم، بعد الفراغ من ذكر قصة أبيهم مع عدوه إبليس، لأن شأن الذرية أن تثأر لآبائها، وتعادي عدوهم، وتحترس من الوقوع في حبائله[٣].

ثم جاء النهي بلفظ: ( الفتنة ) للدلالة على الحكمة من إنظار الله للشيطان وتسليطه على بني آدم، وأنها الابتلاء والاختبار لهم[٤]، ليتبين بعد ذلك من يعادي الشيطان ممن يطاوعه؛ ليكون حظ المؤمنين من هذا النداء الشكر على موافقتهم لمرضاة ربهم في شؤونهم، وأما حظ المشركين فهو الإنذار بأنهم كافرون بنعمة ربهم، معرضون لسخطه وعقابه[٥]. فناسب الإتيان بلفظ الفتنة الدال على الابتلاء والاختبار بعد النداء العام لبني آدم.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾ في أربعة مواضع من القرآن هي: [البقرة:١٦٨، ٢٠٨]، [الأنعام:١٤٢]، [النور:٢١].

نهي من الله صريح عن اتباع خطوات الشيطان، قال ابن عطية ~: ( نهى عن اتباع الشيطان وسلوك سبله وطرائقه. قال ابن عباس: خطواته أعماله. قال

---

(١) انظر: روح المعاني (١٤٥/١١).

(٢) انظر: الكشاف (٨٨١).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٧٣/٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٤٦١/٥).

(٥) انظر: التحرير والتنوير (٧٣/٨).

غيره: آثاره. قال مجاهد: خطاياه... وكل ما عدا السنن والشرائع من البدع والمعاصي فهي خطوات الشيطان ) [(١)].

وقد جاء النهي بلفظ الاتباع، من تبعه وأتبعه: أي قفا أثره؛ ليكون أدل على توصيف حال متبعي الشيطان، فإن اقتفاء الأثر كما يكون تارة بالجسم، يكون كذلك بالارتسام والإتمار[(٢)]، وكذلك حال متبعي الشيطان. كما ذكر الله سبحانه في سورة الأنفال [(٣)] عن تحريض الشيطان للكافرين وأزهم لقتال النبي ﷺ في بدر، وكما يفعل أعداء الله في كل عصر فعله في ذلك.

ثم جاء بلفظ الجمع ( خطوات )؛ للدلالة على تعددها وكثرتها وتتابعها تتابع الخطى المتقاربة بين القدمين[(٤)]. كل ذلك لمزيد التحذير والتنبيه لعباده.

الأسلوب الثاني: حديث عن الشيطان تضمن التحذير منه وبيان عداوته:

تكرر حديث القرآن المتضمن تحذير الله سبحانه من الشيطان في سياقين:

**١- بيان حال الشيطان وعاقبته:**

قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران:٣٦]، [النحل:٩٨]، فسماه الله تعالى شيطاناً (من شطن إذا بعد، لأنه بعد عن الخير ورحمة الله) [(٥)]، ثم وصفه تعالى بأنه رجيم، أي: مرجوم، من فعيل بمعنى مفعول، كقولك: كف خضيب بمعنى مخضوب، (وتأويل الرجيم: الملعون المشتوم... وأصل الرجم الرمي بقول كان أو فعل... ويجوز أن يكون قيل للشيطان رجيم؛ لأن الله جل ثناؤه طرده من سمواته، ورجمه بالشهب

(١) المحرر الوجيز (١٥٢).

(٢) انظر: المفردات (١٦٢) (٢٨٨).

(٣) قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الأنفال:٤٨].

(٤) انظر: المحرر الوجيز (١٥٢)، المفردات (٢٨٨).

(٥) المحرر الوجيز (٣٣).

الثواقب)[1]، فـ (رجم باللعنة والمقت وعدم الرحمة)[2]، وهذا بيان لحال الشيطان متضمن تحذيراً منه.

وقال تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ [النساء:١١٧]. وهو وصف لإبليس على رأي الجمهور، وهو الصواب حكاه ابن عطية ~[3]، ثم وصفه تعالى بأنه (مريد)، وهو: (المتعري من الخيرات)[4]، على وزن فعيل من: مرد إذا عتا وغلا في انحرافه وتجرد للشر والغواية، فهو عاتٍ صلبٍ في غوايته. ثم ذكر تعالى أنه لعنه: (وأصل اللعن: الإبعاد، وهو في العرف: إبعاد مقترن بسخط وغضب)[5]، والمعنى: (طرده وأبعده من رحمته وأخرجه من جواره)[6]. فتضمنت الآية التحذير منه. وقد تكرر هذا الوصف مرتين أخريين في القرآن، لكن لا لإبليس فقط، بل له ولذريته، قال تعالى: ﴿ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴾ [الحج:٣]، وقال: ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ [الصافات:٧].

وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء:٢٧].

فهذه الآية فيها بيان لحال الشيطان مع ربه سبحانه، وهو الجحود لنعمته تعالى عليه وعدم شكرها، وكفره بترك طاعة الله وركوب معصيته، فقال: ( كفورا ) للمبالغة في كفره، (ونبه بقوله ( كان ) أنه لم يزل منذ وجد منطوياً على الكفر)[7]، وبيان ذلك كله فيه تحذير من اتباعه وطاعة أمره[8].

---

(١) تفسير الطبري (٧٧/١).

(٢) المحرر الوجيز (٣٣).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٤٨٢).

(٤) المفردات (٧٦٤).

(٥) المحرر الوجيز (٤٨٢).

(٦) تفسير ابن كثير (٤١٦/٢).

(٧) المفردات (٧١٥).

(٨) انظر: تفسير الطبري (٦٩/٨).

ومن الآيات في ذلك أيضاً:

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾ [البقرة:١٠٢].

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ ﴾ [البقرة:٢٦٨].

﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴾ [مريم:٤٤].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [لقمان:٢١].

**٢- بيان حال من أطاع الشيطان وعاقبته:**

أكثر القرآن الكريم من بيان وتوضيح حال وعاقبة من اتبع الشيطان وأطاع أمره، ليكون ذلك إنذاراً لبني آدم فتقوم عليهم الحجة به، وليكون سياجاً وحصناً يحمي التكاليف الربانية والأوامر الإلهية من التساهل فيها أو عدم التزامها ، وذلك حين يعلم المكلف حرص الشيطان على إغوائه عنها، ويعلم كذلك عاقبة من طاوعه في وسوسته في الدنيا والآخرة.

قال تعالى في قصة آدم عليه السلام أبي البشر: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ ﴾ [البقرة:٣٦]، والزلة في الأصل: (استرسال الرجل من غير قصد.. وقيل للذنب من غير قصد زلة، تشبيهاً بزلة الرجل، والمعنى: استجرهم الشيطان حتى زلوا) [(١)] بخطيئة الأكل من الشجرة التي نهوا عن الأكل منها، ثم تاب الله عليهم، فكان في ذلك بداية شقائهما بأهباطهما وعدوهما إلى الأرض، وذكر ذلك سبحانه بياناً منه لعاقبة من استزله الشيطان وتحذيراً منه لذريتهما.

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ١١٩ ﴾ [النساء:١١٩].

فهذا الشيطان (حذره تبارك وتعالى عباده، بأن شرط لمن يتخذه ولياً جزاء

(١) المفردات (٣٨٢).

الخسران)[١]، خسراناً بيناً ظاهراً في معاشه ومعاده.

في معاشه: بأن يكون أسير الأوهام والخرافات يتخبطه في عمله على غير هدى، فيفوته الانتفاع بما وهبه الله من مواهب فيما يصلحه وينفعه[٢]، وفي معاده: بفوات نفع من اتخذه ولياً من دون الله، وتبرأه منه ومشاركته في العذاب، فجاءت الآية بـ ( قد ) التي للتحقيق، ثم كرر الخسران بالمفعول المطلق ( خسراناً ) للتأكيد، ثم ذكر حقيقة هذا الخسران المؤكد بكل هذا في وصفه بأنه ( مبين )، أي: واضح بين، وذلك متضمن تحذير الله ﷻ من طاعته.

ثم تختم التحذيرات الإلهية من ذلك بمشهد الختام بين الشيطان وبين من أطاعه، حين يعلن لمن أطاعه واتبعه في الدنيا، تبرأه منهم في النار، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٢٢]، فقد أخلفهم ما وعدهم في الدنيا من طول الأمل و النصر والظفر وكونهم على خير وغير ذلك من وعوده الكاذبة، وعبر في الآية بلفظ الماضي ( قال )؛ لأن ما أخبر الله به لصدقه وصحته كأنه قد كان ووجد[٣].

وإنما المقصود من ذكر هذا الموقف بيان عاقبة الشيطان وعاقبة من أطاعه ليحذر من ذلك، وليثار بغض الشيطان في نفوس المخاطبين بالقرآن؛ ليأخذوا حذرهم من عدوهم، حين يقفون من خلال هذا المشهد على مقدار ما ملئ به الشيطان من إضمار الشر لهم فيما يعدهم به من وعود الكذب، ومقدار كيده بهم وسخريته، فيورثهم ذلك كراهية له، وسوء ظن لما يتوقعونه من قبله، فيحملهم كل

(١) المحرر الوجيز (٤٨٣).

(٢) انظر: تفسير المنار (٤٢٩/٥).

(٣) انظر: الفوائد،ابن قيم (١٠٣).

ذلك على مدافعته[1].

ومن الآيات في ذلك أيضاً:

﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴾ [النساء:٣٨].

﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴾ [النساء:٦٠].

﴿ فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٥].

﴿ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [النحل:٦٣]، [الأنفال:١١][2].

## ثانياً: حرص الشيطان على إغواء الإنسان:

ذكر ابن كثير ~ في تفسيره بإسناده عن أناس من أصحاب النبي ﷺ منهم ابن عباس وابن مسعود في أثر طويل جاء فيه: أن الله بعد أن خلق آدم عليه السلام مما ذكر في القرآن، وقبل أن ينفخ فيه من روحه فزع منه إبليس، وكان يمر به فيضربه فيصوت، ثم يدخل من فيه ويخرج من دبره ويقول: لئن سلطت عليه لأهلكنه[3].

فهذا الأثر إن صح، فهو دليل على إضمار إبليس العداوة والمدافعة للإنسان حتى قبل أن يكون في عالم الأحياء ، على أن ما ذكره القرآن الكريم من ذلك فيه غنية عن الأخبار الإسرائيلية ، بل إن القرآن أعاد فيه وكرر بأساليب مختلفة تدل على حرص الشيطان البالغ على مدافعة الإنسان وإغوائه، ومن ذلك:

١- وعد الشيطان المؤكد بإغواء الإنسان:

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٢١٨/١٣) .

(٢) ومن الآيات كذلك: [النساء:١٢٠]، [الإسراء:٦٤]، [المائدة:٩٠، ٩١]، [الأنعام: ٧١]، [الحج:٤]، [الفرقان:٢٩]، [النمل:٢٤]، [العنكبوت:٣٨]، [الزخرف:٣٦].

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢٣٢/١)، وقال: هذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة. أهـ

سبق الحديث عن الآيات القرآنية التي عنيت بذكر بدء العداوة بين الشيطان والإنسان ، ولقد عنيت تلك الآيات ضمن ما عنيت بإبرازه وعد إبليس الأكيد بإغواء بني آدم، وإذن الله تعالى بتسليطه عليهم ابتلاء واختباراً لهم.

قال تعالى عن إبليس أنه قال متوعداً: ﴿ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء:١١٨].

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦].

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر:٣٩].

وقال: ﴿ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [الإسراء:٦٢]، ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص:٨٢].

فبتأمل هذه الآيات يمكن ملاحظة ما يلي:

أ-أن هذه الآيات وإن اختلفت في مبانيها وألفاظها، إلا أنها متحدة في معانيها، لأن هذه الحادثة قطعاً لم تقع إلا مرة واحدة، فاختلفت مناسبة للسياق الذي وردت فيه. يقول صاحب ملاك التأويل: (إن سأل سائل عن وجه اختلاف الوارد في السورتين[١] المحكي من قول إبليس مع اتحاد القصة؟ فجوابه: أن المعنى الحاصل من قوله في السورتين واحد لا إشكال فيه، ثم اختلف التعبير عن ذلك بحسب ما تقدم في كل واحدة من السورتين وما استدعاه من المناسبة)[٢] ثم شرع ~ يبين وجه مناسبة كل لفظ لما سيق فيه.

ب-أن جميع الأفعال المضارعة التي استخدمت في التعبير عن تصميم إبليس على مدافعة الإنسان وإضلاله وهي: (لأتخذن، لأقعدن، لأزينن، لأحتنكن، لأغوين) صدرت جميعاً بلام التوكيد، ثم ختمت بنون التوكيد، للتأكيد على عزمه المصمم، وأنه لن يدخر وسعاً في ذلك.

(١) الأعراف والحجر .

(٢) ملاك التأويل، أحمد الغرناطي (٤٩٢/١).

جـ- أن جميع الأفعال التي استخدمت مع مناسبة كل لسياق الآية التي جاء فيها، إلا أن كلاً منها يسلط الضوء على خطوة من خطوات الشيطان في إضلال الإنسان، ابتداء بذكر وعده المؤكد باقتطاع جزء من أبناء آدم في زمرته، فقال: ( لأتخذن ) من الاتخاذ، وهو افتعال من الأخذ: وهو حوز الشيء وتحصيله[1]، والمعنى: لأستخلصنهم ولأحوزنهم، لذا عبر بعده بالفرض الذي هو الحز والقطع في العود وغيره، وهم الكفار والعصاة الذين هم مخصوصوه بالإضلال[2].

ثم تبدأ مرحلة العمل في إنفاذ الوعد بقوله: ( لأقعدن ) بالقعود على الصراط المستقيم الذي معناه: الترصد للشيء بالقعود له[3]، وكذلك حاله فهو قاعد للإنسان على طريق الإسلام مترصد له، كما روى الإمام أحمد من حديث سبرة بن أبي فاكه ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال له: أتسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك، قال: فعصاه فأسلم...) الحديث[4].

ثم تأتي بعد ذلك مرحلة (التزيين) ومعناه: إظهار حسن الشيء والإعجاب به[5]، فيكون المعنى: (أزين لهم المعاصي، وأوسوس لهم ما يكون سبب هلاكهم)[6]، ثم ينقسم الناس بعد ذلك إلى مؤمن معرض عن تزيين الشيطان سائر على صراط الله غير منحرف عنه، وآخر منساق مع تزيين الشيطان .

---

(١) انظر: المفردات (٦٧).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٤٨٢).

(٣) المفردات (٦٧٩).

(٤) أحمد واللفظ له في مسند سبرة بن أبي فاكه ﷺ (١٦٠٥٤)، النسائي. كتاب: الجهاد. باب: ما لمن أسلم وهاجر وجاهد (٣١٣٦). وصححه ابن حبان (٤٥٧٤)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٣١٣٤).

(٥) انظر: المفردات (٣٨٩).

(٦) الكشاف (٥٦١).

ثم يكون حال من أطاعه بعد ذلك معه، كحال الدابة التي تقاد حيث شاء القائد لها، لذا عبر بعد ذلك بقوله: (احتنك) (من قولهم: حنكت الدابة: أصبت حنكها باللجام والرسن، فيكون نحو قولك: لألجمن فلانا ولأرسننه) [1].

ثم ينتهي المطاف بهم إلى الضلال -والعياذ بالله- الذي عبر عنه بقوله: (أغوينهم)[2].

فظهر من تأمل معاني هذه الأفعال بلاغة اللفظ القرآني في ترتيب هذه الألفاظ، وأن كلاً منها عبر عن جزء من المعنى ، وهذا يقوي القول بأن ترتيب سور القرآن توقيفي[3]، والله أعلم بمراده.

د- أن في تكرار هذا الوعد المؤكد من الشيطان زيادة في تنبيه بني آدم على هذا الخطر المحدق بهم.

٢- عرض المشاهد القرآنية الدالة على إنفاذ الشيطان لوعده في إضلال الإنسان:

إن المتتبع لآي القرآن الكريم يلحظ كثرة المشاهد التي سيقت دالة على تفعيل الشيطان لوعده الذي وعد إلى عمل، ابتداء من إزلاله الأبوين حين أخرجهما من الجنة، ثم من بعدهم من ذريته، ومن الآيات في ذلك:

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ ﴾ [البقرة:٣٦].

---

(١) المفردات (٢٦٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١٠٧٢).

(٣) مسألة ترتيب سور القرآن، من المسائل التي اختلف فيها أهل العلم قديماً على قولين:

١-أنه باجتهاد من الصحابة، ونسبه السيوطي في الإتقان للجمهور، وقال: من أشهر من قال به الإمام مالك رحمه الله .

٢-أنه بتوقيف من النبي ﷺ، وهو الذي رجحه أهل التحقيق في هذا، كالزركشي وابن حجر. راجع للتوسع: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (١٦٤). مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني (٢٨٧) .

﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ [النساء:١١٧].

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [الأنفال:٤٨].

﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾ [مريم:٤٤].

﴿ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [القصص:١٥].

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ ﴾ [الحشر:١٦].

ويكفي في ذلك ما أكد سبحانه بقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس:٦٢] أي: (لقد صد الشيطان منكم خلقاً كثيراً عن طاعتي، وإفرادي بالألوهية حتى عبدوه، واتخذوا من دوني آلهة يعبدونها. أفلم تكونوا تعقلون أيها المشركون، إذ أطعتم الشيطان في عبادة غير الله، إنه لا ينبغي لكم أن تطيعوا عدوكم وعدو الله، وتعبدوا غير الله) [1]، بل كان الواجب عليكم أن تدافعوا عدوكم وإن سلط عليكم فهو من قد علمتم.

## ثالثاً: خطوات الشيطان في استدراج الإنسان:

لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يسلط الشيطان على الإنسان لحكم عظيمة وغايات جليلة[2]، لكنه سبحانه إذ سلطه على الإنسان، لم يترك الإنسان هملاً يتلاعب به الشيطان كيف شاء، بل حذره تبارك وتعالى منه كما سبق، وبين له خطوات الشيطان التي يسير فيها لإضلاله وغوايته، وأوضح له المداخل التي يدخل عليه منها، وأعطاه السلاح الذي يدافع به عدوه، وبشره قبل ذلك بأن كيد هذا العدو ضعيف ليشحذ همته لمدافعته، قال تعالى: ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:٧٦].

(فلم يبق بعد ذلك مسلم تروج عليه تلبيساته حتى في حال اتباعه لخطواته، فهو يعلم أنها وساوسه المضره، إلا أنه تغلبه شهوته وضعف عزيمته ورقة ديانته)

(١) تفسير الطبري (١٠/٤٥٧).

(٢) انظر: بدائع الفوائد، ابن قيم (٤/١٣٧).

.[1]

وقد وردت الآيات القرآنية كاشفة للإنسان حبائل عدوه وطرائقه التي يحاول أن يضله بها، إما بلفظ يفيد العموم كتعبير القرآن عن ذلك بـ (خطوات الشيطان)، وإما بالنص على طريقة من طرقه.

فالتعبير بلفظ ( الخطوات ) فيه دلالة[2] على منهج الشيطان في إغواء الإنسان، لذا يمكن أن يلحظ المتأمل في هذا اللفظ واستعماله ما يلي:

١- أن من حاد عن صراط الله الواضح المستقيم، فقد وقع في خطوات الشيطان شاء أو لم يشأ؛ لأنه ليس ثم إلا صراط الله أو خطوات الشيطان، لذا عبر باتباع الخطوات المفيد حرص المتبع اقتفاء الأثر حذو القُذّة بالقُذّة.

٢- أن في استعمال لفظ (الخطوات) جمع خطوة: وهي ما بين قدمي الماشي، ما يفيد تقارب مراحل الشيطان في إغواء الإنسان، وحرصه على تعاهد الإنسان الدائم في ذلك وعدم ملله منه.

٣- أن في لفظ ( الخطوات ) بالجمع ما يفيد تعددها وكثرتها وتتاليها، وعليه يدل حديث ابن مسعود ﷺ قال: خط رسول الله ﷺ خطا بيده، ثم قال: (هذا سبيل الله مستقيماً) قال: ثم خط عن يمينه وشماله، ثم قال: (هذه السبل، وليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعوا إليه) [3].

وفي حديث النواس بن سمعان ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: (ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٠٤/٢).

(٢) ذهب عامة المفسرين إلى تفسير خطوات الشيطان: بلازم اتباعها وهو الذنوب من البدع والمعاصي.

(٣) أحمد في مسند عبد الله بن مسعود ﷺ (٤١٤٢) (٤٤٣٧). وصححه ابن حبان (٦)، والحاكم (٢٩٩٢) (٣٢٩٤) .

الأبواب ستور مرخاة) الحديث[1]، فالصراط المستقيم هو الإسلام، والأبواب المفتحة محارم الله كما جاء في الحديث، وهي تشمل كل ما نهى الله عنه ودعى إليه الشيطان. ثم هي حبائل الشيطان خطوة خطوة، يبدأ بالإنسان فيها فإذا انقاد له تتابعت أكبر فأكبر حتى يسلمه إلى هلاكه. فهو لا يرضى له بما دون الكفر والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ ﴾ [الحشر:١٦].

فتضمنت الآيات التحذير من طاعة الشيطان بـ (إرسال النفس على العمل بما يوسوسه لها من الخواطر البشرية... فإن أرسل المكلف نفسه لاتباعها ولم يردعها بماله من الإرادة والعزيمة حققها في فعله، وإن كبحها وصدها عن ذلك غلبها) [2].

أما طرقه التي ذكرها الله في كتابه فكثيرة منها:

١- الإزلال: في موضعين من القرآن، قال تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ [البقرة:٣٦]، في قصة إغوائه للأبوين حين أكلا من الشجرة ، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ [آل عمران:١٥٥]، فيما حصل من بعض الصحابة ﷺ في غزوة أحد. (والزلة في الأصل: استرسال الرجل من غير قصد، يقال: زلت رجله تزل) [3]، وهي (الزلق: أي اضطراب القدم وتحركها في الموضع المقصود إثباتها فيه) [4]، والمعنى: (استجرهم الشيطان حتى زلوا، فإن الخطيئة الصغيرة إذا ترخص

---

(١) أحمد واللفظ له، في مسند النواس بن سمعان ﷺ (١٧٧٨٤). الترمذي. كتاب: الأمثال. باب: ما جاء في مثل الله لعباده (٢٨٥٩)، وقال: هذا حديث غريب. وصححه الحاكم (٢٥٣)، والألباني في صحيح الترمذي (٢٢٩٥)، والمشكاة (١٩١) (١٩٢) .

(٢) التحرير والتنوير (١٠٣/٢).

(٣) المفردات (٣٨١).

(٤) التحرير والتنوير (٢٧٩/٢) .

الإنسان فيها تصير مسهلة لسبيل الشيطان على نفسه)[1]، فلما ذكر في الآيتين حال من كان سائراً على الصراط المستقيم، ناسب الإتيان بلفظ (الزلة) أي: انزلاق القدم واضطرابها عن ذلك الصراط نتيجة ذنب اقترفه سهل سبيل الشيطان عليه فاستجره. ومثله قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٠٨، ٢٠٩] .

والملاحظ في هذه الآيات جميعاً: أنها في سياق الخطاب للمؤمنين، ففيها إشارة إلى أن حظ الشيطان منهم ( الزلة ) فقط. وهي الذنب من غير قصد قاله الراغب[2]. أي: قصد التعدي على حدود الله أو الإصرار على الخطيئة؛ لذا ذكرت التوبة بعدها. وهو الموافق لعموم النصوص التي جاء فيها أن لكل عبد حظه من الذنب ولا بد، قال ﷺ : (كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون)[3].

وهذا يوضح المراد بالمخلصين الوارد في الآيات التي ذكر فيها توعد الشيطان بإضلال بني آدم إلا المخلصين.

٢- الوعود والأماني:

الوعد: لا يستعمل في كلام العرب مطلقاً إلا في الإيعاد بالخير، وإذا أرادوا الشر قالوا: أوعدته، قال عامر بن الطفيل:

وإني إن أوعدته أو وعدته لأخلف إيعادي وأنجز موعدي[4]

(١) المفردات (٣٨١) .

(٢) انظر: المصدر السابق .

(٣) الترمذي واللفظ له، من حديث أنس بن مالك ﷺ . كتاب: صفة القيامة. باب: ٤٩ (٢٤٩٩)، وقال: هذا حديث غريب. ابن ماجة. كتاب: الزهد. باب: ذكر التوبة (٤٢٥١). وصححه الحاكم (٧٦٩١)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٠٢٩)، وصحيح ابن ماجة (٤٢٥١) .

(٤) انظر: لسان العرب (٢٤٢/١٢).

وقد يستعمل الوعد مقيداً بحسب ما قيد به من خير أو شر[1]، ومنه ما ذكره الله في كتابه من وعود الشيطان، قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [البقرة:٢٦٨]، فـ (قيد الوعد فيها بمكروه وهو الفقر)[2]، فيكون معنى الآية: (يخوفكم الفقر لتمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاه الله)[3].

وقال تعالى: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النساء:١٢٠]، [الإسراء:٦٤]، فقيد بالخبر عن حقيقة وعد الشيطان لهم بأنه كذب لا حقيقة له، إنما يغرهم بالوعود الكاذبة والأماني الزائفة .

أما التمني: فهو تصور حاصل في النفس متمن لها، وأكثره فيما لا حقيقة له بل عن تخمين وظن[4]، وهو المراد هنا، قال تعالى في بيان سبيل من سبل الشيطان في إغواء الإنسان: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ﴾ [النساء:١٢٠]، فيكون المعنى: جعله الشيطان لهم أمنية بما شبهه لهم فتمنته نفوسهم ولا حقيقة له. وقد جلى النبي ﷺ حقيقة وعد الشيطان لابن آدم بقوله: ( إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، ثم قرأ: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ )[5]، فذكر ﷺ مدخل الشيطان على ابن آدم وهو الأمر بالشر والتكذيب بالحق والتخويف منه، (وهذان الأمران هما جماع ما يطلبه الشيطان من الإنسان، فإنه إذا خوفه من فعل الخير تركه، وإذا أمره بالفحشاء وزينها له ارتكبها)[6]، ثم هو مع ذلك يمنيه بالأماني

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٢٤٧).

(٢) المصدر السابق .

(٣) تفسير ابن كثير (٧٠٤/١).

(٤) انظر: المفردات (٧٨٠).

(٥) الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ . كتاب: تفسير القرآن. باب: ومن سورة البقرة (٢٩٨٨)، وقال هذا حديث حسن غريب، وصححه ابن حبان (٩٩٣) .

(٦) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١١٧) .

الكاذبة التي يغره بها عن العمل، من طول العمر ودوام العافية وبقاء المال وتزكية النفس، ثم يكشف عن حقيقة وعوده لكن حين ينقضي العمل، حين يقول في النار: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

٣- الوسوسة:

وهي (الحديث في خفاءٍ، همساً وسراراً من الصوت، والوسواس: صوت الحلي، فشبه الهمس به، وسمي إلقاء الشيطان في نفس ابن آدم وسوسه إذ هي أبلغ السرار وأخفاه.. ومن ذلك قول رؤبة: وسوس يدعو جاهداً رب الفلق) [(١)].

أي: بكلام خفي فسماه وسوسة. وقد يراد به الشيطان نفسه[(٢)]، كما قال تعالى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴾ [الناس:٤]، فيكون من باب تسميته بفعله الذي يفعله، كما يقال لمن قرأ القرآن: القارئ .

قال تعالى: ﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ [الأعراف:٢٠] وقال: ﴿ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ [طه:١٢٠]، وهذا في قصة إبليس مع الأبوين آدم وحواء، فابتدأ معهما بالوسوسة حتى انتهى بهما عليهما السلام إلى الوقوع في الزلة. وقال تعالى في حال الشيطان مع بني آدم عموماً:

﴿ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ ﴾ [الناس:٥] قال ابن كثير ~ : ( وهو: الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يزين له الفواحش ، ولا يألوه جهداً في الخبال، والمعصوم من عصم الله، وقد ثبت في الصحيح أنه: (ما منكم من أحد إلا قد وكل به قرينه ) قالوا: وأنت يا رسول الله ؟ قال: نعم، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير ) [(٣)]. وثبت في الصحيح عن أنس في قصة زيارة صفية النبي ﷺ وهو معتكف، وخروجه معها ليلاً ليردها إلى منزلها،

(١) المحرر الوجيز (٦٩١).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٧٨/٧).

(٣) مسلم من حديث ابن مسعود ﷺ . كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم. باب: تحريش الشيطان، وبعثه سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قرين (٢٨١٤) .

فلقيه رجلان من الأنصار ، فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعا، فقال رسول الله : (على رسلكما، إنها صفية بنت حيي) فقالا: سبحان الله يا رسول الله. فقال: (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًّا). أو قال: (شيئًا)[1] )[2]، ثم ذكر حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ : (إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر خنس، وإن نسي التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس) ثم قال: غريب، وهذا الحديث وإن كان ضعيف الإسناد كما حكم عليه ابن حجر ~ [3]وغيره[4]، إلا أن القرآن يدل عليه كما سبق، وكذلك الأحاديث. ومنها مع ما سبق، ما روى الإمام أحمد ~ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (إن أحدكم إذا كان في المسجد، جاءه الشيطان فأبس به، كما يأبس الرجل بدابته، فإذا سكن له زنقه أو ألجمه) قال أبو هريرة: وأنتم ترون ذلك، أما المزنوق فتراه مائلاً -كذا- لا يذكر الله، وأما الملجم ففاتح فاه لا يذكر الله ﷻ [5]. وقد فسر السلف الآية بذلك كما روى سعيد بن جبير ~، عن ابن عباس ﷺ قال: الشيطان جاثم

---

(١) البخاري. كتاب: بدء الخلق. باب: صفة إبليس وجنوده (٣٢٨١). مسلم واللفظ له. كتاب: السلام. باب: بيان أنه يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة، وكانت زوجته أو محرماً له، أن يقول: هذه فلانة (٢١٧٥). وقد رويا القصة عن علي بن الحسين عن صفية بنت حيي <، أما رواية أنس ﷺ، فإنها عند مسلم في نفس الباب مختصرة بدون ذكر القصة .

(٢) تفسير ابن كثير (٥٣٩/٨).

(٣) انظر: فتح الباري (٧٤٢/٨). وقال رحمه الله في كتاب: تحفة النبلاء من قصص الأنبياء: وروى ابن جرير من طريق ابن عباس نحوه، وعلقه البخاري، ورواه الحاكم موصولاً مرفوعاً، وفيه ضعف (٩٣) .

(٤) حديث أنس هذا رواه أبو يعلى في مسند أنس ﷺ (٤٣٠١)، وضعفه أيضاً الهيثمي في المجمع (١١٥٦٠)، والألباني في ضعيف الجامع (١٤٨٠)، والسلسلة الضعيفة (١٣٦٧) .

(٥) أحمد في مسند أبي هريرة ﷺ (٨٣٥٢). وقال الهيثمي في المجمع: رجال أحمد رجال الصحيح (٥٥١/١). وقال ابن حجر في تحفة النبلاء: إسناده حسن (٩٤). أبس به: أي احتال عليه بالوسوسة كاحتيال الراعي بناقته إذا أراد حلبها. انظر: الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني. أحمد البنا (٧٧/٢).

على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس، وكذا قال مجاهد، وقتادة[1]، فدل ذلك على طريقة الشيطان في إغواء الإنسان[2].

وقد ذكر ابن قيم ~ أنه لا يمكن حصر أجناس شره، فضلاً عن آحادها، إذ كل شر في العالم فهو بسببه، لكن ينحصر شره في ستة أجناس لا يزال بابن آدم حتى ينال منه واحد منها أو أكثر، وهي:

أولاً: شر الكفر والشرك، ومعاداة الله ورسوله،وهو أول ما يريد من العبد، فإن يئس منه ذلك نقله إلى الثاني.

ثانياً: البدعة، وهي ضرر متعد، وحقيقتها مخالفة دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام،والدعاء إلى خلاف ما جاءوا به، فإن أعجزه العبد عن ذلك، وكان من أهل السنة، ومعاداة أهل البدع، نقله إلى الثالث.

ثالثاً: الكبائر على اختلاف أنواعها، لاسيما إن كان عالماً متبوعاً، لينفر الناس عنه، فإن عجز عن هذه المرتبة نقله إلى الرابع.

رابعاً: الصغائر من الذنوب، التي ربما أهلكت صاحبها إذا اجتمعت عليه،

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٧٥٢/١٢)، تفسير ابن كثير (٥٤٠/٨).

(٢) ومن طرق الشيطان في إغواء الإنسان التي نص عليها في القرآن غير ما سبق:

*تخويف العبد: [آل عمران: ١٧٥] *إيقاع العداوة والبغضاء: [المائدة:٩١].

*التزيين: [النساء: ١١٩]، [الأنعام:٤٣]، [الأنفال:٤٨]، [النحل:٦٣]، [النمل: ٢٤]، [العنكبوت:٣٨]، [الحجر:٣٩].

*النسيان: [الأنعام:٦٨]، [يوسف:٤٢]، [الكهف:٦٣]، [المجادلة:١٩].

*النزغ: [الأعراف:٢٠٠]، [يوسف:١٠٠]، [الإسراء:٣٥]، [فصلت: ٣٦].

*الطائف: [الأعراف:٢٠١] *الإلقاء في الأمنية: [الحج: ٥٢].

*التسويل: [محمد: ٢٥] * النجوى: [المجادلة:١٩].

*الاستحواذ: [المجادلة: ١٩] * الاستهواء: [الأنعام:٧١].

*الإيحاء: [الأنعام ١١٢، ١٢١]. * الأز: [مريم: ٨٣] * الهمز: [المؤمنون:٩٧].

قال ﷺ : (إياكم ومحقرات الذنوب، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه) [1]، فلا يزال الشيطان يسهلها على العبد حتى يستهين بها، فيكون صاحب الكبيرة الخائف منها أحسن حالاً منه. فإن أعجزه العبد عن هذه المرتبة نقله إلى الخامس.

خامساً: المباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب، بل عاقبتها فوت الوقت فيها من غير طائل، فيشغله ليضيع وقته فيها. فإن أعجزه العبد وكان حافظاً لوقته يعلم قدره وأهميته نقله إلى السادس.

سادساً: أن يشغله الشيطان بالعمل المفضول عن العمل الفاضل، ليحرمه الفضيلة، ويفوت عليه ثواب العمل الفاضل، فيأمره بعمله ويرغبه فيه ويحسنه له.

فإن أعجزه العبد عن المراتب التي سبقت، سلط عليه أعوانه من الإنس والجن بأنواع الأذى والتكفير والتضليل والتبديع، والتحذير منه، كل ذلك ليخمد ذكره ويشوش عليه قلبه،ويشغل فكره، ليمنع الناس من الانتفاع به، فيبقى إبليس في سعيه ذلك لا يفتر ولا يني، فحينئذ يلبس المؤمن لأمة الحرب، ولا يضعها عنه إلى الموت، ومتى وضعها أسر وأصيب، فلا يزال في جهاد ومدافعة حتى يلقى الله[2].

### رابعاً: وسائل دفع كيد الشيطان:

تكرر الحديث في القرآن عن الشيطان ليثير في نفس المؤمن الحذر من هذا العدو، ويميز له أن المعركة الرئيسية هي بين الإنسان والشيطان، باعتبار أنه أصل لكل شر، ووجه القرآن الكريم قوى المؤمن كلها لكفاح ومدافعة الشيطان والشر الذي ينشئه في الأرض، ليكون المؤمن واقفاً تحت راية الله وفي حزبه، في

(١) أحمد واللفظ له في مسند عبد الله بن مسعود ﷺ (٣٨١٨)، ومسند سهل بن سعد ﷺ (٢٣١٩٤). البيهقي (٢٠٧٦٢). وحسنه ابن حجر في الفتح (٣٣٧/١١)، وصححه الهيثمي في المجمع (١٧٤٥٩)، والألباني في صحيح الجامع (٢٦٨٧) .

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٢٥٨/٢)، وهي مفصلة في: مدارج السالكين (١٨٥/١).

مقابل الشيطان وحزبه، ولتكون المواجهة والمصاولة والمدافعة دائمة لا تضع أوزارها؛ لأن عدوه لا يمل منه. واعلمه أنه إما أن يكون ولياً لله، وإما أن يكون ولياً للشيطان، لا وسط بين ذلك، وجلى له القرآن الكريم كيد عدوه حين يتمثل في نفسه وما يبثه فيها من شهوات ونزوات، أو حين يتمثل في أتباعه من المشركين وأهل الشر عامة. وحثه ودله على السلاح الذي يدافعه به في ذات نفسه، كما يكافحه في أتباعه وأهل طاعته[1]، ونحن هنا في هذه الصورة إنما سنقتصر على وسائل دفعه هو كما جاءت في القرآن الكريم.

وبالتأمل في الآيات الواردة في مدافعة الشيطان يمكن أن يلحظ ما يلي:

١- أنه بالرغم من التحذير البالغ المتكرر من الشيطان وكيده في القرآن الكريم الذي يبلغ مداه بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ ﴾ [الأعراف:٢٧]، إذ من شأن الحذر أن يرصد الشيء المخوف بنظره ليحترس منه إذا رأى بوادره، لكن الشياطين ترى البشر ولا يرونها، فجانب كيدهم قوي متمكن، وجانب حذر الناس منهم ضعيف، لأنهم يأتون المكيد من حيث لا يدري[2]. رغم كل هذا إلا أن الله تعالى يطمئن أولياءه إلى ضعف كيد الشيطان وأوليائه، في أعظم ساحات المصاولة والمدافعة بين المؤمن وبين الشيطان، تلك المنازلة التي تستدعي من كلى الطرفين استفراغ وسعه في رد عدوه بتدبيج كل عتاده لذلك، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦ ﴾ [النساء:٧٦].

٢- أن الإنسان مهما بلغ من القوة والفهم لن يستطيع بحال أن ينجو من كيد الشيطان إلا بطريق واحد، هو طريق الاستعاذة بالله وذكره، لذا اهتمت الآيات بإبراز هذه الحقيقة، ولم يذكر إلا هذا السلاح المتحقق النفع، فالآيات تشير بذلك إلى أن الإنسان بدون عون الله تعالى له في هلكة من عدوه ولا شك، فهي تصرح

(١) انظر: في ظلال القرآن (٧٦١/٢).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٧٩/٩).

بذلك في مواطن:

قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء:٨٣].

وقال تعالى: ﴿ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [الأنفال:١١].

وقال تعالى: ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [الحج:٥٢].

٣- رحمة الله سبحانه بعبده إذ جعل سلاحه في مدافعة عدوه سهلاً ميسوراً، وهو الاستعاذة به تعالى وذكره، وقد عرضتهما الآيات في أسلوبين:

أ-الأمر بها في خطابة للنبي ﷺ ، وهو أمر لأمته أيضاً:

قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف:٢٠٠].

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [النحل:٩٨].

وقال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [فصلت:٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ ﴾ [المؤمنون:٩٧].

ب-الإخبار بأن الاستعاذة بالله من كيد الشيطان وكذلك ذكره تعالى، هما طريق المتقين للنجاة من كيد عدوهم، فالمؤمن إذا علم أن المتقين في الآية هم المقصودون بالاستثناء في قوله (إلا المخلصين) تأكد عنده أنه السبيل النافع الذي حصل به المتقون النجاة.

قال تعالى عن أم مريم أنها قالت داعية: ﴿ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران:٣٦].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠١].

وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾

[ص:٤١].

ثم بعد رصد ما سبق يمكن أن يدور الحديث حول سؤالين هامين هما:

**الأول**: ما معنى الاستعاذة المأمور بها في القرآن التي جعلت سلاحاً للمؤمن في رد كيد عدوه؟

الاستعاذة: من عاذ به، عوذاً وعياذاً ومعاذاً: لاذبه ولجأ إليه واعتصم[١].

قال ابن عطية ~: ( معنى الاستعاذة: الاستجارة والتحيز إلى الشيء، على معنى الامتناع به من المكروه ) [٢].

وقال ابن جرير ~: ( الاستعاذة: الاستجارة، وتأويل قول القائل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: استجير بالله دون غيره من سائر خلقه- من الشيطان أن يضرني في ديني، أو يصدني عن حق يلزمني لربي ) [٣].

إذا علم معنى الاستعاذة المطلوبة شرعاً فتجدر الإشارة إلى أن الاستعاذة بالله هي من جملة ذكر الله تعالى ، الذي جعل سياجاً وحصناً يقي المؤمن من كيد الشيطان؛ لذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ ﴾ [الأعراف:٢٠١]، أي: تذكروا ربهم فتابوا إليه، وعدوهم فتعوذوا منه، وتذكروا من أي باب أتاهم ومن أي مدخل دخل عليهم، فأبصروا واستغفروا ، واستدركوا ما فرطوا بالتوبة النصوح والحسنات الماحية[٤].

ولقد توسعت السنة النبوية في بيان أنواع الذكر ومواطنه وألفاظه ، وعظيم نفعه وفائدته في دفع الشيطان وحفظ الإنسان.

ثم إن الاستعاذة لا تكفي أن تكون باللسان فقط، مع انسياق الإنسان وراء ما

(١) انظر: لسان العرب (٣٢٩٠/١٠).

(٢) المحرر الوجيز (٣٣) .

(٣) تفسير الطبري (٧٦/١) .

(٤) انظر: تفسير السعدي (٣١٣).

يوسوس به شيطانه، بل لابد من موافقة القلب اللسان، وتفاعل الجوارح مع ذلك. وبالجملة فإن انتفاع الانسان بذلك يكون حسب إيمانه وعلى قدره، فإن قوي الإيمان قويت المدافعة بذلك[1]، وعليه دل حديث رسول الله ﷺ حين قال: (يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته)[2]، فأمر مع الاستعاذة بالله من وسواس الشيطان بالانتهاء عن الانسياق وراء ذلك بإشغال النفس بما يصرفها عنه.

**الثاني**: لماذا اقتصر في دفع الشيطان على الاستعاذة وذكر الله تعالى، في حين أمر المؤمن في التعامل مع من اعتدى من بني آدم مع الاستعاذة من شر كل ذي شر، بأساليب أخرى في مدافعتهم كالصفح والإحسان والمداراة والإعراض والمقاتلة؟ .

ويمكن الجواب عن هذا السؤال بعدة نقاط أشارت إليها الآيات التي تحدثت عن هذه المدافعة هي:

١- أن الإنسان حين يتعامل مع هذا العدو، لا يتعامل مع عدو ظاهر بارز، يمكن رصد تحركاته يرى بالأبصار، إنما يتعامل مع عدو شاء الله تعالى أن يكون مستوراً عنه، يرى الإنسان ولا يراه الإنسان في صورته التي يكون عليها غالباً، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف:٢٧]، لذا ختمت الآيات التي أمر فيها بالاستعاذة بالله منه، باسمي الله السميع العليم؛ لأن أفعاله لا ترى بالأبصار لبني آدم، إنما هي نزغ ووساوس، وخطرات يلقيها في القلب يتعلق بها العلم[3]، فناسب أن يدخل المؤمن في حماية من خلقه ويراه، فالشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله، فهو السميع لاستعاذة عبده العليم بكيد عدوه به.

---

(١) انظر: زاد المعاد (٧/٣) .

(٢) البخاري واللفظ له من حديث أبي هريرة ﷺ . كتاب: بدء الخلق. باب: صفة إبليس وجنوده (٣٢٧٦). مسلم. كتاب: الإيمان. باب: بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها (١٣٤) .

(٣) انظر: بدائع الفوائد (٢٥٤/٢).

٢- أن الله تعالى حين أمر المؤمن بمصانعة المعتدي من الإنس ومداراته باسداء الجميل إليه، فإنما ذلك ليرده إلى طبعه الطيب الأصل، فإنه خلق من أصل طيب. أما الشيطان فإنه شرير بطبعه لا يفتر عن شره ولا يرحم ضحاياه، لذا أمر المؤمن بالاستعاذة بالله منه لأنه لا يكفه إلا الذي خلقه(١)، ولا يجدي الإحسان معه.

٣- أن عمل الشيطان مع الإنسان مهما عظم لا يعدو أن يكون دعوة بوسوسة وتزيين ونحوها، ولا يملك إجبار الإنسان على فعل ما يريد، بخلاف العدو من الإنس، لذا قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ ﴾ [سبأ:٢١]، أي: لا قهر له عليهم ولا قسر على ما يريده منهم، ولكن حكمة الله اقتضت تسليطه على بني آدم ليقوم سوق الامتحان(٢)، قال الحسن ~: والله ما ضربهم بعصا ولا سيف ولا سوط، إلا أماني وغرورا دعاهم إليه(٣). فناسب أن يكون سلاح المؤمن في مدافعته، ذكر الله الذي يعد سياجاً يحمي الذاكر ويحفظه من وسوسته، كما قال ابن عباس { في قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ﴾ [الناس:٤] الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس(٤).

### ۞ الصورة الثانية: دفع السيئة بالحسنة:

الحسنة: يعبر بها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وحاله(٥)، سواء كانت مما يقع على الإنسان قدرا من غير اختيار منه كما قال تعالى: ﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾ [النساء:٧٨] وقال: ﴿ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ ﴾

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/١١٤)، زاد المعاد (٣/١٦١) .

(٢) انظر: تفسير السعدي (٦٧٨) .

(٣) تفسير الطبري (١٠/٣٧١) .

(٤) المصدر السابق .

(٥) انظر: المفردات (٢٣٥).

[الأعراف:١٣١].

أو كانت مما يقع من الإنسان مما في مقدوره فعله واختياره من العادات كالأكل لتحصيل الشبع، أو من العبادات كالصلاة لتحصيل فوائدها. والسيئة تضادها[١].

ولا يزال الإنسان في حياته متقلباً بين الحسنات والسيئات بهذا المعنى العام.

ويراد بالحسنة أيضاً الفعل المطلوب شرعاً، أو ما يترتب عليه من ثواب، والسيئة بضده.

فالأول كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ﴾ [فصلت:٣٤] فالحسنة هنا: يراد بها الفعلة الحسنة كـ (بذل السلام ، وحسن الأدب، وكظم الغيظ، والسماحة في القضاء والاقتضاء، وغير ذلك) [٢]. والثاني كقوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٌ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [القصص:٨٤]، فالمراد بها هنا: (ثوابها الموازي لها) [٣] وهو الزيادة في الثواب عن القدر المستحق للعبد من الثواب بحسنته.

والآيات الواردة في هذه الصورة بالمعنى الثاني تدور حول محورين هما:

١- مدافعة العبد سيئات نفسه بالحسنات .

٢- مدافعة العبد سيئة غيره .

أولاً: مدافعة العبد سيئات نفسه بالحسنات:

دلت النصوص الشرعية على أن كل ابن آدم مكتوب حظه من السيئات

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) المحرر الوجيز (١٦٥٤).

(٣) المحرر الوجيز (١٤٥٢).

مدرك ذلك لا محالة، قال ﷺ : (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) [1]، فأرشد النبي ﷺ المؤمن إلى طريق النجاة من تلك السيئات بدفعها بالحسنات، يوم كانت لابد واقعة من ابن آدم، فالمؤمن في سيره إلى ربه لا يزال في مدافعة بين الحسنات والسيئات، قال ﷺ: (والذي نفسي بيده! لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله، فيغفر لهم)[2].

فمن أسمائه سبحانه الغفور والرحيم والستير وغيرها من الأسماء الدالة على رحمته سبحانه، وهو يحب أن يتعبد له بها كما يحب أن يتعبد له بسواها من أسمائه الحسنى، بل إن آثارها أحب إليه من غيرها.

وهذه المدافعة التي تمثل منهج المؤمن في تعامله مع سيئات نفسه، هي الفارق بين المؤمن وغيره من أهل الفسق والكفر؛ فهو لا يزال يدفع ما يقع منه من الزلات بالحسنات الماحية من التوبة والاستغفار والأعمال الصالحة، وغيره يجمع الذنب إلى الذنب بغير بصيرة حتى يهلك والعياذ بالله.

والآيات في هذا المعنى كثيرة وهي تقرب من سبع وسبعين آية[3]، منها آيات دلت على دفع السيئة بالحسنة من توبة وغيرها، وآيات أضافت إلى ذلك بيان حقيقة التوبة.

فأما الآيات التي دلت على دفع السيئة بالحسنة فمنها:

قوله تعالى في وصف أولي الألباب: ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ [الرعد:٢٢]، [القصص:٥٤].

الدرء: الدفع والطرد[4]، وهو جامع لعدة معاني[1]:

(١) سبق تخريجه( ).

(٢) مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ . كتاب: التوبة. باب: سقوط الذنوب بالاستغفار توبة (٢٧٤٩) .

(٣) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (٩٢) (٦١٢).

(٤) انظر: المفردات (٣١٣) .

١- دفع السيئة إذا صدرت من المكلف بالحسنات الماحية، وفيه حديث أبي ذر رضي الله عنه (اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها)(٢)، وهو معنى آية القصص قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [القصص:٥٤].

٢- دفع إساءة من أساء بالإحسان إليه، كقوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون:٩٦] وهو قول عامة المفسرين في الآية .

٣- العدول عن فعل السيئة بعد العزم على فعلها فإنه حسنة درأت سيئة، وفيه قوله ﷺ : (من هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة)(٣).

والآية تشمل هذه المعاني كلها؛ لأن الآية لم يعقب فيها (بما يقتضي أن المراد معاملة المسيء بالإحسان كما أتبع في قوله: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت:٣٤].

وكما في قوله: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩٦] )(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ [هود:١١٤].

ذهب جمهور المفسرين إلى أن الحسنات في الآية يراد بها الصلوات الخمس، (والذي يظهر أن لفظ الآية عام في الحسنات)(٥)، لأن هذه الجملة واقعة

---

(١) التحرير والتنوير (١٣/١٢٩) .

(٢) أحمد واللفظ له في مسند أبي ذر رضي الله عنه (٢١٦٨١). الترمذي. كتاب: البر والصلة. باب: ما جاء في معاشرة الناس (١٩٨٧). وقال: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الحاكم (١٨٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (١٦١٨)، والمشكاة (٥٠٨٣) .

(٣) البخاري واللفظ له. من حديث ابن عباس رضي الله عنه .كتاب: الرقاق. باب: من هم بحسنة أو سيئة (٦٤٩١). مسلم. كتاب: الإيمان. باب: إذا هم بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب (١٣١) .

(٤) التحرير والتنوير (١٣/١٣٠)، وانظر: البحر المحيط (٥/٤٩٥)، روح المعاني (٧/١٧٧) .

(٥) المحرر الوجيز (٩٧٤) .

موقع التعليل بعد الأمر بإقام الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل، و(الشأن أن تكون العلة أعم من المعلول مع ما يقتضيه الجمع باللام من العموم) [(١)].وإذهاب الحسنات للسيئات يشمل[(٢)] تحصين نفس المكلف بالإيمان الناشئ عن فعل الحسنات من الوقوع في السيئات، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ ﴾ [العنكبوت:٤٥]، ويشمل أيضاً محو إثمها بعد حصولها ووقوعها، كما قال تعالى: ﴿ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ ﴾ [الفرقان:٧٠] على وجه في تأويل الآية[(٣)]. فدلت الآية على أن الحسنات تدفع السيئات إما قبل وقوعها، وإما بعده.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ ﴾ [النساء:١٧]، وعد من الله تعالى بقبول حسنة التوبة الماحية، لعبد دفع بذلك عن نفسه ما أسرفت به من الذنوب والمعاصي التي حمله الجهل على الإقدام عليها، وصادف ذلك الدفع وقت القبول بحصوله قبل معاينة الموت[(٤)].

ومن الآيات في ذلك أيضاً: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البقرة:٣٧].

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٥٤].

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء:١١٠].

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [المائدة:٣٤].

---

(١) التحرير والتنوير (١٠/١٨٠) .

(٢) انظر: المصدر السابق .

(٣) انظر: الكشاف (٧٥٢).

(٤) تفسير السعدي (١٧١).

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف:٢٣].

وأما الآيات التي أضافت إلى دفع السيئة بالتوبة، بيان حقيقتها فمنها:

قوله تعالى: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ﴾ [المائدة:٣٩].

﴿ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام:٥٤].

﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأعراف:١٥٣].

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾ [النحل: ١١٩].

فهذه الآيات أشارت إلى دفع السيئات بالحسنات عموماً، وإن كانت نصت على التوبة إلا أنها عطفت عليها ما يدل على عموم الحسنات في قوله (أصلح، آمن) وفي الآيات فوائد:

١- أن في الآيات دليلاً على مذهب أهل السنة في دخول الأعمال في مسمى الإيمان وأنها شطر الإيمان؛ لذا عطف الإيمان على التوبة في آية الأعراف التي هي في اليهود، وتوبتهم هي بتركهم عبادة العجل وتوحيدهم لله، فدل على أن الإيمان المذكور بعد ذلك تحقيق مقتضى تلك التوبة بالعمل بطاعة الله.

فعطف على التوبة في الآيات مرة بالإصلاح الدال على فعل المأمور مستقبلاً وترك المحظور كذلك، ومرة بالإيمان الذي من أركانه العمل ظاهراً وباطناً. فتكون الآيات دالة على أن الحسنات المتمثلة في فعل المأمور وترك المحظور دافعة للسيئات.

٢- أنه لا يكفي من المكلف ادعاء التوبة حتى يجمع إلى ذلك تحقيق شروطها التي أشارت إليها كلمة (أصلح، آمن)، كما قال ابن كثير ~ في تفسير قوله تعالى

﴿ تَابَ مِنْ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ ﴾ : (أي: رجع عما كان عليه من المعاصي وأقلع، وعزم على ألا يعود، وأصلح العمل في المستقبل) [1] .

٣- أن في عطف الإصلاح والإيمان على التوبة في الآيات إرشاد للمنهج القرآني في تربية النفس الإنسانية على الإيجابية والعمل، فلا يكفي الظالم أن يكف عن ظلمه بالإقلاع ويقعد، بل لا بد من تعويض تلك المظالم ودفعها بعمل إيجابي مصلح لنفسه ولغيره. فالنفس إذا (كفت عن الشر والفساد ولم تتحرك للخير والصلاح، بقي فيها فراغ وخواء قد يرتدان بها إلى الشر والفساد. فأما حين تتحرك إلى الخير والصلاح، فإنها تأمن الإرتداد إلى الشر والفساد) [2] .

ثانياً: مدافعة العبد سيئة غيره بالإحسان إليه:

(الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم: الإنسان مدني بطبعه، أي: لابد له من الاجتماع) [3]، فلا يمكن للإنسان أن يعيش بمفرده، بل لا بد له من مخالطة غيره من الناس وتعامله معهم. وطبيعة الناس في هذه الحياة البشرية أنهم مختلفون في سلوكهم وأخلاقهم وعقائدهم، فيهم المؤمن والكافر، وفيهم التقي والفاسق، وفيهم العالم والجاهل، وفيهم الحليم والسفيه، وفيهم حسن الأخلاق وسيئها. سنة من سنن الله في عباده؛ لذا جاءت الشرائع الربانية بتهذيب النفوس وإصلاح الأخلاق، فأرشدت المكلف إلى الطريق الصحيح في التعامل مع الآخرين بما يعود على المكلف ومن تعامل معه بخيري الدنيا والآخرة. ومن ذلك ما أرشد الله تعالى إليه من دفع سيئة من أساء إليهم من بني جنسهم بالإحسان إليه، ليردهم ذلك إلى أصلهم، فإنهم خلقوا من أصل طيب وهو أبوهم آدم عليه السلام .

والنبي ﷺ إذ يوضح ذلك المنهج بقوله: (أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن

---

(١) تفسير ابن كثير (٢٦٢/٣) .

(٢) في ظلال القرآن (٨٨٦/٢) .

(٣) مقدمة ابن خلدون (٤٦) .

من خانك)[1]، يترسم ذلك ويطبقه في سلوكه وتعامله. فهذا الحديث فوق أنه ينهى المؤمن عن مقابلة خيانة الخائن بمثلها ، لأن الخيانة صفة المنافق وهي دليل على خسة في الخلق منزه عنها المؤمن، فهو أيضاً يرسم للمؤمن منهجه في التعامل بدفع سيئة المسيء بالإحسان إليه، لأن سلوك الإنسان ينم عن أخلاقه وقدر إلتزامه بمبادئ دينه، ولعله بذلك السلوك الحسن يَعِضُ المسيء فيكون نافعاً له.

ومن الآيات في ذلك:

قوله تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [المؤمنون:٩٦].

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت:٣٤].

يأمر الله تعالى في الآيتين نبيه والأمر لأمته من بعده بدفع إساءت المسيء بالإحسان إليه، وذلك في مقامين:

١- مقام المداراة له، كما في آية المؤمنين فإنها مكية، وذلك حين يكون المؤمن في حالة ضعف تحتم عليه مداراة عدوه بمقابلة إساءته بالإحسان إليه حفظاً لنفسه، ودعوة لدينه حين يحسن لعدوه المسيء إليه؛ لعل ذلك يرده إلى رشده وعقله فيكون سبباً في إسلامه، وصيانة لسمعة الدين من تشويه المغرضين من أعدائه، حين يرى الناس حسن أخلاق المؤمن بل وإحسانه إلى من أساء إليه، فالقلوب تميل إلى من أحسن. وهذا حال النبي ﷺ وأصحابه حين كانوا مستضعفين بمكة، لكن (المداراة محثوث عليها ما لم تؤد إلى ثلم دين وإزراء بمروءة )[2].

(١) أحمد وقال: حديث رجل عن النبي ﷺ (١٥٥٠٢). أبو داود. كتاب: البيوع والإجارات. باب: في الرجل يأخذ حقه من تحت يده (٣٥٣٤). الترمذي. كتاب: البيوع. باب: ٣٨ (١٢٦٤)، وقال هذا حديث حسن غريب، وصححه الحاكم عن أبي هريرة وأنس (٢٣٤٣) (٢٣٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٠١٥)، والمشكاة (٢٩٣٤) .

(٢) الكشاف (٧١٤) .

٢- مقام الدعوة، كما في آية فصلت، لذا قدم للأمر بدفع إساءة المسيء بما يرغب المسلم في الإحسان بقوله: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت:٣٤] ؛ لأن الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما، فأمر بالأخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها إذا اعترضه حسنتان ليدفع بها السيئة التي ترد عليه[١]. فالحسنة لا يستوي أثرها مع السيئة (فهي ترد النفوس الجامحة إلى الهدوء والثقة، فتنقلب إلى الولاء، ومن الجماح إلى اللين)[٢]، فقال بعد ذلك: (فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم)، وهذه السماحة قاصرة على حالات الإساءة الشخصية، لا التعدي على العقيدة والدين وفتنة المؤمنين؛ فإن هذه حالة تستلزم من المؤمنين المنابذة والمقاومة بكل صورة من صورها -إن أمكن- انتصاراً للدين، قالت عائشة <: ( وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط، إلا أن تنتهك حرمة لله، فينتقم بها لله )[٣]، أو الصبر عند العجز، والانتقال إلى الحالة الأولى حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا .

واستعمل لفظ المبالغة ﴿ أَحْسَنُ ﴾ بدل حسنة في الآيتين على وزن (أفعل)، (لما فيه من التفضيل كأنه قال: ادفع بالحسنى السيئة، والمعنى: الصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الإحسان حتى إذا اجتمع الصفح والإحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بإزاء سيئة، وهذه قضية قوله: ﴿ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾)[٤]، زيادة في ترغيب المؤمن وإرشاده إلى هذا النوع من المدافعة .



(١) انظر: الكشاف (٩٦٩) .

(٢) في ظلال القرآن (٣١٢١/٥) .

(٣) البخاري واللفظ له. كتاب: الأدب. باب: قول النبي ﷺ: (يسروا ولا تعسروا) (٦١٢٦). مسلم. كتاب: الفضائل. باب: مباعدته ﷺ للآثام، واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته (٢٣٢٧).

(٤) الكشاف (٧١٤) .

## الصورة الثالثة: دفع الله عن أوليائه:

إذا آمن العبد بربه ارتبط به برباط وثيق، وانتقل بذلك الإيمان من العناية العامة التي لعموم الخلق إلى العناية الخاصة بأهل محبته سبحانه. فلأهل الإيمان معية خاصة من ربهم لا يشركهم فيها غيرهم، كما قال النبي ﷺ للصديق إذ هما في الغار: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠]، وكما قرر الله في كتابه في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]، (أي: معهم بتأييده ونصره ومعونته وهذه معية خاصة) [١] .

وقد تأذن الله سبحانه بحرب من عادى أوليائه، صيانة لدينه ودفعاً عن أولياءه، كما في الحديث القدسي: (من عادي لي ولياً فقد آذنته بالحرب) [٢]، (يعني: فقد أعلمته بأني محارب له، حيث كان محارباً لي بمعاداة أوليائي... فأولياء الله تجب موالاتهم، وتحرم معاداتهم، كما أن أعداءه تجب معاداتهم، وتحرم موالاتهم) [٣]. وكلما كان العبد في الإيمان أكمل كان حظه من المعية الخاصة أوفر .

وإن من مقتضيات هذه المعية الخاصة منه سبحانه، دفعه عن أوليائه وحفظه لهم، كما دلت على ذلك النصوص الشرعية من القرآن والسنة. والآيات الواردة في هذه الصورة من التدافع كثيرة، يمكن أن ترجع إلى محورين هما:

١- وعد الله بحفظ أوليائه والدفع عنهم .

٢- مشاهد تاريخية عرضها القرآن لحفظ الله لأوليائه ودفعه عنهم .

أولاً: وعد الله بحفظ أوليائه والدفع عنهم:

تكفل الله سبحانه لمن راعى حقه أن يدفع عنه ما يضره ويؤذيه من عدو

(١) تفسير ابن كثير (٤/٦١٥) .

(٢) البخاري من حديث أبي هريرة ؓ . كتاب: الرقاق. باب: التواضع (٦٥٠٢).

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب (٤٢٨).

ظاهر وباطن، وقد سبقت الإشارة إلى وعد الله بدفع كيد الشيطان عن أوليائه في الصورة الأولى، أما العدو الظاهر فقال سبحانه في سياق الوعد بذلك: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴾ [الحج: ٣٨] .

فهذا وعد من الله وبشارة لمن آمن به وأطاعه، أنه يدافع عنه ويدفع كل مكروه، من شر الكفار وشر الشيطان وشر النفس وغيرها من أنواع الشرور. (ويحمل عنهم عند نزول المكاره، ما لا يتحملون، فيخفف عنهم غاية التخفيف) [١]، وقد خص الله المؤمنين بذلك لكرامتهم عليه، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [غافر:٥١]، وذكر العلة في ذلك وهي عدم محبته لأضدادهم من الكفار قاله الزمخشري[٢]، فدل على محبته سبحانه لأهل الإيمان به لذا تولى الدفاع عنهم، وعبر بـ ( يدافع ) كما في قراءة الجمهور؛ لزيادة المبالغة في تأكيد ذلك، فيكون المعنى: (يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لأن فعل المغالب يجيء أقوى وأبلغ) [٣] .

وقال سبحانه في بيان سنة من سننه في الأمم الخالية، وهي إنجاؤه للذين ءامنوا حين ينزل سبحانه العذاب بالمكذبين الكافرين: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: ١٠٣] .

وعد منه سبحانه بإنجاء المؤمنين من مكاره الدنيا والآخرة وشدائدهما، وحق أحقه سبحانه على نفسه تكرماً منه وتفضلا، (وهذا من دفعه عن المؤمنين، فإن الله يدافع عن الذين آمنوا، فإنه بحسب ما مع العبد من إيمان تحصل له النجاة من المكاره) [٤] .

ومن الآيات في ذلك أيضاً:

---

(١) تفسير السعدي (٥٣٩).

(٢) انظر: الكشاف (٦٩٧).

(٣) المصدر السابق.

(٤) تفسير السعدي (٣٧٥).

﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة:١٣٧].

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [آل عمران:٥٥].

﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ ﴾ [آل عمران:١٥١].

﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ ﴾ [الأنفال:٦٢].

﴿ فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود:٤٩].

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٨] .

ثانياً: مشاهد تاريخية عرضها القرآن الكريم لحفظ الله لأوليائه ودفعه عنهم:

أسلوب القصص من الأساليب المحببة للنفوس، المشوقة لها، المستدعية لانتباهها، لذا اعتنى القرآن الكريم بهذا الجانب البياني عناية فائقة شملت مساحة كبيرة من آياته، مقررة لجملة من سنن الله تعالى التي تحكم الأحياء؛ لتحصل العبرة للمتأخر بالمتقدم، فأيام التاريخ تتجدد وتعيد نفسها، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ [يوسف:١١١].

وإن من أبرز ما دل عليه جانب القصص القرآني لحال الأنبياء مع أقوامهم، وتسجيل النهايات لتلك القصص؛ التأكيد على دفع الله عن أوليائه وأهل الإيمان به. والآيات في ذلك كثيرة جداً، شملت أحياناً سوراً بأكملها كما في سورة الأعراف؛ لذا سأكتفي بإيراد بعض الآيات المفصحة عن ذلك:

قال تعالى في دفعه عن نبيه نوح عليه السلام وقد توعده قومه بالرجم بعد أن كذبوه:

﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [الشعراء: ١١٩، ١٢٠] .

وقال سبحانه في دفعه عن نبيه هود عليه السلام وقد كاده قومه:

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَـٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [هود:٥٨].

وقال في دفعه عن نبيه صالح عليه السلام وقد بيت قومه قتله:

﴿ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النمل: ٥٣] .

وقال في دفعه عن نبيه لوط عليه السلام وقد توعده قومه بالإخراج بعد أذيته وتكذيبه:

﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ [الشعراء:١٧٠- ١٧٢].

وقال في دفعه عن نبيه موسى عليه السلام وقد تبعه فرعون ليبطش به وبمن سار معه:

﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٥، ٦٦] .

وقال تعالى في دفعه عن نبيه يونس عليه السلام وقد التقمه الحوت فاجتمع عليه ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت، حين بلغ به الغم حالاً لا أبلغ من وصف القرآن لها بذلك:

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٨] .

## الصورة الرابعة: مدافعة الكافرين:

البشرية في خط سيرها في هذه الحياة اختلفت مراحلها صعوداً في سلم العبودية لله وهبوطاً في دركات الضلال، وقرباً من طريق الأنبياء وبعداً عنه. ومضت سنة الله تعالى في عباده أن يبعث إليهم من أنبيائه ورسله من يقيم لهم ما أعوج من أحوالهم، ويصلح ما فسد من عقائدهم، وأيد رسله عليهم السلام بالمعجزات الباهرة والدلائل الساطعة، وأنزل عليهم الكتب التي تضمنت ترتيب أمورهم، وإصلاح أحوالهم، وإرشادهم إلى ما يريده الله منهم، فكان الرسل عليهم السلام يبعثون في زمان اشتدت فيه غربة الدين الحق، وأظلمت الأرض بالجهل والظلم، وانتكست فيه فطر المرسل إليهم، وعمل إبليس فيهم بعمله فاجتالهم عن التوحيد والفطرة، فكانت مهمة الأنبياء في مصادمة عوائد الناس ومرغوباتهم وموروثاتهم التي تخالف الحق، وشب عليها الصغير وهرم عليها الكبير أمراً شاقاً، إذ قوبلوا عليهم السلام بالتكذيب والأذى، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ

عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الفرقان: ٣١]، بل وصل الأمر ببعضهم ممن بلغ في الكفر والتكذيب الغاية أن طالت أيديهم الظالمة أولئك الأطهار من أنبيائهم بالقتل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ٢١]، بعد أن بذلوا عليهم السلام كل ما في وسعهم في هداية أقوامهم وإيصال الخير إليهم، فلم يهتد بدعوتهم إلا قليل في مقابل الكثير الذي كفر وكذب، قال ﷺ : (عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد) [(١)]، ولم يكن ذلك لتقصيرهم عليهم السلام في القيام بمهمة النذارة، لكن تحققت سنة الله تعالى التي تضمنها قوله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف:١٠٣]. وقد كان للنبي ﷺ من تكذيب الكافرين وأذيتهم الحظ الأوفر، مما لم يكن لمن سبقه من الأنبياء عليهم السلام، نظراً لاتساع دائرة المخاطبين بدعوته عليه السلام وهم الناس كافة عربهم وعجمهم، قال ﷺ : (وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة) [(٢)]، لذا تكررت صورة مدافعة الكافرين في القرآن الكريم في مواضع شتى وبأساليب مختلفة، إما بالتعامل مع أفعالهم وسلوكهم مباشرة، وإما بإيراد صور من تدافع المصلحين والمفسدين من الأنبياء ومن دونهم مع أقوامهم قبل هذه الأمة، لإيضاح أن موقف الكفار من الحق الذي جاء به الأنبياء واحد لم يتغير، وإن اختلفت الأساليب وتعددت الطرق.

ويمكن تصنيف الآيات الواردة في هذه الصورة من التدافع إلى ما يلي:

١- دفع كيد الكافرين وفضح باطلهم .

(١) البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنه . كتاب: الطب. باب: من لم يرق (٥٧٥٢). مسلم واللفظ له. كتاب: الإيمان. باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (٢٢٠) .

(٢) البخاري واللفظ له، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه . كتاب: التيمم. باب: الأول (٣٣٥). مسلم. كتاب: المساجد ومواضع الصلاة (٥٢١) .

٢- سياق القرآن شواهد من التاريخ على تدافع المصلحين والمفسدين .

أولاً: دفع كيد الكافرين وفضح باطلهم:

أنزل القرآن على النبي ﷺ منجماً مفرقاً فترة نبوته. فخاطب به من وجه دعوته إليهم على اختلاف مللهم ونحلهم، فخاطب المشركين وأهل الكتاب وغيرهم، وكان كلما أحدث الكفار حدثاً أو كادوا كيداً أنزل الله تعالى ما يدفع باطلهم ويفضح كيدهم.

وبتأمل الآيات الواردة في هذا الصنف من مدافعة الكافرين في القرآن يمكن أن نستخلص الأساليب التالية:

١- دفع حجج الكافرين:

من الأساليب التي استعملها القرآن الكريم في التعامل مع الكفار ودفع باطلهم، الرد على حججهم التي يتحججون بها، وتخالف الحق، ليثبتوا حقاً في غير موضعه، أو ينفوا حقاً عن أهله، ومن الآيات الواردة في ذلك:

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ ﴾ [البقرة: ٨٠].

فهذه الآية نزلت في اليهود حين زعموا كذباً أن النار لن تمسهم إلا أياما، فلقن الله نبيه ﷺ ما يدفع حجتهم الباطلة التي يحتجون بها على فضلهم ومزيتهم بأن يقول لهم: (أأخذتم بما تقولون من ذلك ميثاقاً، فالله لا ينقض ميثاقه، ولا يبدل وعده وعقده، أم تقولون على الله الباطل جهلاً وجراءة عليه)[1].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْ ۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٥].

وفيها إبطال زعم لليهود والنصارى، ودفع حجة لهم أيضاً، حيث قصروا الحق على أنفسهم، وانتحلوا الأنبياء إلى ملتهم، ونسبوهم إلى اليهودية

(١) تفسير الطبري (١/٤٢٧).

والنصرانية، (فرد الله عليهم وكذبهم وأعلمهم أنهم كانوا على الحنيفية الإسلام) [(١)]، ولقن نبيه ﷺ الرد عليهم بأن الأنبياء كانوا على ملة أبيهم إبراهيم وهي الإسلام، وعرض بهم في مخالفتهم لطريق الأنبياء بسلوكهم مسالك الشرك، فقال: (وما كان من المشركين) .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأعراف:٢٨].

وهذه الآية نزلت في كفار قريش وما ابتدعوه من الفعلة الشنيعة القبيحة ، وهي الطواف بالبيت عراة، ونسبتهم ذلك إلى شرع الله، فزعموا أن الله أمرهم بذلك، وهم متبعون لأمره، فرد الله عليهم فريتهم، وأمر رسوله أن يدحضه بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ ﴾ ، فهو سبحانه منزه أن يأمر بمثل هذا الفعل الفاحش البذيء[(٢)].

ومن الآيات في ذلك أيضاً:

﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ [البقرة:١١١].

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ ﴾ [البقرة:١٤٠].

﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ ﴾ [البقرة:١٤٢].

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران:١٨٣][(٣)].

---

(١) المحرر الوجيز (١٣٦).

(٢) انظر: تفسير المراغي (١٢٩/٨).

(٣) ومن الآيات في ذلك: [آل عمران:٦٥،٩٣، ١٥٦، ١٨١]، [النساء:١٧١]، [المائدة:١٧، ١٨، =

٢- جدال الكفار:

الجدال: الاحتجاج لتصويب رأي أو عمل وإبطال ما يخالفه[(١)]، سواء كان ذلك الرأي أو العمل حقاً في نفسه، أو في اعتقاد المجادل فقط. وقد استخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب في مخاطبة الكفار، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة:٨٤، ٨٥]، وقال تعالى: ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [البقرة:١٤٢]، وجعل الجدال أسلوبا من أساليب دعوة الكفار إلى الإسلام واقناع المخالف بأنه الدين الحق، لكنه قيد الإذن بهذا الأسلوب بأن يكون بالتي هي أحسن. وقد جاء الأمر بذلك في موضعين من القرآن، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل:١٢٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ ﴾ [العنكبوت:٤٦]، فأمر الله تعالى نبيه ﷺ والأمر لأمته أن يدعوا إلى دينه تعالى، وأن تكون دعوتهم إلى الحق بالحق والحسنى، وأذن لهم في الجدال، فـ(من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب... كما أمر موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون فقال: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾)[(٢)]، ولأن الجدال وسيلة لا غاية، يراد بها نفع المجادل وهدايته إلى الحق، ولأن المؤمن حين يجادل (لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها، والاهتداء إليها، في

---

= ٧٣،٦٤].

(١) انظر: التحرير والتنوير (٣٢٨/١٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٦١٣/٤).

سبيل الله، لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر)[1]، استثنى الله من هذه الوسيلة الذين ظلموا، لأن الإذن بها إنما كان طلباً لنفعها، فحين انتفى منع منها صيانة للحق، وتوفيراً للجهد، فقال ﷻ: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ أي: (حادوا عن وجه الحق، وعموا عن واضح المحجة، وعاندوا وكابروا، فحينئذ ينتقل من الجدال إلى الجلاد، ويقاتلون بما يردعهم ويمنعهم)[2].

وبتأمل آية النحل يمكن أن يلحظ ما يلي:

أ-أنه عدل في الآية عن استخدام المصدر فلم يقل (والمجادلة بالتي هي أحسن) مع أنه المناسب للسياق، بل استعمل فعل المجادلة فقال: (جادلهم) زيادة في تأكيد تقييد الإذن بالجدال بأن يكون بالتي هي أحسن.

ب-أنه لم يورد لفظ المجادلة في الآية خلوًا من الإضافة بـ(جادل) ولا مضافا إلى المفرد بـ (جادله) وإنما أورده بضمير الجمع (جادلهم) إشارة إلى اختلاف حال المجادلين بين الشدة واللين، وأن لكل منهم ما يناسب حاله من الجدال[3].

جـ-أنه قيد المجادلة بالتي هي أحسن، فاستعمل صيغة المبالغة إرشادًا للمؤمن المجادل إلى استعمال أحسن طريق من طرق المجادلة، الذي يتحقق به الهدف الشرعي منها، مراعاة لحال النفس الإنسانية وتغليباً لجانب الرفق ونفع المجادل.

فالنفس وإن كانت على الباطل إلا أن لها كبرياءها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق، فمتى قوبلت بالتحامل والترذيل والتقبيح في الجدال، اختلطت فيها قيمة رأيها وقيمتها عند الناس، فتعتبر التنازل عن الرأي الباطل تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها، فيحملها ذلك على اللجاج في الجدال والإعراض عن الحق، لكنها إذا قوبلت بالرفق في الجدال بلا تحامل ولا ترذيل

(١) في ظلال القرآن (٢٢٠٢/٤) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢٨٣/٧) .

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٣٢٨/١٤) .

ولا تقبيح، اطمأنت إلى الداعي، وشعرت أن هدفه نفعها، عند ذلك سرعان ما تتنازل عن كبريائها فتنقاد للحق[1].

ومن الآيات في جدال الكفار:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ ۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [البقرة:٩١-٩٤].

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [آل عمران:٦٤- ٦٦].

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنعام:٨-١٢].

### ٣- كشف مكر الكفار وما يبيتون:

(١) انظر: في ظلال القرآن (٢٢٠٢/٤).

من الأساليب التي استخدمها القرآن في مدافعة الكفار، كشف مكرهم الذي يمكرون فيه بالنبي ﷺ وأهل الإيمان، وفضح ما يبيتون للإسلام وأهله، ومن الآيات في ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

فالله سبحانه يذكر النبي ﷺ وأمته بالنعمة التي أنعمها عليهم بإنجاء رسولهم حين كادته قريش، فكشف مكرهم برسول الله ﷺ حين كان بمكة ودفعه وأبطله. ومكر قريش كان بتدبيرهم ما يسوؤه، وسعيهم في فساد حاله وإطفاء نوره، وهم لا زالوا في ذلك من حين بعث عليه السلام لكنه كان على وجه الإعلان، فلما أسروا بذلك وسعوا فيه على وجه الإخفاء سماه الله مكرا، لأن المكر: ما كان على وجه الإسرار والإخفاء، تقول : فلان يمكر بفلان: إذا كان يستدرجه ويسوقه إلى هوة على وجه المخاتلة والتداهي ، قاله ابن عطية[١]، وصرف الغير عما يقصده به بحيلة قاله الراغب[٢]، وكان ذلك بقرار قريش الاجتماع على قتل النبي ﷺ كما قرروه في دار الندوة، وهو ما أجمع عليه المفسرون في المكر الوارد في الآية. فرد الله مكرهم الضعيف بمكره سبحانه، فقال: ﴿ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ ومعناه: يفعل أفعالاً فيها (إبطال لمكرهم ورد له ودفع في صدره حتى لا ينجح) [٣].

(١) انظر: المحرر الوجيز (٧٩١).

(٢) انظر: المفردات (٧٧٢).

(٣) المحرر الوجيز (٧٩٢). ونسبة المكر إلى الله هو كنسبة الكيد إليه سبحانه، من باب إطلاق الفعل عليه، والفعل أوسع من الاسم؛ وقد أطلق على نفسه أفعالاً ولم يتسم منها باسماء الفاعل، كأراد وشاء ولم يسم بالمريد والشائي. ومثله مكر ويمكر ولا يقال: الماكر؛ لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم، وهو من باب الجزاء والمقابلة . انظر: شرح العقيدة الواسطية ، الفوزان (٦٦)، شرح العقيدة الواسطية ، ابن عثيمين (٢٦٧/١).

ومن الآيات في ذلك:

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [البقرة:٧٦].

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [آل عمران:٧٢].

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأنفال:٤٨].

﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون:٧-٨].

ثانياً: سياق القرآن شواهد من التاريخ على تدافع المصلحين والمفسدين:

جرت سنة الله تعالى في عباده بالتدافع بين المصلحين والمفسدين، والصراع بين الحق والباطل(١)، وكانت أول حالة بدأبها هذا الافتراق إلى مؤمن بالله مطيع لأوامره مصلح حاله ساع في إصلاح غيره، وكافر بالله عاص لأوامره مفسد حاله ساع في إفساد غيره، حين عصى إبليس أمر الله بالسجود لآدم عليه السلام، لتنطلق أول شرارة في الصراع والتدافع بين هذين الفريقين، ثم استمر ذلك التدافع فلم يتوقف بين المصلحين من ذرية آدم، وأعدائهم من حزب الشيطان.

وقد ورد في القرآن عرض واسع لحلقات من هذا التدافع والصراع الممتد عبر تاريخ البشرية البعيد في غابر الزمان من ذلك الوقت الأول إلى نزول

(١) انظر: في ظلال القرآن (٣/١٦٥٢)، حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل، لموسى إبراهيم الإبراهيم (٢٢١).

القرآن، ومبعث النبي الخاتم ﷺ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، بتقرير القرآن كون ذلك سنة من سننه تعالى. ولم تخل سورة في الغالب من عرض تلك المشاهد وبخاصة السور المكية، فقد شملت كثير من السور قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم وما قوبلوا به من الكفر والتكذيب ومواصلة الأذى، وكيف تعاملوا مع المصلحين من الأنبياء ومن دونهم. واستقصاء ذلك من شواهد القرآن أمر يطول، لكن لعلي أشير إلى شيء من ذلك دليلاً على ما سواه. فمنها:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [البقرة:٤٩،٥٠].

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ ﴾ [البقرة:٢٤٦].

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٨].

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٣].

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٤٦].

﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۚ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ

تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنعام:٨٠، ٨١].

﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَـٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف:٥٩].

## الصورة الخامسة: القتـــــــال:

استعملت هذه الصورة من التدافع مع الكفار في السور المدنية في المراحل التالية لمرحلة الكف عن مدافعتهم بالقتال ومدافعتهم بالحجة والبرهان، كما قال تعالى لنبيه ﷺ عن القرآن: ﴿ وَجَـٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٢]، وكان ذلك في المرحلة المكية في حال ضعف المؤمنين وقلة عددهم وعدم توفر الظهر الحصين لهم كما في المدينة، وكانت مرحلة اتسعت فيها دائرة المدافعة لتشمل كل الكافرين لكن بأدوات وآليات محدودة مراعاة لحال المؤمنين. ثم انتقل الأمر من مرحلة الحد من أدوات المدافعة وأساليبها إلى توسيع ذلك ليشمل أداة جديدة من أدوات المدافعة وهي المصاولة بالسلاح، في صورة جهاد الدفع، وقتال من قاتل المؤمنين، والكف عمن لم يقاتل كما قال تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝١٩٠ ﴾ [البقرة:١٩٠]. مع بقاء الأمر الأول بجهاد الكفار عموماً بالحجة والبرهان، وكان ذلك من رحمة الله بالمؤمنين، حفظاً لبيضة الإسلام وإبقاء على الجماعة المؤمنة التي لا تزال في طور البناء والإعداد .

ثم جاءت المرحلة الأخيرة حين زاد عدد المؤمنين واطمئن لحالهم وتوفر الظهر الحصين لهم، فاتسعت دائرة استعمال أداة المدافعة الجديدة لتشمل كل الكفار الذين يقفون في وجه الإسلام وإعلاء كلمة الله وبسط سلطانه في الأرض، في صورة جهاد الطلب، وليتفق اتساع الأدوات مع اتساع دائرة المتدافع معهم من الكفار، حتى يدخلوا في الإسلام أو يقروا بسلطانه ويعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، قال تعالى: ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ

ﭐلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ [التوبة:٢٩]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٣]. قال ابن قيم ~ في بيان هدي النبي ﷺ مع الكفار: ( فأقام بضع عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية، ويؤمر بالكف والصبر والصفح .

ثم أذن له في الهجرة، وأذن له في القتال، ثم أمره أن يقاتل من قاتله، ويكف عمن اعتزله ولم يقاتله، ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله) [(١)] .

ويمكن تصنيف الآيات الواردة في هذا النوع من التدافع على النحو التالي:

١- التحريض على القتال .

٢- دفاع الله عن المقاتلين في سبيله .

٣- الغاية من قتال الكفار في الإسلام .

**أولاً: التحريض على القتال:**

تميز الخطاب القرآني في المدينة حول هذه الصورة من التدافع بأسلوب التحريض للمؤمنين على قتال أعدائهم من الكفار، وجاء ذلك في صور مختلفة، إما في بيان حكم ذلك والإشارة إلى المصالح والمنافع الدينية والدنيوية المترتبة على فرضه، أو التخفيف على المؤمنين وتطييب نفوسهم لما قد يحصل لهم في ذلك من قتل أو هزيمة بالأجر المترتب على ذلك، أو بيان فضل المقاتلين في سبيل الله وما أعد للشهداء من النزل والكرامة، أو ذكر حال المستضعفين في الأرض الذين يئنون تحت قهر الطغيان ومقامع الكفر يتطلعون للمخلص لهم من ذلك، أو بتهوين شأن الكفار وأنهم حزب الشيطان الذي كتب عليه الخسران في مقابل حزب الله وجنده المؤيدين بنصره وتوفيقه، أو بيان أنه تكليف للرسول ابتداءً، ثم لمن كتب الله له السعادة ممن أحب نبيه وآثر دينه على شهوات دنياه وملذات نفسه فسار على نهجه واقتفى أثره، أو ذكر أعمال للكفار تحرض على قتالهم من كفر

(١) زاد المعاد (١٥٩/٣) .

بالله واليوم الآخر وأذية للرسول ونكث للعهود وتحزب في قتال أهل الإيمان، أو عتاب المؤمنين على التثاقل عن قتال الكفار والتحذير من تركه .

وجاء ذلك على النحو التالي:

١- بيان وجوب قتال الكفار، والإشارة إلى المصالح والمنافع الدينية والدنيوية المترتبة على فرضه:

قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٦] .

هذه الآية صريحة في فرض قتال الكفار وإيجابه على المؤمنين؛ لأن معنى كتب: فرض[1]. وغاية ما ذهب إليه المحققون من أهل التفسير كالطبري وغيره، أنه فرض، لكن لا على الأعيان وإنما على الكفاية، فهو واجب على كل واحد من أهل القدرة حتى يقوم به من في قيامه كفاية، فيسقط فرض ذلك حينئذٍ عن باقي المسلمين. قال الطبري ~: ( وذلك هو الصواب عندنا، لإجماع الحجة على ذلك، ولقول الله ﷻ: ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ [النساء: ٩٥] .

فأخبر جل ثناؤه أن الفضل للمجاهدين، وأن لهم وللقاعدين الحسنى، ولو كان القاعدون مضيعين فرضا، لكان لهم السوأى لا الحسنى )[2] .

وقال ابن عطية ~: ( واستمر الإجماع على أن الجهاد على أمة محمد ﷺ فرض كفاية، فإذا قام به من قام من المسلمين سقط عن الباقين، إلا أن ينزل العدو بساحة الإسلام فهو حينئذٍ فرض عين )[3] .

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣٤/٢)، المحرر الوجيز (١٨٩) .

(٢) تفسير الطبري (٣٥٧/٢) .

(٣) المحرر الوجيز (١٨٩) .

والآية حين توقف المؤمن على الأمر الإلهي له بقتال أعدائه مع كراهته لذلك لما فيه من المشقة وما قد يلحقه من التلف، توقفه على نافذة المخبوء في علم الله الذي بيده مقاليد السموات والأرض، ليرى بعين بصيرته الخير له ولأمته، وللبشرية كلها، وللحق والخير والصلاح في التزام هذا الأمر الإلهي، من غلبة للمؤمنين وظهور لأمرهم مع ما يصيبونه من غنيمة وأجر، والشهادة لمن قتل منهم، بل وكل ما يمكن أن يراه فطن ببصيرته من الخير الذي عبر عنه في الآية بالنكرة في قوله (خير لكم) لتشمل كل خير يخطر ببال متأمل وما لا يخطر بباله مما لا يعلمه إلا الله، وليرى كذلك ما في ترك قتال الكفار من مفاسد، منها تغلب الكفار وذلة المؤمنين وذهاب أمرهم وغيرها مما لا يحيط به إلا الله سبحانه؛ لذا عبر كذلك بالنكرة في قوله (شر لكم) لتشمل كل شر[1] .

٢- التخفيف على المؤمنين وتطييب نفوسهم لما قد يحصل لهم من قتل أو هزيمة بالأجر المترتب على ذلك:

قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ﴾ [آل عمران: ١٤٦] .

وفيه رفع لهمم المؤمنين، وتطييب لنفوسهم، وتضميد لما أصابهم ويصيبهم من جراحات من جراء قيامهم بما فرض الله عليهم من قتال أعدائهم، بهذا المثل العام الذي ضربه لهم سبحانه في هذه الآية، ولم يحدد فيه نبياً، ولا قوماً، ليربطهم بأسلافهم من أتباع الأنبياء، فهم ليسوا إلا كتيبة في الجيش الإيماني الكبير، وهذا هو طريق الأنبياء الذي ساروا فيه، وربما أصابهم غير ما يصبون إليه، لكنه لم يضعف نفوسهم عن الاستمرار في كفاح الأعداء ومدافعتهم، ولم تتضعضع قواهم، ولم تلن عزائمهم، ولا استكانوا لأعدائهم ولا استسلموا بل تعالوا عما أصابهم ومضوا منافحين عن عقيدتهم ودينهم. فهذا المثل محرض على قتال

(١) انظر: المحرر الوجيز (١٨٩). ومن الآيات في ذلك: [البقرة:٢٤٤]، [النساء: ٧٤، ٨٤]، [الأنفال: ١٥، ٣٩، ٦٥]، [التوبة: ٥، ١٢، ٢٩، ٣٦، ١٢٣] .

أعدائهم من الكفار واستمرارهم فيه[1] .

٣- بيان فضل المقاتلين في سبيل الله وما أعد للشهداء من النزل والكرامة:

قال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥ ﴾ [آل عمران: ١٩٥] .

فهذه آية من الآيات الكثيرة التي ذكر الله فيها ثواب المقاتلين في سبيله، وما أعد لهم من تكفير السيئات، أي: محوها عنهم وتفضل الله عليهم بعفوه ورحمته، ومغفرته لهم، جزاء ما عملوا وأبلوا في الله وفي سبيله. وأن عنده سبحانه من جزاء أعمالهم جميع صنوفه، وذلك ما لا يبلغه وصف واصف، لأنه مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر[2] .

وهذه صورة مشرقة لحياة هانئة يتمناها كل عاقل، ويطلبها كل عامل، يستحث الله سبحانه همم عباده إليها بالبراءة من الكفار وقتالهم، كما قال تعالى: ﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٩٥ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ٩٦ ﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦]. (أي لا يستوي من جاهد من المؤمنين بنفسه وماله، ومن لم يخرج للجهاد ولم يقاتل أعداء الله، ففيه الحث على الخروج للجهاد والترغيب في ذلك، والترهيب من التكاسل والقعود عنه من غير عذر .. ثم صرح تعالى بتفضيل المجاهدين على القاعدين بالدرجة، أي: الرفعة، وهذا تفضيل على وجه الإجمال، ثم صرح بذلك على وجه التفصيل، ووعدهم بالمغفرة الصادرة من ربهم، والرحمة التي تشتمل على حصول كل خير، واندفاع كل شر

(١) انظر: في ظلال القرآن (٤٨٢/١) . ومن الآيات في ذلك: [آل عمران: ١٣٩، ١٤٢]، [يوسف:١١٠] .

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥٥٦/٣) .

.. وتأمل حسن هذا الانتقال، من حال إلى أعلى منها؛ فإنه نفى التسوية أولاً بين المجاهد وغيره، ثم صرح بتفضيل المجاهد على القاعد بدرجه، ثم انتقل إلى تفضيله بالمغفرة والرحمة والدرجات) [١] .

وقد روي عن النبي ﷺ ما يوضح معنى الدرجة الواردة في الآية، مما يحرض المؤمن ويستحث همته لسلوك هذه الصورة من التدافع مع الكفار، فقد روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض) [٢] .

٤- ذكر حال المستضعفين في الأرض الذين يئنون تحت قهر الطغيان ومقامع الكفر، يتطلعون للمخلص لهم من ذلك:

قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [النساء:٧٥].

فيه عتاب من الله لأوليائه، وتهييج لهم على قتال أعدائهم، بإثارة النخوة في نفوسهم، وهز الأريحية في ضمائرهم، وإيقاظ شعور الأنفة والرحمة، بذكر حال المستضعفين ممن لا يملك حيلة فينتصر من ظالمه، أو حتى يرد عن نفسه، ولا يستطيع الفرار والنجاء، لأنه لا يهتدي لسبيل الخلاص، فهو يعاني ظلم الظالمين، وتسلط الكافرين. فهم لأجل دينهم فقدوا كل ظهير ومعين، فهم يدعون الله أن يهيء لهم من إخوانهم المسلمين من يكون الخلاص على يديه، حمية للدين ونصرة

(١) تفسير السعدي (١٩٥) .

(٢) البخاري واللفظ له. كتاب: الجهاد والسير. باب: درجات المجاهدين في سبيل الله (٢٧٩٠). مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ . كتاب: الإمارة. باب: بيان ما أعد الله تعالى للمجاهدين في الجنة من الدرجات (١٨٨٤). ومن الآيات في ذلك: [البقرة:١٥٤] ، [آل عمران:١٦٩، ١٧١]، [النساء:٧٤]، [التوبة:١١١]، [محمد:٤]، [الصف:٤] .

للمستضعفين، وتحقيقاً لرابطة الإيمان[1]، (لإنقاذهم من فتنة الشرك، وإنقاذ الولدان من أن يشبوا على أحوال الكفر أو جهل الإيمان)[2] .

والآية وإن نزلت في المستضعفين من أهل الإيمان ممن كان بمكة، ويلحق بهم من شابههم في ذلك، إلا أن المتأمل في حقيقة دعوة الإسلام وعالميتها، وأن من أسسها تحقيق العدل في كل أرض، ورفع الظلم عن المتضررين مما تقره العقول السوية، وجاءت به الشرائع السماوية، يصل إلى أن الآية تشمل حتى غير أهل الإيمان، ممن كان في مثل تلك الحال، وأن أهل الإيمان دعوا للجهاد وقتال الكفار لنشر العدل في الأرض ومنع الظلم ويمكن أن يستدل على ذلك بإطلاق لفظ الآية، وبملاحظة حركة الجهاد في أول الإسلام حين انتشر في أقاصي المعمورة، بعد أن كان أهل تلك البلاد يعانون أصناف الظلم والقهر تحت الحكم الروماني أو الفارسي، فدخل كثير منهم في الإسلام طواعية، بعد أن رفع الظلم والقهر عن رقابهم، ورأوا عدل الإسلام ورحمة أهله .

٥- تهوين شأن الكفار، وأنهم حزب الشيطان الخاسرون في مقابل حزب الله المفلحين:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [النساء: ٧٦] .

ترغيب من الله لأوليائه، وتشجيع على قتال أعدائهم من الكفار بنسبتهم إليه سبحانه، مما يملأ قلب المؤمن راحة وطمأنينة لسلوك هذا الطريق من المدافعة، فهو طريق الله الذي رسمه للوصول إليه، وهم أولياؤه الذين يحبهم وينصرهم على أعدائهم ويهيء لهم ما فيه صلاحهم في الدنيا إن كانت الغلبة لهم، أو في الآخرة إن فاتهم شيء من ذلك، لأن بيده مقاليد كل شيء .

---

(١) انظر: تفسير المنار (٢٥٩/٥)، في ظلال القرآن (٧٠٨/٢)، تفسير السعدي (١٨٧) .

(٢) التحرير والتنوير (١٢٣/٥) .

وفي مقابل ذلك يهون سبحانه في نفوس أوليائه ما يحرضهم على قتال أعدائهم لانقطاعهم عن الله، واتصالهم بمن ضعف كيده، فلا يملك إلا التسويل والتزيين، (فلا ولي لهم إلا الشيطان، وكيد الشيطان للمؤمنين إلى جنب كيد الله للكافرين أضعف شيء وأوهنه) [١] .

٦- بيان أنه تكليف للرسول ابتداء، ثم لمن كتب الله له السعادة ممن سار على أثره:

قال تعالى: ﴿ فَقَـٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾ ﴾ [النساء: ٨٤] .

تكليف من الله تعالى لنبيه ﷺ بقتال الكفار، والمعنى: (لا يكلفك الله من جهاد عدوك إلا ما كلفك به دون ما حمل به غيرك)[٢]، لأنك لن تكلف بفعل غيرك[٣]، وهو خطاب للنبي ﷺ القدوة ولكل أحد من أمته السائرين على منهجه، فالخطاب وإن كان للنبي ﷺ، إلا أنه مثال يقال لكل واحد في خاصة نفسه فيقال له: (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك) [٤]. وهذا أمر المكلف في خاصة نفسه، ثم يأتي أمره فيما يتعلق بغيره فيأمر بـ (التحريض ) وهو: (الحث على الشيء بكثرة التزيين وتسهيل الخطب فيه) [٥]، فيشمل كل أمر يحصل به تنشيط المؤمنين على قتال أعدائهم وتقوية قلوبهم، من تذكير بعظيم أجر المقاتلين والمرابطين، وكرامة الشهداء على رب العالمين، وكونه سبحانه مع أوليائه، وتهوين كيد الأعداء وبيان حقيقة ضعفهم وفشلهم وعاقبة أمرهم. وكل هذا محرض على قتال الكفار في هذه

(١) الكشاف (٢٤٧). ومن الآيات في ذلك: [الفتح:٢٢]، [التوبة:١٤]، [آل عمران: ١١١] .

(٢) تفسير الطبري (١٨٧/٤) بتصرف .

(٣) انظر: تفسير السعدي (١٩٠) .

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٤٦١) .

(٥) المفردات (٢٢٨) .

الصورة من التدافع[1] .

٧- ذكر أعمال للكفار تحرض على قتالهم:

قال تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣ ﴾ [التوبة: ١٣] .

فهذه الآية والتي قبلها تقرر أفعالاً للكفار، وتحض على قتالهم قارنة ذلك بذنوبهم؛ لتنبعث الحمية مع ذلك[2]، فهم كفروا بالله فأشركوا به وزعموا أن له صاحبة وولدا، وتجاوزوا الحد مع نبيه فآذوه وحاربوه وشتموه وأخرجوه، ولا يرقبون في مؤمن قرابة ولا عهداً، فتمتد أيديهم إليهم بالقتل والغصب والتشريد، ويطعنون في دينهم. فهذا وغيره أفعال للكفار تهيج المؤمنين على هذه الصورة من التدافع معهم[3]، وهي السبب الرئيس في استمرار البراءة والبغض بيننا وبينهم، وما يترتب عليها من صور للمدافعة، ليس القتال إلا صورة منها .

٨- عتاب الله للمؤمنين على التثاقل عن قتال الكفار، والتحذير من تركه:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩ ﴾ [التوبة:٣٨، ٣٩] .

عتاب من الله تعالى للمؤمنين على التثاقل عن قتال الكفار، بعد توفر الدواعي الموجبة لذلك، من عدوان الكفار، ومبالغة النبي ﷺ في الحث على ذلك؛ لذا استخدم لفظ ( انفروا ) وعدل عن قاتلوا لما في معنى النفر من الإنزعاج إلى الشيء

(١) ومن الآيات في ذلك: [الأنفال:٦٥] .

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٨٣٠) .

(٣) ومن الآيات في ذلك: [التوبة:٨، ١٢، ٢٩، ٣٠، ٤٠] .

والمسارعة إليه[1]، كحال الفزع إلى الشيء الذي حمله فزعه على سرعة الحركة والقيام، وهو مناسب لتكاثر الدواعي لذلك، وكأن المعنى: أن الأولى بحالكم المسارعة إلى قتال الكفار لا التثاقل عن ذلك .

ثم قابل هذه الصورة البديعة في الحث على قتال الكفار بصورة المتثاقلين الذين

إنما مثلهم كمثل (الجسم الثقيل، يرفعه الرافعون في جهد فيسقط منهم في ثقل) [2] إلى الأرض، فعبر بلفظ (اثقالتم) المستخدم (في الأجسام المرجحة إلى أسفل) [3]، زيادة في التنفير من هذه الحال. ثم عدى الفعل بـ(إلى الأرض) إرشاداً إلى الأسباب الحاملة على التثاقل وترك قتال الكفار تحذيراً منها، (والمعنى: ملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه) [4] التي تنالكم في مدافعة أعدائكم .

**ثانياً: دفاع الله سبحانه عن المقاتلين في سبيله وصفحه عما قد يقع منهم من خطأ غير مقصود:**

المقاتلون في سبيل الله من البشر، يعتريهم ما يعتري البشر من أحوال، فهم يخطئون ويصيبون، والمنصف المتأمل في حقيقة حالهم وما يقومون به من خدمة جليلة للإسلام والمسلمين يلتمس لهم العذر فيما يقعون فيه من خطأ بسيط غير مقصود، في مقابل ما يبذلون من خصوصياتهم التي ظن بها سواهم .

ومنهج القرآن والسنة في تصحيح ما يقع من المقاتلين من أخطاء، منهج واقعي (لا يقوم على مثاليات خيالية جامدة في قوالب نظرية، إنه يواجه الحياة البشرية كما هي بعوائقها وجواذبها وملابساتها الواقعية) [5]، فيتعامل مع النفس

(١) انظر: المفردات (٨١٧) .

(٢) في ظلال القرآن (١٦٥٥/٣) .

(٣) المفردات (١٧٥) .

(٤) الكشاف (٤٣٣). ومن الآيات في ذلك: [التوبة:١٦، ٣٩] .

(٥) في ظلال القرآن (٢٢٠/١) .

الإنسانية مراعيا فيها جانب الجهل أو الخطأ أو فورة الحماس لله، فيأخذ بيدها إلى المنهج السوي ويرقيها إلى السير مع مراد الله. فهو حين يصحح الخطأ الذي وقع منهم، يحفظ لهم حقهم، بل ويقطع الطريق على أعدائه الذين يستغلون تلك العثرات ليظهروا المقاتلين في سبيل الله بمظهر المعتدي الذي يدوس المقدسات ولا يرعى الحرمات، لتشويه صورتهم وصد الناس عنهم، في حين أن أولئك الأعداء (لا يقيمون للمقدسات وزناً، ولا يتحرجون أمام الحرمات، ويدوسون كل ما تواضع المجتمع على احترامه من خلق ودين وعقيدة) [١].

إن منهج القرآن والسنة في تصحيح تلك الأخطاء، لا يعتمد على حلول (مثالية نظرية طائرة؟ إنه إن يفعل يجرد المسلمين الأخيار من السلاح، بينما خصومهم البغاة الأشرار يستخدمون كل سلاح، ولا يتورعون عن سلاح...إن الإسلام يرعى حرمات من يرعون الحرمات، ويشدد في هذا المبدأ ويصونه. ولكنه لا يسمح بأن تتخذ الحرمات متاريس لمن ينتهكون الحرمات، ويؤذون الطيبين، ويقتلون الصالحين، ويفتنون المؤمنين، ويرتكبون كل منكر) [٢]. هذا منهج القرآن والسنة في تقييم أخطاء المقاتلين في سبيل الله وتصحيحها، قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ ﴾ [البقرة:٢١٧] .

نزلت هذه الآية بسبب ما حصل لسرية عبد الله جحش رضي الله عنه، وكان النبي ﷺ قد بعثه في ثمانية رهط من المهاجرين للاستطلاع والتعرف على أخبار قريش، بعد مقدمه ﷺ من بدر الأولى، فمرت بهم عير لقريش حين نزلوا بنخلة، عليها عمرو بن الحضرمي. وكان ذلك في آخر يوم من رجب على ما ذكره ابن

(١) في ظلال القرآن (٢٢٠/١) .

(٢) المصدر السابق .

هشــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــام[1]، أو آخر يوم من جمادى الآخرة على ما ذكره الطبري[2]. قال ابن عطية ~: (والأول أشهر)[3]. وهو الذي ذكره ابن قيم ~[4].

فأغاروا عليها وقتلوا عمرو بن الحضرمي وأسروا عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وغنموا العير، عند ذلك انتهزت قريش هذه الفرصة للتشهير بالنبي ﷺ وبالمسلمين، وإظهارهم بمظهر المعتدي الذي لا يراعي الحرمات، واستغلت ما بقي من تعاليم إبراهيمية في تحريم القتال في الأشهر الحرم؛ (لإثارة حرب شعواء على الإسلام ودولته، لتأليب القبائل الوثنية عليها وتنفير الناس من الدخول في هذا الدين الذي يستحل الحرمات ويستبيح المقدسات. حتى إن رسول الله ﷺ قد لحقه الغم، ولام قائد السرية وأصحابه على ما فعلوا، فنزلت الآيات البينات ترد بقوة على دعايات قريش المغرضة، موضحة أنه وإن كان الشهر الحرام لا يحل فيه القتال، ولكن لا حرمة عند الله لمن هتك الحرمات وصد عن سبيله)[5]. فحكم سبحانه بين أوليائه وأعدائه من الكفار بالعدل والإنصاف، ولم يبرىء أولياءه من القتال في الشهر الحرام، بل أخبر أنه كبير، لكن ما عليه أعداؤه أكبر وأعظم من مجرد القتال في الشهر الحرام، فهم أحق بالذم والعيب والعقوبة، لا سيما وأولياؤه كانوا متأولين في ذلك، أو مقصرين نوع تقصير يغفره الله لهم في جنب ما فعلوه من توحيد وطاعة، وهجرة وجهاد[6]، فحفظ سبحانه للمقاتلين حقهم، وسد الطريق على المغرضين بكشف عوارهم وتحميلهم المسؤولية، فكان نزول

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام (٦٠٣/١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٦١/٢).

(٣) المحرر الوجيز (١٨٩).

(٤) انظر: زاد المعاد (١٦٨/٣).

(٥) السيرة النبوية.د/ علي الصلاَّبي (٣٧١).

(٦) انظر: زاد المعاد (١٧٠/٣).

القرآن فرجاً للمسلمين وقبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين .

### ثالثاً: الغاية من قتال الكفار في الإسلام:

الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله سبحانه لعباده، لأنه الدين الذي يحقق الغاية التي من أجلها خلق الله عباده، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦]، وهو الدين الذي بعث به الأنبياء جميعاً، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال تعالى عن خليله إبراهيم: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾ [آل عمران:٦٧]، وقال يعقوب عليه السلام في وصيته لأبناءه: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة:١٣٣]، فأصول العقائد واحدة وإن اختلفت الشرائع من نبي إلى نبي[1]، قال ﷺ: (الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد)[2]، وكان الأنبياء يبعثون في أقوامهم، فما زالت الشرائع تكتمل حتى وصلت إلى غايتها وكمالها في الشريعة المحمدية. فكان مع كمالها عمومها، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة:٤٨]، والمعنى: أن القرآن (جعله الله مهيمنا على الكتب يشهد بما فيها من الحقائق ،وعلى ما نسبه المحرفون إليها، فيصحح الحقائق ويبطل التحريف)[3]، وقال تعالى في عموم الرسالة المحمدية: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سبأ:٢٨]، فلما كانت الرسالة المحمدية هي الرسالة الربانية الخاتمة، التي تمثل الحق الإلهي في صورته النهائية، وكانت منهجًا ربانيًا يرسم الحياة الإنسانية في جميع مجالاتها

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥٤٩).

(٢) البخاري واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . كتاب: أحاديث الأنبياء. باب: (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها) (٣٤٤٣). مسلم. كتاب: الفضائل. باب: فضائل عيسى عليه السلام (٢٣٦٥) .

(٣) المحرر الوجيز (٥٤٩) .

وللناس كافة، كان من أهداف هذه الرسالة الخاتمة أن تنتشر في أرجاء المعمورة لنشر الخير والسلام ومنع الظلم والعدوان، بألا يكون هناك سلطان في الأرض لغير الله، ولا يدين العباد إلا بسلطان الله، فرسالة الإسلام في القتال تتمثل في إزالة الحواجز المادية التي تحول بين الناس وبين ما يختارون من عقيدة؛ لتترك الناس يختارون عقيدتهم بعيداً عن كل ضغط، على ألا تتمثل العقيدة المخالفة للإسلام في تجمع له قوة مادية ترهب الناس، وتحول دون اهتداء من يرغب في الهدى، أو تفتن من اهتدى للحق[1]، فالقتال في الإسلام قتال في سبيل الله لإعلاء كلمة الله في الأرض، وتمكين منهجه في الحياة.

وقد اختلفت وسائل تحقيق هذا الهدف في منهج الإسلام ، فهو وإن جعل الخطوة الأولى في تحقيق هذا الهدف الدعوة السلمية، كما في مكاتبات الرسول ﷺ لملوك الأمم ودعوته للقبائل، إلا أنه جعل من خطواته قتال الكفار الذين لا يستجيبون للدعوة ويصدون عن دين الله، لأنه سبحانه علم أن من عباده من لا يستجيب إلا بالقتال والجهاد، وذلك واضح جلي بحمد الله في منهج النبي ﷺ في جهاد أعدائه، ووصيته لأمرائه، حين كان يوضح لهم الغاية من القتال في الإسلام فيقول: ( إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلا ثلاث خصال (أو خلال)، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى الإسلام. فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. فإن هم أبوا فسلهم الجزية. فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم )[2] .

قال تعالى في بيان الغاية من القتال في الإسلام: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ ﴾ [الأنفال:٣٩].

(فهذا المقصود من القتال والجهاد لأعداء الدين، أن يدفع شرهم عن الدين،

---

(١) انظر: في ظلال القرآن (١٥٠٩/٣).

(٢) مسلم من حديث بريدة ﷺ . كتاب: الجهاد والسير. باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها (١٧٣١) .

وأن يذب عن دين الله الذي خلق الخلق له، حتى يكون هو العالي على سائر الأديان) [1]، فالآية جعلت غاية القتال في الإسلام انتفاء الفتنة ، ولا يحصل ذلك إلا بقتل الكفار أو إسلامهم أو مسالمتهم لأنهم إنما يقفون لمن خالفهم في الدين، لذا فسرت الفتنة في الآية بالشرك كما هو قول عامة المفسرين، أو البلاء كما هو قول بعضهم[2]. والحقيقة أن بلاءهم إنما يقع بسبب المخالفة في الدين، فتحصل أن مؤدى القولين واحد، فعلم بذلك مقصود الإسلام من القتال، فهم إذا أسلموا أو سالموا حصل انتفاء الفتنة وإذا قتلوا فكذلك.

قال ابن قيم ~: ( فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام: محاربين له، وأهل عهد، وأهل ذمة، ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام، فصاروا معه قسمين: محاربين ، وأهل ذمة، والمحاربون له خائفون منه، فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام: مسلم مؤمن به، ومسالم له آمن، وخائف محارب ) [3].

كذلك استعملت هذه الصورة من التدافع في الإصلاح بين الطائفتين المتقاتليين من المؤمنين، فالإسلام وهو يسعى إلى نشر السلام والإصلاح ويمنع الظلم، لا يرضى بأن يكون ذلك بين أفراده ، فيقرر من الأحكام ما هو كفيل بتحقيق ذلك، ومنه قتال الفئة الباغية الظالمة، وردها إلى حياض الإسلام إذا لم تجد الوسائل السلمية؛ لأنها لو تركت دون علاج لأدى ذلك إلى الفساد والتشرذم، قال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجرات:٩].

فأمر الله المؤمنين بالإصلاح بين الجماعتين المختلفتين من المؤمنين عند

(١) تفسير السعدي (٣٢١).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٧٩٨).

(٣) زاد المعاد (٣/١٦٠).

الاختلاف وظهور بوادر الاقتتال، ليمكن تدارك الخطب قبل وقوعه، والآية استعملت لفظ (اقتتلوا) بالماضي، وهو مستعمل في إرادة الوقوع على معنى: أرادوا الاقتتال؛ لذا فرع بعده بقوله: ﴿ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴾ الآية، أي: فإن ابتدأت إحدى الطائفتين قتال الأخرى ولم تنقد للإصلاح، فيكون أهل الإصلاح حينئذ مأمورين بقتال الباغية، وهي الطاغية الخارجة عن الحق، وإن لم تكن هي المبتدأة بالقتال ، لأن البغي قد يحمل المبغي عليه على الدفاع عن حقه[1].

## الصورة السادسة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر: الحض والحث، والمعروف: اسم لكل ما يعرف بالعقل والشرع حسنه، من قول أو فعل أو اعتقاد. وعكسه النهي، فهو: الزجر والتحذير عن كل قبيح[2]. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله من الدين، بل هو عمود بنائه وذروة سنامه، والشريعة المحمدية كمل بها دين الله، لتضمنها الأمر بكل معروف والنهي عن كل منكر، وإحلال كل طيب ،وتحريم كل خبيث، بخلاف ما قبلها فربما حرم في بعضها بعض الطيبات كما حصل لبني إسرائيل. فأكمل الله سبحانه لأمة الإسلام الدين، وأتم عليهم النعمة، ورضي لهم الإسلام دينا ، قال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة:٣]، فكانت أمة الإسلام أنفع الأمم للناس، وأعظمهم إحساناً إليهم، لأنهم أمروا بكل معروف ونهوا عن كل منكر، وكان ذلك منهم لكل أحد، وبذلوا في سبيل ذلك مهج النفوس، فجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وهذا كمال النفع للخلق[3].

وقد خلق الله الناس فكانت سنته أن يخلقهم مختلفين في عقائدهم واستعداداتهم

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٢٣٩/٢٦) .

(٢) انظر: المفردات (٥٦١، ٨٢٦)، تفسير السعدي (١٤٢).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٢١/٢٨).

وإراداتهم، فحصل بذلك ابتلاء بعضهم ببعض، وتدافع بعضهم مع بعض، فأهل الباطل في باطلهم يخوضون فيه، ويروجون له، وأهل الحق بالأخذ على أيديهم، ودفعهم إلى الحق، ودفع باطلهم عن الخلق، قياماً بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهم في تدافع مستمر ما بقي حق له حراس وباطل له طلاب.

ويمكن تصنيف الآيات الواردة في هذه الصورة من التدافع تحت ثلاثة عناصر: تكليف، وترغيب، وتحذير.

**أولاً: تكليف الله أمة الإسلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

أمر الله المؤمنين بأن تكون منهم جماعة مدافعة أهل الباطل، متصدية للدعوة إلى سبيله وإرشاد الخلق إلى دينه، آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤]، فهذا تكليف من الله تعالى لأمة الإسلام بأن تخصص من تقوم بهم الكفاية في إقامة هذه الفريضة،وتحقيق هذه الصورة من المدافعة، فمن في قوله ( منكم ) للتبعيض في قول أئمة التفسير كالضحاك والطبري[1]، والزمخشري[2]، وابن عطية[3] وغيرهم، فدل ذلك على أنه فرض على الكفاية ، (فإذا لم يقم به من يقوم بواجبه، أثم كل قادر بحسب قدرته، إذ هو واجب على كل إنسان بحسب قدرته، كما قال النبي ﷺ : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطيع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) [4] ) [5].

قال النووي ~: ( أما قوله ﷺ : (فليغيره) فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة، وقد

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/٣٨٥).

(٢) انظر: الكشاف (١٨٧).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٣٣٩).

(٤) مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ . كتاب: الإيمان. باب: النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان (٤٩) .

(٥) مجموع الفتاوى (٢٨/١٢٦).

تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة... ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية ، إذا قام به بعض الناس، سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف ) [1].

ويدخل في هذه الجماعة المنتدبة للقيام بهذه الصورة من المدافعة، (العلماء المعلمون للدين، والوعاظ الذين يدعون أهل الأديان إلى الدخول في دين الإسلام، ويدعون المنحرفين إلى الاستقامة، والمجاهدون في سبيل الله، والمتصدون لتفقد أحوال الناس وإلزامهم بالشرع كالصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من شرائع الإسلام، وكتفقد أهل الأسواق ومنعهم من الغش والمعاملات الباطلة) [2].

وفي التكليف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد التكليف بالدعوة إلى الخير وهما شيء واحد، زيادة تفصيل وإيضاح لحقيقة الدعوة إلى الخير؛ لمزيد العناية بأمرهما[3]، وقطع توهم اقتصار الدعوة إلى الخير على الأمر بالمعروف دون العناية بالنهي عن المنكر والأخذ على يد السفيه. هذا الجانب المهم من الدعوة إلى الخير الذي حضي بمزيد التأكيد عليه في أحاديث النبي ﷺ ، كما في قوله: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد المسيء، ولتأطرنه على الحق أطرا، أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض أو ليلعنكم كما لعنهم) [4]، وكما في حديث أبي سعيد السابق؛ ليستفاد من ذلك -والله

(١) شرح النووي على مسلم (٢/٢٩).

(٢) تفسير السعدي (١٤٢).

(٣) انظر: تعليق ابن المنير على الكشاف (١٨٧)، التفسير الكبير (٣/٣١٥).

(٤) رواه ابن أبي حاتم واللفظ له في تفسيره عن عبد الله بن مسعود ﷺ (٦٦٦١). أبو داود. كتاب: الملاحم. باب: الأمر والنهي (٤٣٣٦) (٤٣٣٧). الترمذي. كتاب: تفسير القرآن. باب: ومن سورة المائدة، وقال: حديث حسن غريب (٣٠٤٧) (٣٠٤٨). والبيهقي (٢٠٧٧٦)، قال ابن كثير: قال =

أعلم- :

أن الإسلام كما أنه يحرص على دعوة الشاردين عنه، يحرص على حفظ الداخلين في سياجة المنتمين إليه من الوقوع في المخالفات، بكفهم عن المنكر بدرجاته المعتبرة شرعاً، حرصاً وإبقاء على سلامة المجتمع الإسلامي من الخلل والنقص، وقد أنكر أبو بكر ﷺ على من وضع قوله تعالى: ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة:١٠٥] على غير موضعها، ففهم من الآية تسويغ القعود عن إنكار المنكرات والاكتفاء بصلاح الذات، فقال ﷺ : وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ قال: (إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه، أوشك الله ﷻ أن يعمهم بعقابه) (١)، وقال تعالى مؤكداً على مسألة إنكار المنكر ومنع الفساد في الأرض: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ [هود:١١٦]، ففي الآية (تنبيه لأمة محمد ﷺ وحض على تغيير المنكر والنهي عن الفساد)(٢).

على أن آية آل عمران كذلك، قدمت بالحث على الدعوة إلى الخير، وذلك لتحقيق منهج الله في حياة البشر، وتحقيق ذلك يقتضي أن يبدأ بدعوة الناس إلى الخير وتعريفهم حقيقة منهج الله أولاً، ويقتضي كذلك التكليف بإيجاد سلطة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ممثلة في ذي سلطان يحقق أمر الله بنصب ذلك السياج حول المجتمع المسلم. فمنهج الله في الأرض ليس مجرد وعظ وإرشاد

= شيخنا أبو الحجاج المزي: وقد رواه خالد بن عبد الله الواسطي، عن العلاء، عن عمرو بن مرة، عن أبي موسى. انظر: تفسير ابن كثير (٣/١٦١) .

(١) أحمد في مسند أبي بكر ﷺ (١)(١٦)(٥٣). أبو داود. كتاب: الملاحم. باب: الأمر والنهي (٤٣٣٨). الترمذي. كتاب: الفتن. باب: ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر (٢١٦٨)، وقال: هذا حديث صحيح. ابن ماجة واللفظ له. كتاب: الفتن. باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٤٠٠٥). وصححه ابن حبان (٣٠٥)، وأحمد شاكر في المسند (١/١٥٣)، والألباني في صحيح الترمذي (١٧٦١)، وصحيح ابن ماجة (٤٠٠٥) .

(٢) المحرر الوجيز (٩٧٥).

وبيان، نعم هذا شطر مهم، إلا أن الدعوات الحقة لا بد أن تصطدم بشهوات الناس ونزواتهم، وفيهم المنحل الذي يكره الجد، والظالم الذي يكره العدل، وذو السلطة المتجاوز في سلطته، والهابط الذي يكره الصعود، وكل أولئك محتاجون مع الدعوة إلى الخير إلى سلطة تأمرهم وتنهاهم وتأخذ على أيديهم وهو الشطر الآخر من التكليف في الآية، فهو تكليف ليس بالهين ولا باليسير[1].

## ثانياً: ترغيب أمة الإسلام في القيام بالمدافعة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أمة الإسلام هي خير الأمم كما سبق، وقد بين القرآن الكريم سبب هذه الخيرية، حضاً على المحافظة عليها وترغيباً في القيام بها، فقال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]، فـ(هذه الخيرية التي فرضها الله لهذه الأمة إنما يأخذ بحظه منها من عمل هذه الشروط ، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله)[2].

وتعميم الخيرية بجميع الأمة، مع كون القائم بهذه الصورة من المدافعة طوائف منها غالباً، سببه والله أعلم: أنه لا يخلو مسلم من القيام بما يستطيع من ذلك على حسب حاله ومبلغ علمه، أو لأن وجود طوائف من الأمة تقوم بهذه الصورة من المدافعة، أوجب فضيلة لجميع الأمة، كما تفخر الأمة بمحامد طوائفها، ذكرهما الطاهر ~[3]، أو بالنظر إلى ثمرة القيام بهذه الفريضة، فإن تحققها وإن قامت به طوائف من الأمة، لكن فائدته وثمرته عامة لكل الأمة، فهو الطريق الذي ترتقي به الأمة إلى درجة الخيرية، بصلاح مجتمعها وسلامته من النقص الحاصل بانتشار المنكرات وانحسار المعروف نتيجة لتركها هذه الصورة

(١) انظر: في ظلال القرآن (٤٣٨/١).

(٢) المحرر الوجيز (٣٤٢).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٤٨/٤).

من المدافعة أو ضعفها فيها، مما يجعلها تنزل عن درجة تلك الخيرية فتكون عرضة لعقاب الله، فيلحقها ما لحق الأمم الماضية حين تركت ذلك، سنة من سنن الله، قال تعالى عن بني إسرائيل : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة:٧٨- ٧٩]، وكما حذر النبي ﷺ في حديث ابن مسعود السابق بقوله: (أو ليضربن قلوب بعضكم على بعض، أو ليلعنكم كما لعنهم) [١].

ثم إن الله تعالى قد جعل القيام بهذه الفريضة عنواناً لحقيقة الصلاح المراد شرعاً، المتمثل في القيام بما أوجب الله من الإيمان،و المدافعة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليستحث همم المؤمنين لبلوغ هذه الغاية، فقال في مدح من آمن من اليهود برسالة النبي ﷺ كعبد الله بن سلام ﷺ وغيره: ﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [آل عمران:١١٤]، فهذا هو الصلاح المطلوب شرعاً. صلاح الفرد في خاصة نفسه، وسعيه في إصلاح غيره بالقيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لذا كانت هذه الحالة من الصلاح هي صمام الأمان من وقوع عذاب الله، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود:١١٧]، فلم يقصر الأمان على صلاحهم في أنفسهم، بل تعدى ذلك إلى إصلاحهم لغيرهم ، لأن صلاح الذات مع التقصير في إصلاح ما فسد من المجتمع سبب في وقوع العذاب حتى على الصالحين، كما في حديث زينب بنت جحش < : أنهلك وفينا الصالحون، قال ﷺ : (نعم، إذا كثر الخبث)[٢]، والخبث لن يكثر ويظهر والله أعلم، إلا بالتخلي عن القيام بهذه الصورة من المدافعة أو الضعف فيها.

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) البخاري. كتاب: المناقب. باب: علامات النبوة في الإسلام (٣٥٩٨). مسلم. كتاب: الفتن وأشراط الساعة. باب: اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج (٢٨٨٠) .

كذلك جعل الله تعالى القيام بهذه الصورة من المدافعة، شعاراً مميزاً للنبي ﷺ؛ ليسير أتباعه على سيره ويخطوا خطاه، فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٥٧]، ثم ختمت الآية بما يبعث الهمم على تحصيل ذلك والقيام به، وهو الفلاح المقصور عليهم بقوله (هم) وهو الظفر بخيري الدنيا والآخرة والنجاة من شرهما، لأنه أتى بأكبر أسباب الفلاح[١]، فقدم في الآية وصفه بهذه الصفة مع أنه وصف بعدها بغيرها، إشعاراً بملازمته لها وأنها عنوانه المميز له ﷺ .

والمدافعة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، صفة الأمة المسلمة، التي وعدها الله بالنصر والتمكين في الأرض؛ لأنها لا تبقي على منكر وهي قادرة على تغييره، ولا تقعد عن معروف قادرة على تحقيقه. بل هي ناصرة لدين الله ومنهجه الذي أراده للناس، معتزة بالله وحده دون سواه، فقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج:٤٠- ٤١]، فـ (ضمن لهم النصر في ذلك الدفاع، لأنهم بدفاعهم ينصرون دين الله، فكأنهم نصروا الله. ولذلك أكد الجملة بلام القسم ونون التوكيد)[٢]، وذكر سبب نصره لهم وثمنه وشروطه، فلا يعطي لأحد جزافاً أو محاباة، وهو كذلك لن يبقى لأحد لا يحقق شرطه ولا غايته ومقتضاه[٣].

(١) انظر: تفسير السعدي (٣٠٥).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧٩/١٧).

(٣) انظر: في ظلال القرآن (٢٤٢/٤) .

ومن الآيات في ذلك:

﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٥ ﴾ [الأعراف:١٦٥].

﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ [التوبة:٧١].

﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [التوبة:١١٢].

ومما يحسن ذكره عند الحديث عن هذه الصورة من التدافع، الإشارة إلى دور الحدود الشرعية في مدافعة الفساد، الناتج عن تجاوز وتعدٍ في السلوك أو فساد وانحراف في الخلق. والحدود الشرعية من أدوات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبها صيانة المجتمع من مختلف صور الفساد وأشكاله، فهي بمثابة العلاج المقوم لما أعوج من سلوك الأفراد، بل هي حياة المجتمع ، قال تعالى: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [البقرة:١٧٩]، فالقصاص: (تتبع الدم بالقود) [١]، وعرفه للدلالة على حقيقته المشتملة على الضرب والجرح والقتل وغير ذلك[٢]. ونكر ( الحياة ) للتعظيم والدلالة على تحقق الحياة الحقيقية السعيدة المترتبة على تطبيق هذا الحكم الشرعي بحقن الدماء وانقماع الأشقياء[٣].

والآية وإن كانت في القصاص خاصة مراعاة للسياق، إلا أن المتأمل فيما أشارت إليه من فائدة عظيمة حاصلة للمجتمع بتطبيق هذا الحد الشرعي، يمكن أن يرى هذه الفائدة واضحة في تحقق الحياة المعنوية السعيدة الحاصلة بتطبيق

(١) المفردات (٦٧٢).

(٢) انظر: تفسير المنار (١٣٢/٢).

(٣) انظر: تفسير السعدي (٨٥).

الحدود الشرعية، بنزاهة المجتمع وصيانته من المخالفات المفسدة لقوام حياته الحقيقية في الدين والنفس والعقل والعرض والمال، وهذه هي الضروروات الخمس التي شرعت الحدود لدفع الشر عنها والمحافظة عليها، قال تعالى عند ذكر حد الزاني غير المحصن: ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، فأمر الله بذلك عند تطبيق ذلك الحد؛ لأن (من مقاصد الحدود مع عقوبة الجاني أن يرتدع غيره، وبحضور طائفة من المؤمنين يتعظ به الحاضرون ويزدجرون ويشيع الحديث فيه بنقل الحاضر إلى الغائب) [1]، ليرتدع أصحاب النفوس المريضة، ويندفع الفساد عن المجتمع المسلم.

### ثالثاً: تحذير الله أمة الإسلام من ترك المدافعة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

تظافرت النصوص الشرعية من القرآن والسنة في التحذير من ترك المدافعة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلت ترك ذلك سبباً في تعرض الأمة لعقاب الله، من اللعن ونزول العذاب، وذهاب الأمر واستبدال الله من نكص عن ذلك بمن يقيم دينه، فقال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة:٧٨، ٧٩].

فأخبر سبحانه أنه طرد وأبعد الذين كفروا من بني إسرائيل من رحمته، وأن ذلك حصل لهم بسبب معصيتهم وتعديهم.

ثم فسر ذلك بوقوعهم في المعاصي، التي جرأهم عليها ونشرها فيهم تركهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فـ (إن الله تعالى أمر بالتناهي فكان الإخلال به معصية، وهو اعتداء لأن في التناهي حسماً للفساد فكان تركه على عكسه) [2]،

(١) التحرير والتنوير (١٥١/١٨).

(٢) الكشاف (٣٠٤).

ووقع منهم ذلك لتهاونهم بأمر الله، وسهولة الأمر عليهم، إذ لو كانوا معظمين لله ولأمره لغاروا لمحارمه، ولغضبوا لغضبه، فكان الوقوع في ذلك موجباً لعقوبة الله؛ لما فيه من المفاسد العظيمة التي منها[1]:

١- أن السكوت على المعصية معصية، وإن لم يباشرها الساكت، لأن الواجب على المكلف إنكار المعاصي كل بحسبه.

٢- أن ترك إنكار المنكرات يجرئ على المعاصي، مما يزيد الشر ويقويه، ويجعل لأهله الشوكة والظهور، في حين يضعف أهل الخير عن مقاومته ، لأن تدارك الشر في أوله حال ضعفه أسهل وأخف من معالجة ذلك في حال قوته.

٣- أن بترك إنكار المنكرات إندراساً لمعالم الملة، وبخاصة إذا كانت تلك المنكرات من المبتدعات في الدين، فيكثر الجهل، حتى يظن أنها ليست بمعصية ، بل عبادة مستحبة، فتنقلب الحقائق على النفوس، فيعود المنكر معروفاً والمعروف منكراً، حتى ينتقل المجتمع من الصورة الإسلامية التي أهلته للخيرية التي أرادها الله منه، إلى أن يصبح مجتمعاً جاهلياً لا قيمة فيه للفضائل والأخلاق، ولا للشعائر والعبادات ، وذلك حين يألفها الكبير ويهرم عليها، ويشب عليها الصغير ويعتادها، عندها يصح فيهم قول الزمخشري: (يا حسرة على المسلمين في إعراضهم عن باب التناهي عن المناكير، وقلة عبئهم به، كأنه ليس من ملة الإسلام في شيء ، مع ما يتلونه من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب)[2].

والله تعالى حين يذكر نهاية من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي انتهوا إليها، من إهلاك الله لهم، وإنزال العذاب بهم، يحذر أمة الإسلام من سلوك مسالكهم ، ويحذرهم من عاقبة كعاقبتهم، قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾

(١) انظر: تفسير السعدي (٤٢١) .

(٢) الكشاف (٣٠٤).

[الأعراف:١٦٤]، إلــى أن قــال: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٥ ﴾ [الأعراف:١٦٥]، فـ (هكذا سنة الله في عباده، أن العقوبة إذا نزلت نجا منها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر)[١]، وقال سبحانه: ﴿ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ ﴾ [هود:١١٦]، (وهذه الآية فيها تنبيه لأمة محمد ﷺ وحض على تغيير المنكر والنهي عن الفساد في الأرض، ثم استثنى الله تعالى القوم الذين نجاهم مع أنبيائهم وهم قليل بالإضافة إلى جماعتهم)[٢] الذين هلكوا بالعذاب بسبب عصيانهم وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والمتأمل في تاريخ الأمة الإسلامية منذ بزوغ فجر الرسالة، يلحظ بوضوح أن من سنة الله تعالى التي لا تتبدل، أن الدول إنما تعز وترقى بمقدار التزامها بدين الله وقيامها بهذه الصورة من المدافعة، فإذا بدأت تتخلى عن ذلك دب إليها الضعف والفساد ، بقدر ما تركت من ذلك، حتى يودي بها ذلك إلى الاضمحلال والزوال.

وقد صرح القرآن بذلك ، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾ [المائدة:٥٤].

وهذه الآية وإن كانت فيمن ارتد عن دينه، زاهداً فيه ووالى أعداءه كما هو قول عامة المفسرين[٣] إلا أنها دالة أيضاً على سنة الله في استبدال من ترك أمره، ونكص على عقبيه، فترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصوره المختلفة، التي منها الجهاد في سبيله سبحانه، والبراءة من الكفار وترك موالاتهم، لذا وصفهم في الآية بما يدل على قيامهم بهذه الصورة من المدافعة، من جهاد في سبيل الله وقيام بأمره تعالى ، وعدم الأكثرات بلوم اللائمين لهم في ذلك، على حد

(١) تفسير السعدي (٣٠٧).

(٢) المحرر الوجيز (٩٧٥).

(٣) انظر: الكشاف (٢٩٥)، المحرر الوجيز (٥٥٥) .

قولـــه تعـــالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج:٤١].

### الصورة السابعة: مدافعة النوازع:

المكلف في طريق سيره في الدار الدنيا إلى نهايته المحتومة، لا يخلو من نوعين من النوازع تتجاذبه، نوازع شر منبعثة من هوى نفسه، والهوى: ميل النفس إلى الشهوة[١]، و (هو الدافع القوي لكل طغيان، وكل تجاوز، وكل معصية، وهو أساس كل بلوى، وينبوع الشر، وقل أن يؤتى الإنسان إلا من قبل الهوى) [٢]، لذا لم يرد ذكر الهوى في القرآن والسنة إلا في معرض الذم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ [ص:٢٦]، وهو حديث النفس الـ (أمارة بالسوء، تأمر صاحبها ، بما تهواه، من شهوات الغي واتباع الباطل، فهي مأوى كل سوء، وإن أطاعها قادته إلى كل قبيح وكل مكروه... فإنها بذاتها أمارة بالسوء، لأنها خلقت جاهلة ظالمة) [٣]، ونوازع خير تناديه بها فطرة الخير التي فطر عليها، فلا يزال حال المكلف في تدافع بينهما، وهو للأقوى منهما. والمكلف حين يرجع إلى نفسه عندما يهم بعمل شيء، يجد أن فيها خصمان متدافعان، أحدهما يأمره بالعمل وسلوك طريق العوج، والآخر ينهاه عن العوج ويأمره بالاستقامة على أمر الله، والمكلف مأمور بدفع نوازع الشر، وإمضاء نوازع الخير[٤].

ويمكن تصنيف الآيات القرآنية الواردة في هذه الصورة من التدافع في صنفين:

(١) انظر: المفردات (٨٤٩) .

(٢) في ظلال القرآن (٣٨١٩/٦) .

(٣) إغاثة اللهفان، ابن قيم (٨٤) .

(٤) انظر: تفسير المنار (١٥١/١) .

**أولاً**: تنبيه المؤمن على نوازع الشرفيه:

اقتضت حكمة الله ورحمته بعباده، أن أبان لهم ما فيه صلاحهم وما به سعادتهم، ونبههم في كتابه أو على لسان رسوله على مزالق العطب، ومن جملة ذلك: أن أوقف المكلف على حقيقة نفسه، فأخبره أنها أمارة بالسوء، لأنها خلقت في الأصل ظالمة جاهلة، وأنه لا خلاص له من شرها إلا بتوفيق خالقه وإلهه، ليبقى في حذر دائم من هذه النفس لابساً لأمة الحرب لمدافعتها، دائم الصلة بربه أن يوفقه لدفع نوازعها وأن يرزقه زكاتها، قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ﴾ [النور:٢١]، فقال سبحانه مقرراً قول امرأة العزيز في أصل حال النفس: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف:٥٣]، فجاء التقرير بصيغة التأكيد بـ ( إنَّ ) ولام التوكيد في (لأمارة ) والمبالغة في لفظ ( أمارة ) فإنه(لم يقل: آمرة، لكثرة ذلك منها، وأنه عادتها ودأبها إلا إذا رحمها الله) (١). كل ذلك لبيان أصل حال النفس وأنها نزَّاعة إلى الشر داعية إليه، (فإذا أراد الله سبحانه بها خيراً جعل فيها ما تزكو به وتصلح، من الإرادات، والتصورات. وإذا لم يرد بها ذلك تركها على حالها التي خلقت عليها من الجهل والظلم) (٢).

**ثانياً**: حث المؤمن على مدافعة نوازع الشر فيه:

الله سبحانه الذي خلق النفس، العليم بدائها، الخبير بدوائها، الذي يعلم دروبها ومنحنياتها، ويعلم مكامن الأهواء فيها والأدواء، ويعلم سبحانه كيف تدافع في نوازعها وكيف تطارد في مكامنها، وينهى المؤمن عن متابعة هوى نفسه، ويكلفه كبح جماحها، والإمساك بزمامها، ويوقفه على آفة النفس، يستحث همته على جهادها الشاق، ومدافعتها الطويلة الأمد بعلاجها والترقي بها، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات:٤٠- ٤١]، فهذه

(١) إغاثة اللهفان (٨٤).

(٢) المصدر السابق .

صورة مقابلة تماماً لما مضى في الآيات قبلها ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النازعات:٣٧-٣٩]، قوبلت المقدمة فيها بمثلها، مشتملة على الدافع والمحرك، وحقيقة الحال وواقعه، ثم النتيجة بمثلها، ممثلة بجزاء المكلف على ما قدم من انسياق مع هوى نفسه، أو مخالفة لهوى نفسه ومدافعة ودفع لنوازع الشر فيها. صورتان متقابلتان متسقتان مع حرية الإنسان التي تليق بتكريم الله له، حين أقام عليه الحجة وأوضح له السبيل، ثم تركه ليختار طريق حياته، ليتعلم من هذا الدرس، أن الهوى كما أنه مركب في طبيعته، إلا أن الذي أودع نفسه الاستعداد لجيشان الهوى، أودعها أيضاً الاستعداد لمدافعته ودفعه والإمساك بزمامه ونهي النفس عنه. ثم جعل له الجنة جزاء ومأوى حين ينتصر على نوازع الشر في نفسه، ويرتفع ويترقى في الكمال الإنساني واطمئنان النفس إلى محاب الله ومراضيه، ليستحث همته لبلوغ هذه المنزلة العالية والدرجة السامقة [١].

وقد جاء اللفظ القرآني في نهي المؤمن عن متابعة هوى نفسه في صورة بليغة، فلم يستعمل لفظ: ( كف، دفع )، بل جعل النفس (بمنزلة شخص آخر يدعوه إلى السيئات وهو ينهاه عن هذه الدعوة) [٢]، مبالغة في معنى الكف والدفع، وإرشاداً للمؤمن إلى إمكان استصلاح هذه النفس الأمارة بالسوء والارتقاء بها، بترويضها على طاعة الله والتزام محابه .

وقال تعالى حاثاً على مدافعة نوازع النفس: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٤].

فأخبر سبحانه عن محبته لأهل الإحسان الذين من صفاتهم، أنهم يدفعون عن أنفسهم نوازع الشر، فيكظمون الغيظ. والكظم: حبسه[٣] (ورده في الجوف إذا كاد

(١) انظر: في ظلال القرآن (٣٨١٩/٦).

(٢) التحرير والتنوير (٩٢/٣٠).

(٣) المفردات (٧١٢).

أن يخرج من كثرته) [1]، والغيظ: (أشد الغضب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه) [2]، فدعى الله المؤمنين إلى مدافعة أنفسهم عند اعتراء الغيظ، رجاء ما عنده سبحانه، ودعاهم كذلك إلى مدافعة هوى النفس بالانتقام ممن تعدى عليهم وظلمهم إلى العفو حين اتجه حقهم، ويجوز لهم ألا يعفو، ويتمكنوا ممن تعدى عليهم، وهذا كله يحتاج من المكلف إلى مجاهدة ومدافعة لهوى النفس في إرادة الانتقام ، لا يوفق لها إلا من آثر ما عند الله وحرص على هذا النوع من المدافعة، وقد رتب الله سبحانه على هذا النوع الأجور العظيمة حثاً عليه .

### الصورة الثامنة: الجهـــــــــــــاد:

الجهاد: مشتق من الجُهد بضم المعجمة، الوسع والطاقة. تقول: بذلت جُهدي : أي طاقتي ووسعي. أو هو مشتق من الجَهد بفتح المعجمة، المشقة. تقول: جهدت في تحصيل كذا: أي نالني في تحصيله التعب والمشقة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ﴾ [النور: ٥٣] [3]، أي أتعبوا أنفسهم وبالغوا في بذل اليمين لك[4].

والتحقيق: أن الجهاد الشرعي شامل لكلا المعنيين، فهو من جهة فعل المكلف: مبالغة في بذل الوسع والطاقة في مدافعة العدو. ومن جهة ما يترتب على تحقيق المكلف للجهاد الشرعي تعب ومشقة في الظاهر، لذا رتب عليه الشارع خلاص المؤمن من أعدائه المتربصين به، مع تحصيل الأجور العظيمة في الدنيا والآخرة.

وقد سبقت الإشارة في مبحث المرادفات للتدافع، إلى أن الجهاد أعم من القتال، فمن حيث أدواته يكون بالنفس واللسان والمال، قال ﷺ : (جاهدوا

(١) المحرر الوجيز (٣٥٧).

(٢) المفردات (٦١٩)، المحرر الوجيز (٣٥٧).

(٣) انظر: المفردات (٢٠٨)، معجم مقاييس اللغة (٢٧٧).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٣٤١/٩)، الكشاف (٧٣٤).

المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)[(١)]، أما القتال فلا يكون إلا بالنفس. ومن حيث الجهة المستعمل معها هذه الصورة من المدافعة، يكون للكفار والمنافقين ومن دونهم من أهل البدع والمعاصي في الظاهر، وفي الباطن النفس والشيطان، لذا جعل العلماء ( الجهاد أربع مراتب: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين )[(٢)]، أما القتال فهو في الأصل للكفار، قال ابن قيم ~: ( وجهاد الكفار أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص باللسان )[(٣)].

وقد وردت آيات الجهاد في هذا المعنى العام ومن تلك الآيات:

قولــه تعــالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

فهذا الاستفهام من الله تعالى جاء في سياق الحديث عن أحد وما حصل فيها من هزيمة للنبي ﷺ وأصحابه، بعد أن سجلت الآيات إخفاق من أخفق منهم ﷺ في التزام أمر النبي ﷺ بعدم البراح من جبل الرماة إلا بإذنه، فجاء الاستفهام مستنكراً ظن من قد يظن أن الجنة تنال بغير مشقة واحتمال للمكاره في سبيل الله، ومجاهدة النفس على طاعة الله[(٤)]، قبل مجاهدة العدو الظاهر، فالمؤمن مأمور بمجاهدة نفسه وشيطانه قبل مجاهدة عدوه الظاهر، بل إنما يكون انتصاره على عدوه الظاهر بقدر انتصاره على عدوه الباطن.

وهو كذلك لا يخلو من المعاناة اليومية التي لا تنتهي، معاناة الاستقامة على الإيمان، والاستقرار على مقتضياته، ومعاناة التعامل مع الضعف الإنساني في النفس وفي الغير حين يتعامل معهم، ومعاناة الفترات التي يستعلي فيها الباطل وينتفش، ومعاناة طول الطريق وبعد الشقة وكثرة العقبات وقلة الرفيق، ومعاناة

(١) سبق تخريجه.

(٢) زاد المعاد (٩/٣).

(٣) المصدر السابق (١١/٣).

(٤) تفسير السعدي (١٥٠).

وسواس الراحة وهفو النفس إليها هروباً من زحمة الجهد والكرب والنضال، وهذه وغيرها ميادين للجهاد، ليس القتال إلا واحداً منها، لذا عقب بعد ذكر الجهاد في الآية بالتأكيد على أمر الصبر اللازم لجميعها[1].

ومن الآيات في هذا المعنى:

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [الحج: ٧٨].

﴿ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ۝٥٢ ﴾ [الفرقان: ٥٢].

﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓ ﴾ [العنكبوت: ٦].

﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٨ ﴾ [العنكبوت: ٨].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [التحريم: ٩].

وقد ترد الآيات التي ذكر فيها لفظ الجهاد دالة على صورة من صوره وهي قتال الكفار، وذلك في سياقين:

١- إذا قيد الجهاد بالمال والنفس، ومنها:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٧٢].

﴿ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ ﴾ [التوبة:٤٤].

﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ ﴾ [التوبة: ٨٨].

٢- في سياق آيات القتال، ومنها:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ ﴾ [الأنفال: ٧٤]، فقد ذكرت بعد آية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال:٧٢].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن (٤٧٧/١)، التفسير الكبير (٣٧٥/٣).

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ ﴾ [التوبة: ١٦]، **فقد ذكر قبلها وبعدها القتال، قال تعالى:** ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ [التوبة: ١٤]، **وقال بعدها:** ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ [التوبة: ٢٠].



## المبحث الثاني: أسلوب القرآن في عرض سنة التدافع.

باستعراض الصور التي مضت، وتتبع الآيات الواردة في كل صورة وتأملها يمكن الوصول إلى أسلوب القرآن في عرضها، والذي يمكن أن يلخص في الجدول التالي:

| الخبر، وسياقاته: | الإنشاء، وسياقاته: |
| --- | --- |
| التحذير | الأمر |
| الإثارة والإغراء | النهي |
| التأكيد | الاستفهام (العتاب، التوبيخ) |
| الامتنان | النداء المصحوب بالأمر |
| الحث والترغيب | النداء المصحوب بالنهي |
| الوعد | |

أما التفصيل: فبتأمل الأسلوب الذي عرضت فيه الصورة الأولى من صور التدافع، وهي التدافع بين بني الإنسان والشيطان، يلحظ بوضوح أن الأسلوب جاء في غالبه في ثوب الخبر لا الإنشاء، سواء الآيات التي عرضت قصة آدم عليه السلام مع الشيطان وامتناعه عن السجود لآدم امتثالاً لأمر الله وعبودية له، أو ما بعدها من الآيات. لكنها تميزت في كل مرة بسياق خاص، فجاءت في الأولى بسياق التحذير الملفوف برداء الإثارة والإغراء؛ ليثير في نفس القارئ الحمية لأبويه آدم وحواء، لأن من شأن الأبناء أن يحاموا عن آبائهم ويدافعوا عنهم. ولما كان الإنسان لا يتمكن من ذلك لبعد العهد، وعدم القدرة على النيل المباشر من الشيطان، بقي حينئذ ما في مقدور الإنسان من مخالفة الشيطان والتيقظ لوساوسه، وهذا هو المقصد من إيراد هذه القصة بل وتكرارها في القرآن، في مواطن متعدّدة.

وجاء الخبر كذلك في سياق التأكيد، سواء في خطاب الله لعباده مؤكداً على عداوة الشيطان لهم، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة:١٦٨]، وقوله: ﴿ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص:١٥]، أو في سياق القرآن لوعد الشيطان بأسلوب التأكيد على إغواء بني آدم بقوله: لأتخذن، لأقعدن، لأزينن، لأحتنكن، لأغوين.

كذلك جاء الخبر في سياق الامتنان، مذكراً بنعمة الله على عباده المؤمنين بإنجائهم من كيد عدوهم الشيطان ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [النساء:٨٣]، لتعليق قلوبهم به سبحانه في ذلك ، لذا قال في الآية الأخرى: ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِى ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ [الحج:٥٢] فهو القادر سبحانه على دفع كيد الشيطان وإبطال مكره.

وجاء الخبر في أسلوب التحذير في غالب الآيات التي تعرضت لذكر الشيطان، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ ﴾ [البقرة:٢٦٨]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران:٣٦]، وقوله: ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١١٩].

كذلك جاءت الآيات الواردة في هذه الصورة في أسلوب الإنشاء، إما في النداء المصحوب بالنهي ، كما في آية لقمان وفاطر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمًا لَّا يَجۡزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ [لقمان:٣٣]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ [فاطر:٥]، للزجر من الانخداع بكيد الشيطان، وكذلك في آية الأعراف ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ [الأعراف:٢٧]، وهو في هذا الموطن للإغراء بمخالفة الشيطان ومعاداته ومدافعته لسابق عدواته للأبوين.

كذلك جاء الإنشاء في سياق النداء مصحوباً بالنهي عن اتباع خطوات الشيطان، وقد صدرت بالنداء لعموم الناس في آية البقرة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى

ﱡٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ﱠ [البقرة:١٦٨]، مراعاة لسياق الآيات المخاطبة للمشركين في إبطال ما حرموا من المطاعم[1]، وصدرت بالنداء للذين آمنوا في آيتي: ﱡيَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞﱠ [البقرة:٢٠]، وﱡيَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِﱠ [النور:٢١]، مراعاة كذلك للسياق ، فإنها في سياق مخاطبة المؤمنين[2].

وجاء الأمر بالنهي المجرد عن النداء في آية الأنعام: ﱡ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ١٤٢ﱠ [الأنعام:١٤٢].

كذلك جاء الإنشاء في سياق الاستفهام للتوبيخ والتقريع لمن خالف أمر الله بمخالفة الشيطان، وتعاميه عن النذر الإلهية ومصافاته وطاعته لمن تقرر عنده هلاكه على يديه، كما قال تعالى: ﱡ۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ﱠ [يس:٦٠].

وجاء في سياق الأمر في الآيات التي تضمنت أمر الله تعالى بالاستعاذة من الشيطان وهمزاته.

كذلك الآيات التي تضمنت دفع السيئة بالحسنات، كان الغالب عليها أسلوب الخبر، إما للحث والترغيب في سلوك هذا المجال من المدافعة، كما في قوله تعالى في صفات أولي الألباب:ﱡوَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَﱠ [الرعد:٢٢]، [القصص:٥٤]، أو في ذكر حال الوالدين بمسارعتهما إلى التوبة مما اقترفا، حثاً للأبناء أن يسلكوا مسلكهما في ذلك، كما قال تعالى: ﱡفَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚﱠ [البقرة:٣٧]، وقوله: ﱡقَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣ﱠ [الأعراف:٢٣].

وجاءت الآيات في سياق الوعد، لتفتح للمذنبين آفاقاً من الرحمة والأمل بتحقق المشروط عند حصول الشرط، لذا أكد جواب الشرط بما يزيد من تيقن

(١) انظر:التحرير والتنوير (١٠١/٢).

(٢) انظر:التحرير والتنوير (٢٧٥/٢).

ذلك، فقال تعالى: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ ﴾ [المائدة:٣٩] [1]، وقوله: ﴿ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الأنعام:٥٤] [2].

وجاءت كذلك بأسلوب الإنشاء في سياق الأمر بمدافعة السيئات بالحسنات، لما يترتب على ذلك من خيري الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ ﴾ [المؤمنون:٩٦]، [فصلت:٣٤].

أما الآيات التي عرضت دفع الله عن أوليائه، فقد اتفقت جميعاً على أسلوب الإخبار، وعند تأمل تلك المجموعة الكبيرة من الآيات، يلحظ المتأمل أنها إما جاءت في سياق الوعد المؤكد من الله تعالى بالدفع عن أوليائه في مستقبل أمرهم، كما في قوله تعالى: ﴿ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ ﴾ [البقرة:١٣٧]، وقوله: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ [آل عمران:٥٥].

وإما بالإخبار عن تحقق وعد الله لأوليائه بالدفع عنهم ونصرهم، تثبيتاً للمؤمنين وترغيباً لهم في الصبر وانتظار الفرج من الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٨]، وقوله: ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ﴾ [الشعراء:١١٩].

وعند تأمل الآيات التي عرضت صورة مدافعة الكفار، نجد أن منها ما جاء في أسلوب الإنشاء، كالآيات التي أتت في سياق الأمر للنبي ﷺ بالرد على الكفار، ودفع ما يلقونه من شبه بالحق الدامغ، وتلقينه الردود المسكتة في ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [البقرة:١٣٥].

(١) انظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش (٢/٤٧١).

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه (٣/١٢٦).

وكذلك الأمر بجدال الكفار، والإرشاد إلى الطريقة المثلى في ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل:١٢٥].

بينما جاءت باقي الآيات في هذه الصورة من المدافعة في أسلوب الخبر، سواء التي جاءت في ثوب التحذير للنبي ﷺ وأهل الإيمان من مكر أعدائهم وما يكيدون بهم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [آل عمران:٧٢].

أو التي تولت تسجيل التدافع بين المصلحين وأعدائهم من المفسدين في الأزمان الغابرة، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٨].

أما الآيات التي تناولت صورة القتال، فغالبها جاء بأسلوب الإنشاء، كالآيات التي أتت في سياق الأمر بقتال الكفار وهي كثيرة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾ [الأنفال:٣٩]، وقوله: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ ﴾ [التوبة:١٢٣]، فقد جاءت في سياق النداء المصحوب بالأمر، محرضة في كل ذلك على قتال الكفار، كما في قوله تعالى: ﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ﴾ [النساء:٨٤].

أو جاءت في سياق الاستفهام، كقوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٤٦]، معاتبة المؤمنين على ما وقع منهم من تقهقر يوم أحد حين أشيع في الناس أن النبي ﷺ قتل، فضرب لهم المثل بمن قبلهم ترغيباً لهم في الصبر على ما أصابهم في ذات الله، وأن من قبلهم أصيبوا كما أصيبوا، فصبروا وثبتوا ولم يضعفوا أو يتراجعوا أو يداهنوا.

كذلك جاء الإنشاء في سياق الاستفهام محرضاً على قتال الكفار لما اشتملوا

عليه من الأفعال المشينة، كما قال تعالى: ﴿ أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التوبة:١٣].

وجاء كذلك في سياق الاستفهام لعتاب المؤمنين،وتهييجهم وتحريضهم على استنقاذ المستضعفين في الأرض ونشر العدل فيها، في قوله تعالى:﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [النساء:٧٥].

وللعتاب كذلك على التخلف عن رسول الله ﷺ في تبوك، بل وعتاب كل من تخلف عن قتال الكفار وقد وجب عليه، قال تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [التوبة:٣٨].

كذلك أتت آيات القتال بأسلوب الخبر، في الآيات الموضحة لما أعده سبحانه للمجاهدين والشهداء من الكرامة، حثاً لأهل الإيمان على سلوك هذا السبيل وترغيباً فيه، كما قال تعالى: ﴿ وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٥].

أما الآيات التي وردت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمنها ما جاء بأسلوب الإنشاء في سياق الأمر لأهل الإيمان بالقيام بهذه الفريضة، كما قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران:١٠٤].

ومنها ما ورد بأسلوب الإخبار، إما ترغيباً في القيام بهذه الفريضة ، قال تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران:١١٠]، ترغيباً لأهل الإيمان في القيام بما أوجب الله عليهم من ذلك. أو تحذيراً من ترك القيام بهذه الفريضة مع الإشارة إلى شيء من العقوبات الإلهية المترتبة على ذلك

، كما في قوله تعالى:
﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [المائدة:٧٨].

كذلك دار حديث القرآن عن مدافعة نوازع النفس، فجاء بأسلوب الإخبار في سياق التأكيد على أصل حال النفس من كونها أمارة بالسوء، تأمر بكل قبيح وتميل مع كل هوى، كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف:٥٣]، لذا جاء التكليف الإلهي بنهي الإنسان عن متابعة هواه، كما في قوله: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ [ص:٢٦]، بل وحثه على ذلك، في إدراج هذه الصورة من المدافعة في صفات المتقين، فقال تعالى مخبراً عن ذلك: ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٤].

أما آيات الجهاد فجاءت غالباً في أسلوب الإنشاء، إما آمرة بجهاد الكفار، كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾ [الفرقان:٥٢]، وقوله: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [الحج:٧٨].

وإما في سياق الاستفهام لتقرير سنة الله في ابتلاء أولياءه؛ ليظهر في عالم الشهادة من يثبت على مراد الله مجاهداً صابراً ممن ينقلب على عقبيه، كما قال تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٤٢].

كذلك وردت في أسلوب الخبر، في سياق التأكيد لوعد الله لمن جاهد فيه من عباده أن يهديه سواء السبيل. بشارة منه تعالى أن ذلك من المكلف يدخله في حزب المحسنين، في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

كذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ ﴾ [العنكبوت:٦] لـ(تقرير أن جهاد

الشخص لا يصل منه إلى الله نفع) [1] وإنما عاقبة جهاده وثمرته ترجع إليه وحده، فالله غني عن عباده.



(١) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش (٧/٤٠٠).

# المبحث الثالث: خصائص أسلوب القرآن في عرض سنة التدافع

من خلال ما سبق عرضه في المباحث السابقة في هذا الباب، وبتأمل أسلوب القرآن الكريم في تناول هذه السنة الإلهية، يمكن أن نخلص إلى أهم الخصائص التي تميز بها أسلوب القرآن في عرض هذه السنة وهي:

١- الشمول ٢- التركيز على الجوانب المهمة المؤثرة.
٣- التعليل وبيان الحكمة. ٤- التنويع.

## أولاً: الشمول:

عرض القرآن سنة التدافع بصورتها العامة الشاملة للمجال الكوني والمجال الإنساني. فهو حين يتحدث عن تدافع الليل والنهار والشمس في جريانها إلى مستقرها، والقمر في اتباعه لها واحتلاله لسلطانها في آيات عديدة، يعرض ذلك التدافع في حركة دائمة مستمرة، مشيراً إلى مجال من مجالات هذه السنة في العالم الكوني المحيط بالإنسان، ليكون دليلاً لكل متأمل وهادياً له للوقوف على مشاهد القدرة الإلهية في المخلوقات من حوله وهي منتظمة بسلك التدافع. ودليلاً كذلك على استمرار السنن وثباتها ومنها سنة التدافع كاستمرار تدافع الليل والنهار.

ويعرضها كذلك في مجالها الإنساني بأسلوب التصريح، في تصوير بني الإنسان في ساحة الحياة المترامية الأطراف وهي تموج بهم، وكل يدفع الآخر في تسابق وتزاحم إلى الغايات[١].

كذلك تناول القرآن الكريم سنة التدافع فعرضها بصورتها العامة الموجودة في الجواهر، كتدافع أهل الإيمان مع أعدائهم في صورته الظاهرة المتمثلة بالقتال، وكتدافع الأحوال التي تعتور الإنسان في حياته من سراء وضراء وحزن وفرح، كشاهد على التدافع في الأعراض.

(١) انظر: في ظلال القرآن (١/٢٦٤).

## ثانياً: التركيز على الجوانب المهمة المؤثرة:

فالقرآن الكريم في عرضه لسنة التدافع، يركز على صورة التدافع بين الخير والشر، والإيمان والكفر، مع كون هذه السنة سنة عامة، لأنه الجانب المؤثر من سنة التدافع في مسار الحياة الإنسانية، والمحقق للحكمة التي من أجلها خلق الخلق. وقد عرض القرآن سنة التدافع بالتصريح في سياق هذا الجانب من سنة التدافع، سواء في سورة البقرة أو في سورة الحج. وجاء في سياق القتال للكفار إشارة إلى أن التدافع كما أن له صوراً سلمية، كذلك له صور تعتمد على المحاربة والمقاتلة .

والمتأمل في أسلوب القرآن في عرض هذا الجانب من سنة التدافع يلحظ أنه بدأ بدفع شبهات الكفار والمنافقين، التي يأملون من وراء إطلاقها التشكيك في عقيدة الإسلام وزعزعة المسلمين عن معتقدهم الحق، فيدفع السلاح الذي يستخدمه الكفار للدس في مبادئها، بالتثبيت على الحق، وذلك بنفي الشبهات والشكوك التي يلقيها أولئك، ثم يجلو الحقيقة التي يقوم عليها هذا الدين، ويقنع أهل الإيمان بحقيقتها وقيمتها في الأرض، ودورها في حياة البشرية وسعادتها، فيبدأ بتخلية القلب وتفريغه من شكوك الشيطان وباطل الكفار ويدفعه عنه، ثم يأتي دور التحلية بتزويد القلب بحقائق الإيمان.

## ثالثاً: التعليل وبيان الحكمة:

لقد عرض القرآن سنة التدافع في سياق التعليل وبيان الحكمة منها، وهي تحقق الصلاح والخير والنماء للحياة والأحياء؛ لأن التدافع الناتج عن تعارض مصالح الناس واتجاهاتهم المغروس في طبائعهم، يؤدي إلى انطلاق الطاقات وتجدد القدرات، فتنفض عنها الخمول والكسل، وتستجيش فيها المكنونات المدخرة، وتبقى أبداً يقظة عاملة، مستخرجة قدراتها الكامنة وذخائر ما حولها، مستخدمة كل ذلك بفاعلية، مما يسعى بالحياة إلى التطور والتقدم والرقي الذي فيه

صلاح الحياة والأحياء[1].

ويعرض السياق القرآني كذلك للخطر المترتب على انتفاء هذه السنة، الذي كان يمكن أن يعم الأرض وأهلها لولا رحمة الله بإيجاد هذه السنة الإلهية، فدفع الله الناس بعضهم ببعض وبقية الموجودات بعضها ببعض ناف للفساد عن الأرض وعن الناس. والقرآن إنما خص تدافع الناس بعضهم مع بعض بالذكر، مع كون هذه السنة عامة، مراعاة للتكريم الحاصل للإنسان المنصوص عليه بقوله: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ فهو صاحب التكليف المخاطب بالقرآن، (ولأن الإنسان هو المهيمن على بقية الموجدات في الأرض، وهو الذي تظهر في أفراده جميع التطورات الحاصلة بتحقيق هذه السنة، لما جعل الله فيه من القوة الشاهية لبقائه وبقاء نوعه، ولما جعل فيه من القوة الغاضبة كذلك؛ لدفع المفرط المتجاوز في طلب ما ينفعه ولما في قيام الإنسان بهذا الدفع من استبقاء لبقية الأنواع، لأن الإنسان يدفع عنها ليقينه بأن بقائها نافع له) [2].

كذلك استخدم القرآن ضرب المثل لبيان العلة من التدافع فيما تحققه هذه السنة من صلاح ونفع بسيول الحوادث ونيران التنازع، التي تقذف بالزبد الضار في الاجتماع وتدفعه، وتبقي معدن الحق النافع الذي ينمو فيه العمران، ومعدن المصلحة التي يتحلى بها الإنسان، كما قال تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الرعد:١٧][3].

كذلك عند تأمل آية النازعات في مدافعة نوازع النفس: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ [النازعات:٤٠]، يرشد الله سبحانه إلى مخالفة هوى النفس في

---

(١) في ظلال القرآن (٢٦٤/١) .

(٢) التحرير والتنوير (٥٠٣/٢) بتصرف.

(٣) انظر:تفسير المنار (٤٩٧/٢).

الشرط بقوله: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ ويأتي جواب الشرط ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ كالتعليل لما سبق من إرشاد لمخالفة هوى النفس، وأنه تحصيل الجنة وحسن العاقبة[1].

## رابعاً: التنويع:

عند تأمل ما سبق عرضه في بيان الأسلوب، يلحظ بوضوح التنويع الذي استخدم في أسلوب العرض. فكل صورة من الصور تعرض بأساليب متنوعة بين الإنشاء والإخبار، لينقل القارئ من أسلوب إلى أسلوب، تجديداً لنشاطه، وتشويقاً له، وشداً لانتباهه، حتى لكأن المتأمل في ذلك يطوف في زوايا بستان مورق مزهر، كل زاوية يعرض فيها ما يناسب ذوقاً من الأذواق، وقد يلفت انتباه المتأمل ويشده في زاوية أكثر مما يشده في غيرها.

---

(١) ومن الآيات التي وردت في سياق التعليل في هذه السنة ما يلي: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الفرقان:٦١] الأداة (ل).

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦] الأداة (ل) .

﴿ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:١٠٣] الأداة (ك).

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٨] الأداة ( ك ) .

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [المائدة:٧٨] الأداة (ب).

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾ [هود:٥٨] الأداة (ب).

﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه:١١٧] الأداة (ف).

﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٣٥]، [الأعراف:١٩] الأداة (ف).

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٧] الأداة (حتى).

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال: ٣٩] الأداة (حتى).

فجاء أسلوب القرآن في العرض منوعاً، فنقرأ في الترغيب قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران:١١٠]، ونقرأ في الترهيب قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ﴾ [التوبة:٣٩].

ونقرأ في التعظيم قوله تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة:٢٢]، وفي التهوين والتحقير: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المجادلة:١٩].

بل والتعليل وضرب المثل كما سبق، ليتناسب مع اختلاف أحوال الناس بين المصدق المؤمن، والمسلم الغافل، والكافر الجاهل، والمستكبر المعاند، واختلاف أحوال النفس بين الإقبال والإدبار، والتيقظ والسهو والغفلة.



## المبحث الرابع: الدروس المستفادة من أسلوب القرآن في عرض سنة التدافع

في ختام هذا الفصل نصل إلى بعض الدروس المستفادة من العرض الذي سبق لأسلوب القرآن في سنة التدافع، والتي تتلخص في التالي:

١- أن سنة التدافع من السنن العامة المبثوثة في صفحات الكون.

٢- أن أهم صورة من صور التدافع صورة التدافع بين الحق والباطل.

٣- رسم منهج للداعية إلى الله في خطابه الدعوي، بملاحظة التنويع في الأسلوب ليوافق تنوع أحوال المدعوين.

٤- أن الداعية إلى الله ينبغي عليه أن يبدأ بالجوانب المهمة لدى المدعوين، ويرتب الأولويات.

٥- أن التدافع ضمان لصلاح البلاد والعباد، وأن انتفاءه يعني فساد الأرض وانتشار الظلم وهلاك العباد.

٦- أن التدافع وإن كان حاصلاً بين المخلوقات بكونهم المباشرين له، إلا أن الذي قدره عليهم ووضع فيهم أسبابه هو الله تعالى، لذا أسند إليه في الآيتين التي نص عليه فيهما ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥١] [الحج: ٤٠].

٧- أن التدافع وإن كان من السنن الإلهية العامة اللازمة لبني البشر، إلا أن منه ما هو محمود، كدفع أهل الإيمان لأعدائهم،ومنه ما هو مذموم كمدافعة الكفار لأهل الإيمان.

٨- أن التدافع كما أنه موجود في الجواهر والأجسام، كذلك هو موجود في المعاني والأعراض.

٩- أن من صور التدافع ما هو جبري، ومنها ما هو باختيار الإنسان وإرادته.

١٠- أن الأسلوب القرآني حين يتعامل مع النفس الإنسانية، يتعامل معها بطبيعتها التي خلقها الله عليها، مراعياً فيها ما ركب فيها من غرائز وطبائع وميول، وهو يرتفع بها إلى أعلى منازل كمالها بتوجيهاته. مما يعطى الداعي إلى الله المنهج السوي في التعامل مع المدعوين.

١١- التدرج في الأسلوب القرآني مراعاة لحال الجماعة المسلمة، ومكانة الدين في نفوس الناس.

١٢- أن أسلوب القرآن عين ثرة، يستقي منها كل مؤمن كفايته في مخاطبة الكفار، ومجادلتهم وكشف حالهم ورد باطلهم، لمن فهم آيات القرآن وتأمل أسلوبه.

١٣- أن القرآن استخدم لفظ المجادلة في مخاطبة الكفار، ولم يستخدم الحوار.

١٤- أن أسلوب القرآن في دفع أهل الكفر والنفاق، يرسم الطريق لأهل الإيمان في كيفية التعامل معهم ومدافعتهم.

١٥- أن التدافع كما أن له صوراً سلمية، كذلك له صور قتالية حربية، وهي تحقق نفس الحكمة، ومنها الجهاد في ميادين القتال وتطبيق الحدود.

١٦- أن في التدافع الرقي والتقدم، لتعارض مصالح المتدافعين وتقاطعها، وذلك يؤدي إلى تطور الحياة والسعي إلى السبق فيها .






# موقف الناس من سنة التدافع

وفيــه أربعــة مباحــث :

- المبحث الأول: المؤمنـــــــون.
- المبحث الثاني: الكافـــــــرون.
- المبحث الثالث: المنافقـــــون.
- المبحث الرابع: الغافلـــــــون.

* *      * *      * *

## ۞ تمهيـــــد:

تتباين مواقف الناس تجاه القضايا المختلفة حسب خلفياتهم العقدية وتصوراتهم، فتتباين أفعالهم وتصرفاتهم على حسب ذلك، وتلك سنة من سنن الله في الناس أن جعلهم مختلفين، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴾ [هود:١١٨- ١١٩]، وفي القرآن الكريم يظهر ذلك جليا في تنوع الخطاب وتسجيل المواقف حسب تقسيم القرآن للناس إلى مؤمن وكافرومنافق ، وسنة التدافع من جملة القضايا المهمة التي اختلفت مواقف الناس تجاهها، متأثرة بالمعطيات العقدية والاتجاهات الفكرية. فحين نجد المؤمنين يقفون عند نصوص الوحيين بفهم السلف رحمهم الله، نجد غيرهم من المسلمين يتعامل مع تلك السنة متأثراً بلوثة فكرية، جعلته يجتزيء النصوص فيقف عند بعضها ويتعامى عن غيرها، أو يتعامل مع النصوص متجاوزاً فهم السلف رحمهم الله، معرضاً عن شاهد التاريخ، متصاماً عن صارخ الواقع الذي يوضح معنى النصوص، ويؤكد فهم السلف رحمهم الله. هذا بالنسبة للصف الإسلامي من المؤمنين والغافلين. أما المنافقون فقد سجل القرآن موقفهم من هذه السنة النابع من عقيدتهم المزدوجة بين الظاهر والباطن. كذلك سجل القرآن موقف الكفار الواضح الصريح من قضية التدافع.

وسأقصر حديثي في هذا الفصل على صورة من صور التدافع ومجالاته، وهي التدافع بين الحق والباطل بين المؤمنين وأعدائهم للأمور التالية:

١- أن التدافع بين الحق الباطل يعد المجال الأوضح من مجالات هذه السنة في القرآن الكريم، إذ شمل آيات عدة، بل يعد من الأهداف الرئيسة في عرض القصص القرآني، سواء للأنبياء مع أقوامهم، أو المؤمنين مع غيرهم.

٢- خطورة اللبس في هذا النوع من التدافع، مما قد يؤثر على موقف المسلم تجاه أعدائه، نتيجة لاختلال تصوره وبعده عن التصور الصحيح.

٣- ارتباط التصور الصحيح لهذا النوع من التدافع بعقيدة الولاء والبراء[(١)].

٤- محاولة الأعداء المتواصلة منهم أصالة، أو من أعوانهم وأياديهم داخل بلاد المسلمين نيابة، تغيير التصور الصحيح لدى المسلم لهذا النوع من التدافع، كخطوة من خطوات مشروعهم الماكر، الرامي إلى التغلب على المسلمين وإبعادهم عن دينهم والسيطرة على مقدراتهم، وذلك بعد تحسين صورتهم لدى المسلمين، بتغييب صورتهم الحقيقية وتخدير المسلمين بالشعارات التسويقية البعيدة عن الحقائق الشرعية، والمسيرة التاريخية ، والمشاهد الواقعية.

٥- ارتباط هذا النوع من التدافع بمجال الحياة الإنسانية وتأثيره فيه.

٦- وأخيراً: أن هذا النوع من التدافع بحاجة ماسة إلى البيان والإيضاح، حسب التصور الإسلامي، أما باقي الأنواع والمجالات للتدافع فغالبها بدهي لا يكلف العاقل إلا أن يتأمل في نفسه، أو يتدبر حوله أو يلقي نظرة على مسيرة التاريخ الإنساني.



(١) انظر: حوار الحضارات وطبيعية الصراع بين الحق والباطل د/ موسى الإبراهيم (١٠٣).

# المبحث الأول: المؤمنـــون

سبقت الإشارة إلى ارتباط التدافع بين الحق والباطل بركن عقدي مهم هو الولاء والبراء، إذ يعد من الثوابت الشرعية في طبيعة العلاقة بين المسلمين وأعدائهم، لذا فإن المرجع الصحيح لدراسة هذه الصورة من التدافع لابد أن يكون القرآن الكريم والسنة النبوية، مع ضرورة أن يكون ذلك في ضوء السيرة النبوية للمصطفى ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين؛ لأنهما التطبيق العملي لنصوص الوحيين.

وقد بين القرآن الكريم منهج المؤمنين في التعامل مع مثل هذه القضايا المهمة، فرسم لهم الطريق الصحيح في ذلك بالوقوف عند النص وعدم تجاوزه.

قال تعالى: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣].

وقال: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ ﴾ [النور:٥١].

وقال:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٦].

فبين سبحانه أنه لا يليق بمن اتصف بالإيمان إلا امتثال أمر الله ورسوله، واجتناب نهيهما، وأنه لا يليق بمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمر حتم وإلزام، أن يروا أن لهم الخيار في اعتقاده أو عدمه أو فعله أو عدمه، وأن من فعل ذلك فقد انحرف انحرافا واضحاً عن طريق الإيمان واستوجب على ذلك العقاب الأليم[١]، والتاريخ الإسلامي ابتداء بالرعيل الأول من الصحابة ﷺ ثم من بعدهم من أهل الإيمان، يعد الجانب العملي الذي يوضح أطر هذا المنهج الرباني في المنظور الإسلامي، لتحديد قضية المرجعية في مثل هذه الثوابت الهامة جداً .

(١) انظر: تفسير السعدي (٦٦٥).

لذا فسأكتفي في بيان موقف المؤمنين من قضية التدافع بين الحق والباطل، بذكر حقائق القرآن والسنة الكاشفة عن ذلك، وسأوزع تلك النصوص تحت ثلاثة محاور يتضح من خلالها موقفهم من سنة التدافع هي:

١- دوام التدافع واستمراره .

٢- الحامل على دوام التدافع .

٣- التحذير من ترك التدافع والنكوص عنه .

## أولاً: دوام التدافع واستمراره:

قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ ﴾ [البقرة:١٢٠].

هذه الآية نص يتحدث عن نفسه في طبيعة العلاقة بين المؤمنين وأعدائهم من اليهود والنصارى، وهي التدافع المستمر كنتيجة حتمية لعدم الرضى، إلا بتخلي المؤمنين عن دينهم الذي تميزوا به، قال الطبري ~: ( وليست اليهود يا محمد، ولا النصارى، براضية عنك أبدا، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق )[1]. والخطاب في الآية للنبي ﷺ، إلا أنه تأديب لأمته،ليتأدب به المؤمنون، فلا يوالون الكافرين فإنهم لا يرضيهم منهم إلا اتباع ملتهم ودينهم، وأما ما يظهرونه من الميل وطلب المهادنة والوعد بالموافقة، فإنما هو من باب المخادعة. ووحدت الملة مع كونهما ملتين واحدة لليهود والأخرى للنصارى، لأن كليهما كفر والكفر ملة واحدة[2].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ ﴾ [البقرة:٢١٧].

فهاتان الآيتان هذه والتي قبلها تنتظم أصناف الكفار جميعاً، سواء كانوا من أهل الكتب السابقة، أم كانوا من أهل الشرك كما في هذه الآية على ما دل عليه

(١) تفسير الطبري (٥٦٥/١) .

(٢) انظر: البحر المحيط (٥٣١/١) .

سياق الآية وسبب نزولها. وهي نص على دوام عداوة الكفار للمسلمين وتدافعهم معهم، وأنهم لا ينفكون عن ذلك، حتى يردوهم عن دينهم، وحتى هنا واقعة موقع التعليل لتلك العداوة وذلك التدافع، كقولك: فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة، فيكون المعنى: يقاتلوكم ويدافعوكم كي يردوكم، ذكره الزمخشري[1] .

وقال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ ﴾ [البقرة:١٩٣]، وفي الأنفال بزيادة ﴿ كُلُّهُۥ ﴾ [الأنفال:٣٩].

فيأمر الله تعالى المؤمنين بمداومة مدافعة الكافرين، بذكر أعلى صورة من صور التدافع، وهي المقاتلة وطلبها، حين يكون ذلك في مقدور المؤمنين، لتبقى باقي صور المدافعة قائمة في كل وقت بين المؤمنين وأعدائهم، حتى تظهر المفاصلة ويتضح الحق، كما قال تعالى حين أمر المؤمنين بموالاة إخوانهم في الدين، وقطع الموالاة بينهم وبين الكافرين محذراً: ﴿ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾ [الأنفال:٧٣]، أي: إن لم تجانبوا المشركين وتدافعوهم، وتوالوا المؤمنين، وإلا وقعت الفتنة في الناس، وهي التباس الأمر، واختلاط المؤمنين بغيرهم وتعايشهم معهم بدون تميز، فيقع بين الناس فساد عريض باختفاء وجه الحق حين يلتبس به الباطل[2]، ويذكر تعالى في الآيتين الغاية من تلك المدافعة وأجلها الذي تنتهي إليه، وهي انتفاء تسلط الكفر والشرك، وما يتبعه من أذى يوقعه أهل الكفر على المؤمنين ليفتنوهم عن دينهم، لأن أصل الفتنة: الإختبار والإمتحان ذكره القرطبي[3]، أو وقوفهم في طريق الإسلام بالصد عن سبيله والإكراه على المعتقد. حينها يكون لدين الله الظهور والعلو على سائر الأديان، فيكون له الشرع والطاعة في الأرض، وينتهي الأجل المحدود بكون الدين لله [4] .

(١) انظر: الكشاف (١٢٧) .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٩٨/٤) .

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٣٥٤/٢)، تفسير الطبري (٢٤٥/٦) .

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٠٠/٢) (٢٤٥/٦)، المحرر الوجيز (١٧٠)(٨٢١)، تفسير ابن كثير =

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٤٩].

نهي من الله تعالى عن طاعة الكافرين فيما يأمرون به أو ينهون عنه، وتحذير من أن عاقبة طاعتهم الكفر بعد الإيمان، وتحول الأمر إلى الخسران، وذلك مستلزم للأمر بدوام مدافعتهم، قال الطبري ~: (ينهى بذلك أهل الإيمان أن يطيعوا أهل الكفر في آرائهم وينتصحوهم في أديانهم، فيحملوهم حينئذ على الردة بعد الإيمان، والكفر بالله وآياته وبرسوله بعد الإسلام)[1].

وقال ابن عطية ~: ( واللفظ يقتضي كل كافر كان في ذلك الوقت ويكون إلى يوم القيامة، نهى الله المؤمنين عن طاعتهم ) [2].

وقال تعالى: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [المائدة:٨٢- ٨٤].

هذه الآيات الكريمة مما يكثر الاستشهاد بها بحق أحياناً، وبغير حق أحياناً أخرى، ليستدل بها البعض على قرب النصارى بإطلاق من أهل الإيمان، فيروجوا بذلك دعوات لهم إلى التقارب والتعايش المطلق معهم مما يستلزم تمييع عقيدة الولاء والبراء وذوبان الهوية الإسلامية وإزالة الفوارق الشرعية بين المسلم وغير المسلم. فيقفون على نصف الآية ويتركون باقيها وما بعدها الذي يجلي معناها ويوضح المراد منها، وبتأمل الآيات والرجوع إلى أقوال أئمة التفسير يمكن

= (٥٣٠/١)، (٥٦/٤).

(١) تفسير الطبري (٤٦٧/٣).

(٢) المحرر الوجيز (٣٦٧).

الوصول إلى ما يلي:

١- أن الله تعالى يخبر في هذه الآيات عن عداوة أصناف الكفار للمؤمنين، سواء كانوا يهوداً أو مشركين أو نصارى. والآية وإن رتبت العداوات لكل من هؤلاء بالنسبة للمؤمنين، فجعلت أشدهم اليهود والمشركين، إلا أن الله تعالى لم يصف النصارى بأنهم أهل ود للمؤمنين، وإنما وصفهم بأنهم أقرب من اليهود والمشركين، فهو قرب بالنسبة إلى متباعدين[1]، كلاهما يحمل عداوة للمؤمنين.

٢- بالنظر إلى الفعل المستعمل في قول النصارى ( قالوا )، وهو فعل ماض دال على الحدوث في زمن مضى، يمكن القول بأن الآية خاصة بمن نزلت فيهم، على اختلاف بين أهل التفسير في تحديدهم، وإلى هذا ذهب بعض أهل التفسير، وعليه قد يحمل قول الإمام الطبري ~ حيث قال: ( والصواب في ذلك من القول عندي: أن الله تعالى وصف صفة قوم قالوا: (إنا نصارى) أن نبي الله يجدهم أقرب الناس وداداً لأهل الإيمان بالله ورسوله، ولم يسم لنا أسماءهم. وقد يجوز أن يكون أريد بذلك أصحاب النجاشي، ويجوز أن يكون أريد به قوم كانوا على شريعة عيسى، فأدركهم الإسلام فأسلموا لما سمعوا القرآن وعرفوا أنه الحق، ولم يستكبروا عنه )[2]. وأصرح منه ما ذهب إليه أبو بكر الرازي، كما نقله عنه أبو حيان حيث قال: ( من الجهال من يظن أن في هذه الآية مدحاً للنصارى، وإخباراً بأنهم خير من اليهود، وليس كذلك؛ لأن ما في الآية من ذلك إنما هو صفة قوم قد آمنوا بالله وبالرسول ﷺ، يدل عليه ما ذكره في نسق التلاوة من إخبارهم عن أنفسهم بالإيمان بالله وبالرسول )[3].

٣- أن الآية لم تهمل إدعاء مدعي النصرانية، بل عقبت بالوصف الدال على حقيقة تنصرهم، من الخشية والانقطاع إلى الله وعبادته وإن لم يكونوا على هدى،

(١) انظر: المحرر الوجيز (٥٦٩).

(٢) تفسير الطبري (٥/٥).

(٣) البحر المحيط (٨/٤).

والرقة والرأفة إذ كانوا على شيء من دين المسيح؛ ليكون هذا الوصف شاملاً لكل من اتصف به سواء من نزلت الآية بخصوصهم، أو من بعدهم كما هو قول عامة المفسرين[1]، إذا العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، قال ابن كثير ~ : ( وقوله: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ أي: الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح وعلى منهاج إنجيله، فيهم مودة للإسلام وأهله في الجملة، وما ذاك إلا لما في قلوبهم، إذ كانوا على دين المسيح من الرقة والرأفة، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ [الحديد:٢٧]، وفي كتابهم: من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر. وليس القتال مشروعاً في ملتهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ )[2].

٤- أن الخاتمة التي ختم بها المقطع واضحة في التفريق بين خاتمة من صدق برسالة النبي ﷺ ودخل في الإسلام، وبين من كذب وكفر. وفي ذلك دليل على تفاوت مواقف النصارى تجاه دين الإسلام والمسلمين، بين القبول والإذعان والتسليم، وبين الرد بكف أو الرد بمدافعة، وهو المتسق مع مواقفهم في الواقع، والمتفق مع منهج الإسلام في التعامل مع غير المسلمين، وهذا يدل على ضعف قول من عمم حكم رأس الآية، وزعم أن النصارى جميعاً أقرب مودة للذين آمنوا.

**ومن الآيات الدالة على دوام التدافع واستمراره أيضاً:**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران:١١٨].

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ﴾ [آل عمران:١٨٦].

(١) انظر: الكشاف (٣٠٥)، المحرر الوجيز (٥٦٨)، تفسير القرطبي (٢٥٩/٦).

(٢) تفسير ابن كثير (١٦٧/٣) .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ ﴾ [النساء:٤٤- ٤٥].

﴿ وَقَـٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ ﴾ [التوبة:٣٦].

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ ﴾ [الفتح:٢٨] [الصف:٩].

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة:٢٢].

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ [الممتحنة:٤].

## أما الأحاديث فكثيرة ومنها على سبيل المثال:

ما رواه البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة ﷺ ، عن النبي ﷺ قال: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون )[(١)].

وروى مسلم عن عقبة بن عامر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله، قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم، حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك )[(٢)].

قال النووي ~: (وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة، فإن هذا الوصف ما زال

(١) البخاري واللفظ له. كتاب: الإعتصام بالسنة. باب: قول النبي ﷺ ( لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون ) وهم أهل العلم (٧٣١١). مسلم. كتاب: الإمارة. باب: قوله ﷺ : ( لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ) (١٩٢١) .

(٢) مسلم في الباب السابق (١٩٢٤).

بحمد الله تعالى من زمن النبي ﷺ إلى الآن، ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث)[1].

وقال شيخ الإسلام ~: ( عقد سبحانه الموالاة بين المهاجرين والأنصار، وبين من آمن بعدهم وهاجر وجاهد إلى يوم القيامة، والمهاجر : من هجر ما نهى الله عنه، والجهاد باق إلى يوم القيامة ) [2].

وقال ابن حجر ~: ( وفيه بشرى ببقاء الإسلام وأهله إلى يوم القيامة، لأن من لازم بقاء الجهاد، بقاء المجاهدين وهم المسلمون ) [3].

وروى النسائي عن سلمة بن نفيل الكندي [4] رضي الله عنه قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ ، فقال رجل: يا رسول الله، أذال [أي: أهان] أناس الخيل، ووضعوا السلاح، وقالوا: لا جهاد، قد وضعت الحرب أوزارها، فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه وقال: (كذبوا، الآن الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة) [5].

وروى الإمام أحمد في مسنده عن النبي ﷺ قال: (إنكم تقولون لا عدولكم، وإنكم لا تزالون تقاتلون عدواً حتى يأتي يأجوج ومأجوج، عراض الوجوه صغار العيون صهب الشفاه من كل حدب ينسلون، كأن وجوههم المجان المطرقة) [6].

---

(١) شرح مسلم للنووي (٩٧/١٣).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١٦٢/١).

(٣) فتح الباري (٦٧/٦).

(٤) صحابي جليل ذكره ابن حجر في الإصابة (٣٦٤٢).

(٥) النسائي واللفظ له، كتاب: الخيل. باب: الأول (٣٥٦٣). أحمد في حديث سلمة بن نفيل السكوني، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٣٥) .

(٦) أحمد واللفظ له عن ابن حرملة عن خالته (٢٢٦٨٧). ابن أبي حاتم في في تفسير سورة الأنبياء، من حديث حذيفة رضي الله عنه (١٣٧٢٩). قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح (١٣/٨) .

وروى البزار عن نهيك بن صُريم السكوني [1] ﷺ قال: قال رسول الله : (لتقاتلن المشركين حتى يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردن، أنتم شرقية وهم غربية) قال الراوي: ولا أدري أين الأردن يومئذ[2].

فهذه النصوص وغيرها كثير، تدل دلالة واضحة على حتمية الصراع واستمرار التدافع بين أهل الإسلام وأعدائهم إلى يوم القيامة، وأن ذلك سنة ربانية باقية ما بقي حق وباطل، وأن الدعوات المتتالية بحلم سلام عالمي تذوب فيه الفوارق وينتشر فيه الصفاء والإخاء تحت مظلة واحدة مع تمسك كل بعقيدته، ما هي إلا دعوات مستهلكة تهدمها الأحداث المتجددة كل يوم لصور من الصراع والتدافع، لتسفي عليها رياح الزمان بسافيها.

## ثانياً: الحامل على دوام التدافع:

إن من يتأمل الآيات القرآنية التي ورد ذكر لأعداء الإسلام فيها، يجد أن جملة منها قد أشارت إلى الأسباب الحاملة على دوام التدافع بينهم وبين أهل الإسلام، سواء ما يتعلق بالجانب الاعتقادي لديهم، أو ما يتعلق بالجانب السلوكي النابع من تصورهم واعتقادهم. ومن تلك الآيات:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ ﴾ [البقرة:١١١].

وقوله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ ﴾ [البقرة:١١٣].

فهاتان الآيتان مع ما دلتا عليه مما ذكره أهل التفسير[3] من تضليل كل من

(١) صحابي جليل ذكره ابن حجر في الإصابة (٩١٧٧).

(٢) البزار. وقال الهيثمي في المجمع: رجال البزار ثقات (٦٦٨/٧)، وضعفه الألباني في الضعيفة رقم (١٢٩٧)، لكن يشهد له باقي الأحاديث.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥٤٣/١) .

اليهود للنصارى والنصارى لليهود، إلا أنه يمكن أن يضاف إلى ذلك أن فيهما إشارة إلى اعتداد كل منهما بما لديه، واعتقاده أنه على الحق وغيره على الباطل، وإن كان ذلك بغير حق كما عرض الله بهم في قوله ﴿ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾، فكتبهم ناطقة بخلاف اعتقادهم (شاهدة توراتهم ببشارة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وصحة نبوتهما. وإنجيلهم شاهد بصحة نبوة موسى ومحمد ﷺ ، إذ كتب الله يصدق بعضها بعضاً)[1]. فاعتقاد كل منهم صحة ما لديه وضلال غيره، يقوي تمكسه به ومدافعته من أجله.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ [آل عمران:٩٩].

وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الأنفال:٣٦].

وقال: ﴿ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ [إبراهيم:٢- ٣].

وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [محمد:١].

يكشف الله تعالى في هذه الآيات عن سلوك للكفار على اختلاف مللهم لا يفترون عنه، وهو بذلهم ما في وسعهم للوقوف في وجه من يريد الحق بصده عنه، وحرصهم الشديد المصحوب بالعمل الدءوب على إضلال أهل الإسلام عن دينهم بإخراجهم منه، وذلك بما يلقونه من شبهات، ويبثونه من شكوك، بل والدعوة الصريحة إلى الكفر بعد الإسلام، وتحويل المسلمين إلى النصرانية أو غيرها من المذاهب الضالة كالرفض وغيره، والذي يقف على جهود النصارى المبذولة للتنصير، والأموال الطائلة المصروفة في ذلك[2]، يجد مصداق وصف الآية بواقع

(١) البحر المحيط (٥٠٨/١).

(٢) انظر: كتاب حرب التنصير في أفريقيا، جبر الله عمر الأمين. وملف: التنصير هل أصاب الهدف، مجلة البيان، عدد (١٥٣). وكتاب: الغارة على العالم الإسلامي، أل شاتليه، تعريب: =

يحاكيه حذو القذة بالقذة. قال ابن كثير ~ : (هذا تعنيف من الله لكفرة أهل الكتاب، على عنادهم للحق، وكفرهم بآيات الله، وصدهم عن سبيله من أراده من أهل الإيمان بجهدهم وطاقتهم)[1]. ولا شك أن سلوكهم هذا يثير في أهل الإسلام الغيرة على دينهم، والحرص على إخوانهم، مما يستلزم أنواعاً وصوراً من المدافعة، وهو من أعدائهم كذلك.

وقال تعالى: ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ ﴾ [آل عمران:١٨٦]، إخبار من الله تعالى مؤكد بأنواع من المؤكدات: باللام والنون، واستعمال للفعل المضارع الدال على الحدوث والتجدد في المستقبل، بسلوك للكفار على اختلاف أصنافهم، وهو إيقاع الأذى بالمؤمنين حتى بألسنتهم، من سب لله ورسوله ﷺ ودين الإسلام والمسلمين. فأذاهم للمؤمنين ليس مقصوراً على القتل والصد، بل هو بكل ما يمكن أن يصلوا إليه حتى الأذى النفسي للمؤمنين، بانتقاص حقهم أو الطعن في مقدساتهم،وذلك سلوك متواصل منهم (فبين أن الكفار بعد أن آذوا الرسول والمسلمين يوم أحد، فسيؤذونهم أيضاً في المستقبل بكل طريق يمكنهم) [2]، وهذا منهم سبب في تجدد التدافع معهم والمواجهة لهم من المسلمين. ومثله ما وسم الله به أهل الكتاب وغيرهم من الكفار بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ ﴾ [المائدة:٥٧]، (فوسمهم بوسم يحمل النفوس على تجنبهم، وذلك اتخاذهم دين المؤمنين هزؤاً ولعباً، والهزء: السخرية والإزدراء)[3].

فحث الله المؤمنين على أن فعلهم ذلك (لا يصح أن يقابل باتخاذكم إياهم

= محب الدين الخطيب .

(١) تفسير ابن كثير (٨٥/٢).

(٢) التفسير الكبير (٤٥٣/٣).

(٣) المحرر الوجيز (٥٥٦).

أولياء، بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة) [1] والمدافعة.

وقال تعالى: ﴿ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلاًّ وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨ ﴾ [التوبة:٨]، فهذا وصف وصف الله به صنفاً من الكفار في هذه الآية وهم المشركون، كما يدل عليه السياق واتفق عليه كلام أهل التفسير. وهو أنهم لا يرعون (في مؤمن الله ولا قرابة ولا عهداً ولا ميثاقاً) [2]، بل إنهم لو ظهروا عليكم وغلبوكم لفعلوا بكم الأفاعيل، من غير مراعاة لشيء قائم بينكم وبينهم فهم لشدة ما يكنون لكم من البغضاء، يتجاوزون كل حد في التنكيل بكم لو قدروا عليكم، ولا يمنعهم من الوقيعة بكم أن تكون بينكم وبينهم عهود أو مواثيق، إنما يمنعهم عدم قدرتهم عليكم في حال قوتكم وضعفهم. عند ذلك إنما يكون الإرضاء لكم بالأفواه بالقول اللين والتظاهر بالوفاء بالعهد، لكن قلوبهم تنغل حسداً لكم، وتأبى أن تستمر في عهد معكم[3].

وهذا الوصف في الآية وإن كان للمشركين إلا أنه ينطبق أيضاً على أهل الكتاب، بل إن الحقيقة التي لا يشك فيها عاقل له اطلاع ولو بسيط على موقف أهل الكتاب، الذي سطره القرآن أو رصده المؤرخون على مدى التاريخ من المؤمنين، هي (أن المعركة الطويلة الأمد، لم تكن بين الإسلام والشرك، بقدر ما كانت بين الإسلام وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، ولكن هذا لا ينفي أن موقف المشركين من المسلمين كان دائماً هو الذي تصوره) [4] هذه الآية.

فهذا السلوك من أعداء الإسلام، وهذا الرصد الرباني الدقيق لما تنطوي عليه قلوبهم تجاه أهل الإيمان، يعد مغذياً للتدافع دالاً على استمراره.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم

(١) الكشاف (٢٩٧).

(٢) تفسير الطبري (٣٢٦/٦).

(٣) انظر: في ظلال القرآن (١٦٠٥/٣).

(٤) المصدر السابق (١٦٠٧/٣).

بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ [الممتحنة:١].

هذه آية جامعة، جمعت الأسباب التي تحمل أهل الإسلام على مدافعة أعدائهم. يحرض الله ﷻ فيها أهل الإيمان على مدافعة أعدائهم الذين يفعلون كل ما يثير أهل الإيمان عليهم. فهم كفروا بالله ورسوله ودين الحق الذي آمن به أهل الإيمان، وآذوا المؤمنين بكل ممكن، من إخراج لهم من ديارهم وتشريدهم من أوطانهم، أو بقتلهم وإتلافهم، كما قال تعالى في سورة البروج: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ﴾ [البروج:٤- ٨]، ولا ذنب لهم في ذلك عندهم، إلا أنهم آمنوا بالله ربهم. فنهى الله أهل الإيمان عن موالاتهم، إذ توليهم والحال هذا (مناف للإيمان، ومخالف لملة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ومناقض للعقل الذي يوجب الحذر كل الحذر من العدو، الذي لا يبقى من مجهوده في العداوة شيئاً، وينتهز الفرصة في إيصال الضرر إلى عدوه)[١] من المؤمنين.

## ثالثاً: التحذير من ترك التدافع والنكوص عنه:

إن قيام أهل الإيمان بفريضة التدافع مع أعدائهم، يعد مؤشرا على مدى وعي المؤمنين بالواجب عليهم تجاه دينهم من ناحية، وأنفتهم وتعززهم وحرصهم على المحافظة على خصوصياتهم ومميزاتهم وعدم التنازل عن مقدراتهم وثرواتهم من ناحية أخرى، وذلك بيقضتهم لعدوهم ورصد تحركاته وإفشال مخططاته؛ لذا فإن تأثير أعداء المسلمين وسيطرتهم عليهم، إنما يكون على قدر ضعفهم عن مدافعته. وقد جاءت النصوص من القرآن والسنة محذرة أهل الإيمان من ترك مدافعة أعدائهم أو ضعفهم عنها، لضمان سلامتهم ومحافظتهم على تميزهم، ومن تلك النصوص:

(١) تفسير السعدي (٨٥٥).

قوله تعالى: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [آل عمران:١٢٠].

فبعد أن نهى الله المؤمنين عن موالاة أعدائهم، أو اتخاذهم بطانة دون أهل الإيمان، لما تنطوي عليه قلوبهم من العداوة للمؤمنين، تأتي هذه الآية كاشفة (لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير، ويشمتون بهم فيما أصابهم من الشدة) (١). ثم يرشد الله سبحانه المؤمنين إلى ما يضمن لهم السلامة من كيد عدوهم، بأن (تصبروا أيه المؤمنون ، على طاعة الله واتباع أمره فيما أمركم به، واجتناب ما نهاكم عنه، من اتخاذ بطانة لأنفسكم من هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم من دون المؤمنين، وغير ذلك من سائر ما نهاكم، وتتقوا ربكم، فتخافوا التقدم بين يديه فيما ألزمكم وأوجب عليكم من حقه وحق رسوله) (٢). هذا ما دلت عليه الآية بمنطوقها، وهي دالة بمفهومها على أن ترك مدافعة الكفار بالركون إليهم وموالتهم،وعدم الصبر على ذلك خروج عن تقوى الله، موجب لإلحاق ضرر أولئك الكفار بأهل الإيمان.

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ ﴾ [النساء:١٤٤].

يحذر الله تعالى في هذه الآية من ترك مدافعة الأعداء باتخاذهم أولياء، فـ (ينهى تعالى عباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، يعني مصاحبتهم ومصادقتهم ومناصحتهم وإسرار المودة إليهم، وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم) (٣). وأنهم بفعلهم ذلك المقابل لما أوجب عليهم سبحانه من مدافعة الأعداء وترك توليهم، قد جعلوا لله عليهم سلطانا، (والمعنى: أنه يسلط عليكم

(١) الكشاف (١٩٢).

(٢) تفسير الطبري (٣/٤١٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٤٤٢).

بسبب اتخاذكم الكفار أولياء). [١] فله سبحانه (حجة عليكم في عقوبته إياكم) [٢]، ويبقى لفظ التهديد من الله مطلقاً، ليذهب بعقل المؤمن وقلبه كل مذهب في نوع العقوبة ووصفها، لكن مالا شك فيه أنه يشمل الدنيا والآخرة.

وقال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة:٥١].

فهذه الآية نصت على جزء من العقوبة المطلقة في الآية السابقة [النساء: ١٤٤] وهي حكم من تولى عن مدافعة الكفار بموالاتهم، كما دلت الآية الأولى [آل عمران: ١٢٠] على نوع آخر من العقوبة بترك مدافعتهم، وهو لحوق ضررهم بأهل الإيمان، دلت هذه الآية على (نهي المؤمنين جميعاً أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصاراً وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله وغيرهم، وأخبر [أن] من اتخذهم نصيراً وحليفاً من دون الله ورسوله والمؤمنين، فإنه منهم في التحزب على الله وعلى رسوله والمؤمنين، وأن الله ورسوله منه بريئان) [٣]. فحين تتركون مدافعتهم الواجبة، فتتخذونهم (أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين) [٤].

فحكم الله فيمن فعل ذلك أنه (من جملتهم وحكمه حكمهم. وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله) [٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [هود:١١٣].

---

(١) البحر المحيط (٥٣٨/٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٤٢/٢).

(٣) تفسير الطبري (٦١٦/٤).

(٤) الكشاف (٢٩٤).

(٥) المصدر السابق .

الركون: السكون إلى الشيء والرضاء به، والإذعان، قاله: ابن عطية ~ [1]، وهو بهذا المعنى مقابل للتدافع. وقال ابن جرير ~: ( يقول تعالى ذكره: ولا تميلوا أيها الناس، إلى قول هؤلاء الذين كفروا بالله، فتقبلوا منهم وترضوا أعمالهم، فتمسكم النار بفعلكم ذلك، وما لكم من دون الله من ناصر ينصركم وولي يليكم، ﴿ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾، يقول: فإنكم إن فعلتم ذلك، لم ينصركم الله، بل يخليكم من نصرته ويسلط عليكم عدوكم ) [2].

ومن الآيات في ذلك أيضاً:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾[الأنفال:٧٣].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ۝ ﴾ [الممتحنة:١- ٢].

أما الأحاديث النبوية التي حذرت من ترك مدافعة الكفار وجهادهم فكثيرة، ومنها على سبيل المثال:

ما رواه الإمام أحمد عن ابن عمر ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا ظن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعين، واتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، أنزل الله بهم بلاء فلم يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم ) [3]. وهو عند أبي داود عنه بلفظ: ( إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع،

(١) انظر: المحرر الوجيز (٩٧٤).

(٢) تفسير الطبري (١٢٣/٧).

(٣) أحمد في مسند عبد الله بن عمر { (٤٨٢٥). قال ابن حجر في بلوغ المرام: رجاله ثقات ص(٣٤٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١) .

وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم )[1].

فالنبي ﷺ يحذر أمته من ترك المدافعة والجهاد، ويعد ذلك سبباً موجباً لذل وقهر الأعداء. يلزم منه حصول الضرر المتحقق عليهم، لأن تركهم لذلك يفقدهم توازنهم في الحياة وتميزهم وبقاء عزتهم.

والمتأمل في هذا الحديث، يلحظ أن النبي ﷺ ذكر أموراً اتصفوا بها، دالة على شدة تعلقهم بالدنيا وإهمال أمر الآخرة، أدت بهم إلى ترك الجهاد والمدافعة وهي:

أ- حرص على الدنيا التي عبر عنها في الحديث بأهم ما يتعلق به من زخرفها الدينار والدرهم، حملهم على البخل في إنفاق ذلك في ابواب الخير، ومن ألزمها الجهاد في سبيل الله.

ب- تلبس بالخيانة وقلة الأمانة، حملهم على سلوك مسالك محرمة، لإشباع ما حرصوا عليه.

جـ- اشتغال بالحرث والزرع عما هو أصلح لهم ولدينهم وأنفع، وهو الجهاد في سبيل الله ومدافعة الأعداء، وقد حكم الله على هذا المسلك بالتهلكة في قوله: ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة:١٩٥]. فقد روى الترمذي عن أسلم أبي عمران قال: قال أبو أيوب : يا أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار.

لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله ﷺ : إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا، فأصلحنا ما ضاع منها. فأنزل على نبيه ﷺ يرد علينا ما قلنا ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾، فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا

(١) أبو داود واللفظ له. كتاب: البيوع والإجارات. باب: في النهي عن العينة (٣٤٦٢). أبو يعلى في مسند ابن عمر { (٥٦٤٧). وضعفه ابن حجر كما في الدراية تخريج أحاديث الهداية (١٥١/٢) قال: وله عند أحمد إسناد آخر أجود وأمثل منه. قلت: هو السابق.

الغزو، فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم[1].

وهذه الأمور تدل بمجموعها على انحراف شديد عن المنهج الرباني الذي جاء به الإسلام، سواء في خاصة أنفسهم على مستوى الأفراد، أو في تعاملاتهم فيما بينهم على المستوى الاجتماعي، أو في مجال عملهم من أجل دينهم وتضحيتهم من أجل عقيدتهم وتفريطهم على مستوى الأمة. وهم بذلك فقدوا تميزهم، فسلط عليهم الأعداء حين استسلموا لأهوائهم وتركوا المدافعة.

وروى مسلم عن أبي هريرة ﷺ ، قال: قال رسول الله ﷺ: (من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من نفاق )[2].

وروى ابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من لقي الله وليس له أثر في سبيله، لقي الله وفيه ثلمة)[3].

وروى الطبراني عن أبي بكر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (ما ترك قوم الجهاد في سبيل الله إلا عمهم الله بالعذاب)[4].

فهذه الأحاديث وغيرها من أحاديث الجهاد والتغليظ في تركه، تحذر من ترك مدافعة الكفار، ويكفي في بيان معانيها والكشف عن مدلولاتها، الواقع الذي تعيشه

(١) الترمذي واللفظ له. كتاب: تفسير القرآن. باب: ومن سورة البقرة. وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب (٢٩٧٢). أبو داود. كتاب: الجهاد. باب: قوله تعالى: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) (٢٥١٢)، وصححه الحاكم (٣١٤٢)، والألباني في السلسلة الصحيحة (١٣) .

(٢) مسلم. كتاب الإمارة. باب: ذم من مات ولم يغزو، ولم يحدث نفسه بالغزو (١٩١٠) .

(٣) ابن ماجه واللفظ له. : كتاب الجهاد. باب: التغليظ في ترك الجهاد (٢٧٦٣). الترمذي. كتاب: فضائل الجهاد. باب: ما جاء في فضل المرابط (١٦٦٦). وقال: هذا حديث غريب. وصححه الحاكم (٢٤٦٧) .

(٤) الطبراني في الأوسط (٣٨٣٩). قال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني في الأوسط، عن شيخه علي بن سعيد الرازي، قال الدارقطني: ليس بذاك، وقال الذهبي: روى عنه الناس (٥/٥١٧)، وقال ابن حجر في مختصر الترغيب والترهيب: رواه الطبراني بسند حسن ص(١٢٥) .

الأمة في هذا الزمان، وما تعانيه من الذل والقهر من أعدائها، حين تركت ما أمرت به من الجهاد مصداق ما حذر منه النبي ﷺ .



# المبحث الثاني: الكافـــرون

لعل من المناسب التثنية بذكر موقف الكفار من قضية التدافع بينهم وبين أهل الحق، بعد عرض ما سبق في المبحث السابق، الكاشف عن حقائق القرآن والسنة المبينة لموقف المؤمنين من هذه القضية المهمة، ليتضح للمطلع بعد استعراض ما سبق، الجواب عن سؤال مهم سنحتاج إليه عند حديثنا عن موقف الغافلين، وهو:

هل كان في موقف الإسلام من أعدائه ظلماً أو تجنياً حمل بعض المنهزمين على التخلي عن ذلك أو الاستحياء من الصدع والتصريح به ؟

أم أن الحقيقة في موقف أعداء الإسلام من الإسلام، كما يؤكده الواقع الممتد بعمر الإسلام، بل حتى في الزمان الغابر بعمر الرسل والرسالات، أن الكفار هم من يقف في وجه الحق ويعاديه ويحاربه، ولا يقبل الإيمان به. مع كونه دين الله الموافق للعقل الصحيح والفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، بل لا يقبل حتى فسح المجال للإسلام وتركه والناس، فضلاً عن الخضوع له والعيش تحت حكمه ودفع الجزية له غالبا. وذلك لأنه ينسف مبادئ الكفر ويهدم أسسه التي قامت على الظلم والجور والطغيان، وتعبيد الناس للناس.

وحتى يتضح موقف الكفار من قضية التدافع مع أهل الحق، فسيدور حديثي حول المحاور التالية:

١- آيات كاشفة عن موقف الكفار .

٢- نصوص لدى الكفار تغذي التدافع مع أهل الحق .

٣- مواقف من التاريخ تؤكد عداء الكفار للمسلمين وتدافعهم معهم .

## أولاً: آيات كاشفة عن موقف الكفار:

إن الله ﷻ يبيّن طبيعة موقف الكافرين من المسلمين في عدة مواضع من كتابه الكريم، ذلك الموقف الحافز على التدافع مع المسلمين، فيتحدث عن أهل الكتاب وحدهم تارة، وتارة يجمعهم مع الذين كفروا من المشركين، باعتبار أن هناك وحدة هدف تجمع الذين كفروا جميعاً، سواء من أهل الكتاب أو غيرهم تجاه الإسلام والمسلمين، وتارة يكون الحديث عن مواقف واقعية تكشف تلك الوحدة في الهدف بينهم. لكن الملاحظ أن التقريرات القرآنية الواردة في كل ذلك، تدل على طبيعة دائمة لا على وصف حالة مؤقتة، طبيعة أصيلة في علاقتهم بالمسلمين(١)، ومن تلك الآيات:

قوله تعالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة:١٠٥].

أخبر ﷻ عن عداوة اليهود والنصارى وغيرهم من المشركين للمؤمنين، وأنهم من شدة عداوتهم يتمنون أن لا يصل إلى أهل الإسلام خير، قليلاً كان أو كثيراً، حسداً منهم وبغضاً أن يختصهم الله بشيء من فضله(٢).

ثم إنهم جميعاً يودون لو يرجع المسلمون كفاراً، كما قال تعالى عن أهل الكتاب:

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة:١٠٩].

وقال: ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾ [آل عمران:٦٩].

وقال: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران:٧٢].

(١) انظر: في ظلال القرآن (١٦٢٥/٣).

(٢) انظر: تفسير السعدي (٦١).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٠٠].

وقال سبحانه: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النساء:٤٤].

وقال سبحانه عن المشركين: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ ﴾ [البقرة:٢١٧].

والقرآن يحدد موقف أهل الكتاب من المسلمين، بإصرارهم على أن يكونوا يهوداً أو نصارى، وأنهم لا يرضون عنهم ولا يسالمونهم إلا أن يتحقق هذا الهدف ، فيترك المسلمون عقيدتهم:

قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ ﴾ [البقرة:١٢٠].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ ﴾ [البقرة:١٣٥].

وهم دائماً يقفون في صف المشركين ضد أهل الإسلام، فهاهم يشهدون للمشركين الوثنيين بأنهم أهدى سبيلاً من المؤمنين، مع علمهم بخيانتهم في شهادتهم، كما قال تعالى عنهم: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلاً ﴿٥١﴾ ﴾ [النساء:٥١].

ومن الآيات التي توضح علاقة الكفار بالمسلمين غير ما سبق إيراده في المبحث السابق وفي هذا المبحث:

قوله تعالى: ﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةً وَٰحِدَةًۚ ﴾ [النساء:١٠٢].

وقوله: ﴿ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءً وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الممتحنة:٢].

وقوله: ﴿ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلاًّ وَلَا ذِمَّةًۚ ﴾ [التوبة:٨].

وقوله: ﴿ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلاًّ وَلَا ذِمَّةًۚ ﴾ [التوبة:١٠].

## ثانياً: نصوص لدى الكفار تغذي التدافع مع أهل الحق:

النصوص التي يعتمد عليها الكفار أياً كانوا في عدائهم لأهل الحق، وعليها بناء عقائدهم التي تصدر عنها أفعالهم وسلوكياتهم كثيرة، سواء كانت نصوصاً مقدسة عندهم زعموا أنها مما جاءت به الرسل، أو كانت في حكم المقدس عندهم، كشروح اليهود على توارتهم المحرفة، أو كانت أقوالاً لرجال دين وساسة مطاعين يصدر الناس عن رأيهم ويسيرون في ركبهم .

وسأبدأ في هذا المحور والذي يليه باليهود، ثم النصارى، ثم من دونهم، مراعاة لسبق عداوة اليهود للإسلام وأهله من بين أهل الكتاب، ثم أثلث بأهل الشرك، على اعتبار أن أهل الكتاب هم أصحاب المعركة الطويلة الأمد مع أهل الإسلام كما سبق .

**١- اليهود:**

إن نقمة اليهود وحقدهم وعداءهم ليس قاصراً على أهل الإسلام وحدهم، لكنه للجنس البشري من غير اليهود، وتلك عقيدة أصيلة في نفوسهم، نابعة من اعتقادهم أنهم وحدهم الأطهار الأبرار، شعب الله المختار، وهم أفضل من الملائكة، لأنهم من جوهر الله كما يزعمون، وغيرهم الأنجاس الملاعين، وأن نطفتهم طاهرة مقدسة زكية، ونطفة غيرهم دنسة نجسة حقيرة. وهم يعتقدون ذلك لأن الرب قال لهم كما في سفر التثنية. الإصحاح (٧): ( أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ) [(١)].

وفي التلمود: (إن اليهودي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، وإن اليهودي جزء من الله! فإذا ضرب أممي[(٢)] إسرائيليا فكأنه ضرب العزة الإلهية، والفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق بين اليهود وغير اليهود)، سفر صموئيل.

(١) انظر: الكتاب المقدس عند اليهود (٢١٧) .

(٢) لفظ يستخدمه اليهود لغير اليهودي، انظر: كتاب مؤامرة الصهيونية على العالم (٨)، وذهب ابن جرير إلى أنه عندهم للعربي، انظر: تفسير الطبري (٣/٣١٦) .

الإصحاح (١٤) [١]. وهم مأمورون من ربهم -كما يزعمون- بقتل كل الناس دون استثناء، حتى الأطفال مأمورون بقتلهم، وتوراتهم طافحة بأوامر إبادة البشر واستئصالهم، وبمحو عقائدهم ودياناتهم ومعابدهم وحضاراتهم ومزارعهم وحيواناتهم ومدنهم ومساكنهم .

وفي سفر العدد -أحد أسفار التوراة- الإصحاح (٣٣): (وكلم الرب موسى قائلاً: كلم بني إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم، وتمحون جميع تصاويرهم،وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة، وتخربون مرتفعاتهم، تملكون الأرض وتسكنون فيها، لأني أعطيتكم الأرض لكي تملكوها)[٢].

وفي سفر العدد الإصحاح (٣١): ( تجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر، وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم... وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم، ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم، وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار، وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم، وأتوا إلى موسى... ) ولم يرض موسى بقاء من سلم من القتل، وغضب لأنهم لم يقتلوهم، فأمرهم قائلاً: ( الآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر، اقتلوها ) [٣].

هذا نزر يسير من نصوص اليهود المقدسة عندهم، التي تقوم عليها عقيدتهم. والذي يراجع كتبهم تلك يجدها طافحة بمثل ذلك، تغذي النزعة الوحشية لديهم، وتزيد تعاليهم واحتقار غيرهم من الناس، حتى أصبح ذلك طبعاً لا يمكن أن يغيروه، وإن تنصلوا منه أو حاولوا أن يخفوه، لكن تجدد صور الصراع معهم ومجالات التدافع تؤكد ذلك. فأساليبهم في القتل والإبادة أساليب غاية في البشاعة والتوحش ،

(١) مجلة المجتمع العدد (١٧١١)، ص(١٧) .

(٢) انظر: الكتاب المقدس عند اليهود (٢٠٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (١٩٨) .

فهم يقتلون الرضع على صدور أمهاتهم، كما يرى الرائي كل يوم. فهذه طبيعة اليهود تجاه أهل الحق مذ كانوا وحتى ينتهي من الأرض آخرهم.

وتصريحات ساستهم ورجال الدين فيهم تؤكد حقيقة هذا الموقف العدائي من غيرهم على مر العصور، فهذا جابو تنسكي ( مؤسس الحركة الصهيونية التصحيحية )، يقول مخاطباً اليهود: ( كل إنسان على خطأ، وأنت وحدك على صواب.. لا تحاول أن تجد أعذاراً من أجل ذلك، فهي غير ضرورية وغير صحيحة.. لا توجد في العالم إلا حقيقة واحدة وهي بكاملها ملكك أنت ) [1].

وفي البروتوكول الرابع عشر من بروتوكولات صهيون، التي تعد الخطوات التنظيرية التي تفتقت عنها عقول مفكري اليهود، ليصلوا بالسير عليها إلى إفساد الأمم والسيطرة على العالم:

(عندما نصبح سادة الأرض، يجب ألا نسمح بوجود أي دين في العالم غير دين إلهنا الواحد الذي ارتبط به مصيرنا، الذي قرر مصير العالم باختياره إيانا اختياراً يفرض علينا أن نمحو من الأرض كل الديانات)[2].

لعل فيما سبق كفاية أوضحت موقف اليهود من أهل الحق، بل ومن غيرهم من سوى اليهود، فهو العداء المتأصل، والسعي الدائم في إهلاك الأمم وإفساد الحرث والنسل متى سنحت لهم الفرصة. والذي يتابع شيئاً مما يكشف من مؤتمراتهم السرية، يتبين له شدة خطورتهم ليس على أهل الحق فقط بل على أهل الأرض جميعاً[3].

(١) صدام الحضارات، د/حسن الباش (١٩٤) .

(٢) انظر: بروتوكولات صهيون، تعريب: أحمد عبد الغفور عطار، ضمن كتابه: مؤامرة الصهيونية على العالم (٢٦٠).

(٣) انظر للتوسع: المصدر السابق (٦٤-٨٩).

**٢- النصارى:**

هم أتباع المسيح عليه السلام، الذين صدقوا بما جاء به وساروا عليه، أو من يزعمون أنهم على دينه وملته. وقد امتدح الله في كتابه أتباع المسيح الباقين على منهاج إنجيله، فقال سبحانه:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [المائدة:٨٢- ٨٤].

وقال سبحانه فيهم: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ [الحديد:٢٧]، فوصفهم الله بالرقة والرأفة والرحمة إذ كانوا على دين المسيح، الذي من تعاليمه: من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر، ومن أخذ ردائك فأعطه قميصك، وليس القتال مشروعاً في ملتهم[1].

لكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل بقي النصارى على دين المسيح؟

حتى يكون الجواب محايداً وواقعياً، لا بد من الرجوع إلى المصادر التي سجلت حقيقة ما عليه النصارى بعد عيسى نبيهم عليه السلام .

فالقرآن والسنة يؤكدان انحراف النصارى عن دين عيسى عليه السلام إلا بقايا منهم، ففي القرآن تسجيل لانحراف السواد الأعظم منهم عن الدين الحق، يقول تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ ﴾ [النساء:١٧١].

وقال: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ ﴾ [المائدة:١٧].

وقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ ﴾ [المائدة:٧٣].

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٦٧/٣).

وفي الصحيح عن عياض بن حمار ﵁، أن النبي ﷺ قال: (إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب) [1]، فهذا حديث صحيح يؤكد شدة ضلال أهل الأرض ومنهم النصارى، وانحرافهم عن دين الأنبياء قبل الإسلام، وحاجتهم الماسة إلى رسالة إلهية تصحح مسارهم. وفي حديث عدي بن حاتم ﵁ تسجيل كذلك لضلال النصارى عن الدين الحق، بغلوهم في أحبارهم ورهبانهم حتى صرفوا لهم حق الله في التشريع، فقد جاء في حديث عدي بن حاتم ﵁ حين سمع النبي ﷺ يقرأ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَـٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال له: لسنا نعبدهم. قال ﷺ : (أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟) فقلت: بلى. قال: (فتلك عبادتهم) [2].

ومع أن عيسى ﵇ من أولي العزم من الرسل، إلا أنه عاش في حالة من التربص به من قبل اليهود، انتهت بمحاولة الإيقاع به وقتله، لولا رحمة الله به ورفعه له ودفعه كيد الكائدين. وقد اتفقت المصادر المختلفة على أن المسيحيين مع قلتهم ، نزل بهم بعد نبيهم من صنوف الأذى وصور الاضطهاد على أيدي اليهود ما جعلهم يستخفون بدينهم، ففر بعضهم بدينه، وقتل بعضهم صابراً، إذ لم تكن لهم شوكة ولا قوة تحميهم وتحمي دينهم. وفي وسط هذا الجو من الرعب والقلق الناتج عن اضطهادهم والبطش بهم، دونت كتبهم ورسائلهم التي يؤمنون بها ويقدسونها في خفية عن عيون المتربصين.

والسرية في جوها المظلم، مع الضغط النفسي الناتج عن شبح الخوف والقلق، يجعل العقل غير مطمئن إلى ما يحكي، فيغلب عليه الظن فيما يروي، وربما أدى به ذلك إلى إخفاء شيء، أو التلبيس بما يظن أنه يعمي عنه عيون المرتبصين، بل ربما

(١) مسلم. كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها. باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٢٨٦٥) .

(٢) الترمذي. كتاب: تفسير القرآن. باب: ومن سورة التوبة، وقال: هذا حديث غريب (٣٠٩٥). البيهقي واللفظ له (٢٠١٣٧)، وصححه الألباني في غاية المرام (٦) .

دس فيها وتقول ما لم يحصل.

مع ملاحظة أن حالة الاضطهاد تلك، أدت بقسم منهم إلى التقية بإظهار الوثنية وإبطان المسيحية، إبقاء على أرواحهم. فدخل في المسيحية بعض الوثنيين الذين لم يتركوا تعاليم الوثنية إلا في الظاهر، مما كان له تأثير بالغ على المسيحية الحقة، لمَّا كانت تفقد القوة التي تحميها، أو السلطة التي ترد عنها ما يزاد فيها ويحرف منها.

هذا كله بالإضافة إلى ما عمله (بولس)[1] اليهودي، الذي كان في أول أمره يهودياً متعصباً، ذاق المسيحيون على يديه أقسى صنوف الأذى، ثم ادعى دخوله فيها حتى صار من دعاتها المتميزين، وعمل عمله في تحريفها وتزويرها، مستغلاً ما تميز به من حركة ونشاط، وذكاء وحيلة، وقدرة فائقة على التأثير في الجماهير، حتى صارت المسيحية المنسوبة إلى عيسى عليه السلام كذباً وزوراً، هي في حقيقتها مطبوعة بطابع هذا اليهودي المنافق، منسوبة عند التحقيق إليه[2].

وعلماء الإسلام ممن له خبرة بكتب النصارى وعقائدهم، صرحوا بانحرافهم عن مناهج المسيح عليه السلام وأكدوا ذلك بما لا يدع مجالاً للشك.

فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية ~ يؤكد ذلك فيقول: (وقوم غلوا فيه [أي: في عيسى عليه السلام] وزعموا أنه الله، أو ابن الله، وأن اللاهوت تدرع الناسوت[3]،

(١) بولس: ولد في طرسوس قيليقية في حوالي ١٠ بعد الميلاد، كان اسمه الأصلي بالعبرانية شاول أوساؤل، وبولس باليونانية، كان يهوديًا متعصبًا، ثم ادعى إيمانه بالمسيح عليه السلام ليفسد دينه، قتل في روما حوالي ٦٧م. انظر: قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم، لمجموعة من المهتمين (١٥٧)، وكتاب المسيحية، لساجدمير (٤٠).

(٢) انظر للتوسع: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة (٢٩-٣٣-٧٤)، المسيحية النصرانية دراسة وتحليل. ساجد مير (٣٩). وانظر لاعترافاتهم بخلو كتبهم المقدسة عندهم من السند المتصل. كتاب: إظهار الحق. للعلامة/ رحمت الله الكيرواني الهندي (١٠٩/١) .

(٣) مصطلحان يعبران عن عقيدة أساسية عند النصارى مؤداها أن للمسيح عليه السلام طبيعتين: طبيعة إلهية (اللاهوت)، وطبيعة إنسانية (الناسوت). انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١١٥٧/٢).

وأن رب العالمين نزل، وأنزل ابنه ليصلب ويقتل، فداء لخطيئة آدم عليه السلام ..) إلى أن قال

~ في انحراف قساوسة النصارى ورهبانهم عن نهج المسيح عليه السلام: (ولهذا كان عامة رؤسائهم من القسيسين[1]، والرهبان[2]، وما يدخل فيهم من البطارقة[3]، والمطارنة[4]، والأساقفة[5]، إذا صار الرجل منهم فاضلاً مميزاً فإنه ينحل عن دينه، ويصير منافقاً لملوك أهل دينه، وعامتهم رضي بالرياسة عليهم، وبما يناله من الحظوظ. وخلق كثير من كبار الباباوات[6]، والمطارنة، والأساقفة، لما خاطبهم قوم من الفضلاء أقروا لهم بأنهم ليسوا على عقيدة النصارى، وإنما بقاؤهم على ما هم عليه لأجل العادة والرياسة قد نبذوا دين المسيح والرسل الذين قبله وبعده وراء ظهورهم، وحفظوا رسوم الدين، لأجل الملوك والعامة.

وأما الرهبان فأحدثوا من أنواع المكر والحيل بالعامة ما يظهر لكل عاقل...)[7].

---

(١) القسيس: رئيس النصارى في العلم، والمفتي في الدين، ومقيم الصلوات. انظر: المصدر السابق (١١١٥/٢).

(٢) الراهب: من النصارى هو ساكن الدير، والرهبانية: حياة جماعية تقضى في أديرة خاصة لغرض ديني، وهي تشمل الرجال والنساء. انظر: المصدر السابق (١٠٥٩/٢) .

(٣) البطريرك: يطلقه النصارى على بعض الرؤساء الدينيين من القساوسة والكهان. انظر: المصدر السابق (٩٨٩) .

(٤) المطران: رئيس ديني عند النصارى، وهو دون البطريرك وفوق الأسقف. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١١٤٨).

(٥) الأسقف: رتبة دينية عند النصارى، فوق رتبة القسيس ودون رتبة البطريرك والمطران. انظر: المصدر السابق (٩٥٦) .

(٦) البابا: يمثل قمة الهيكل الإداري في الكنيسة الكاثوليكية، ويلقب بالحبر الأعظم. انظر: المصدر السابق (٩٨١) .

(٧) انظر للتوسع: رسالة الشيخ إلى ملك قبرص النصراني. مجموع الفتاوى (٦٠٧/٢٨).

ثم لسائل أن يسأل: هل دانت أوروبا بالدين الحق لله تعالى وعبدته حق عبادته، وعرفته معرفة صحيحة في أي مرحلة من مراحل تاريخها وهي التي تعتبر نفسها راعية للنصرانية وحامية لها؟

(إن أي مؤرخ أو باحث يلقي نظرة سريعة فاحصة على الحقبة التي شهدت ميلاد الدين النصراني، سيرى أن منطقة حوض البحر الأبيض كانت تموج بعقائد وأفكار متباينة... ولو أننا حاولنا أن نستنبط من مجموع هذه العقائد عقيدة واحدة مشتركة، لخرجنا بعقيدة تقوم على ست دعائم:

١- الإيمان بالتوارة اليهودية.

٢- اعتقاد الفداء والخلاص والوساطة بين الله والناس.

٣- التثليث.

٤- الحلول (تجسد الإله في شكل بشري).

٥- تقديس الصور والتماثيل.

٦- الهروب من الحياة ( الرهبانية ) .

ومن أول نظرة نلقيها على هذه الدعائم الست، نرى أنها هي بعينها دعائم الدين النصراني الكنسي، ولب تعاليمه التي سيطرت على الفكر الأوروبي ردحاً طويلاً من الزمن)[١] ثم مرت أوروبا بمراحل من تسلط الكنيسة، وظهور النظريات العلمية، وابتداء الصراع بين الكنيسة والعلم، الذي صاحبه ظهور نظريات إلحادية كان لها التأثير البالغ في واقع الفكر والحياة الأوروبية، ثم توالى ظهور النظريات الإلحادية التي (أفسحت الطريق لإبعاد الدين عامة بصفة نهائية من التأثير في أي منحى من مناحي الحياة، بل مهدت لرفضه رفضاً باتا حتى في صورته الوجدانية المجردة)[٢]. هذه حقيقة موقف الغرب من النصرانية. الغرب الذي يمثل الغالب النصراني ويعتبر نفسه المدافع عنها والداعي إليها. أنهم لم يعرفوا الحق الذي أرسل به عيسى عليه السلام ،

(١) العلمانية، د/ سفر الحوالي (٢٩).

(٢) المصدر السابق (٢٣٥) وللتوسع راجع المصدر نفسه.

وإنما عرفوا تلك النصرانية المحرفة التي تقوم على الشرك، وأنها لم تعد تمثل عندهم إلا انتماء يغذي التدافع بينهم وبين غيرهم، ويقوي آصرة الأخوة بينهم حين يواجهون غيرهم من أهل الأديان والحضارات الأخرى وبخاصة الإسلام.

وإنما سقت ما سبق للرد على من يحاول تصحيح ما عليه الغرب من عقائد، ونسبتهم إلى المسيح ، زاعماً أنهم على دين سماوي، فضلاً عمن يدعوا إلى تقارب الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام الحق، واعتبارها جميعاً أديانا سماوية محترمة. سقته لما لهذه الدعوات من خطورة بالغة في تغييب الموقف الصحيح لأولئك تجاه الحق، الذي ينعكس ولا شك على موقف المسلم في التعامل معهم، واليقظة لهم، والحذر منهم .

فموقفهم من الحق وأهله لا يختلف عن موقف غيرهم من أعدائه، إلا في شراسته واستمراره. فهم أصحاب المعركة الطويلة مع الإسلام الممتدة بعمره منذ معركة مؤتة وحتى اليوم. وسأسوق الآن بعض أقوال ساستهم ومفكريهم وأهل الحل والعقد فيهم، ليتضح بجلاء أن موقفهم من الإسلام واحد لم يتغير، وإنما يتأثر بقوة المسلمين وضعفهم، وباستعدادهم هم على مواجهة الحق والإيقاع بأهله، وهذا الموقف لا ينفي وجود بعض الأصوات فيهم على خلاف ذلك، لكنها لا تعدوا أن تكون أصواتاً فردية لا تأثير لها في خط سيرهم العام .

وقبل أن ننقل شيئاً من تلك الأقوال، تجدر الإشارة إلى أن العقيدة الدينية هي مناط الحقد الحضاري، ومعقد ألوية الحرب لدى الكفار في الأصل، وأكبر دليل على ذلك الحروب الصليبية التي استمرت قرابة القرنين من الزمان، بل وما تبعها، تحقيقاً لقول الله في الواقع، ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾ [البقرة:٢١٧].

يقرر ( فلوري )[١] مؤرخ الكنيسة لأبناء ملته ما يؤجج عداءهم لغيرهم

(١) فلوري: عالم ومؤرخ، ورسام شهير، كلف بنقل الكتابات الكوفية عن الأماكن الأثرية في البلدان العربية، عاش بين (١٨٧٤-١٩٣٥م). انظر كتاب: المستشرقون، نجيب العقيقي (٣/٨٨٤) .

ويحرضهم على إبادتهم، فيقول: إن المسيحي الذي يبيد أعداء دينه لا يخرج بذلك عن نطاق الإيمان، لأنه بفعله هذا إنما ينحر القرابين إرضاء لله[1] .

ويقول المؤرخ ( جيبون )[2] معلقاً على المجازر التي قام بها النصارى في إحدى الحروب الصليبية ضد المسلمين: خدام الرب المسيحيين رأوا حينئذ تمجيده وتكريمه، فذبحوا سبعين ألف مسلم من أهل القدس من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال قرباناً للرب[3].

وفي خطاب ألقاه وزير الخارجية الأمريكي الأسبق (هنري كسينجر)، قال فيه: إن الجبهة الجديدة التي على الغرب مواجهتها هي العالم العربي والإسلامي، باعتبار هذا العالم هو العدو الجديد للغرب [4] .

ودعت ( ماري فرانس ستربوا، نائبة الجبهة الوطنية الفرنسية ) أعضاء حزبها إلى أن يصبحوا صليبي القرن العشرين، ويشنوا حملة ضد الإسلام في فرنسا. وقالت احتجاجاً على إقامة جامعة إسلامية في ( سان ليجيه وسط فرنسا ): لن نترك قرية فرنسية صغيرة تصبح مكة الإسلام. وقالت للجمهور: هل أنتم مستعدون لأن تصبحوا صليبي القرن العشرين الذين يخوضون كفاحاً لا رحمة فيه[5] .

ولا ينبغي أن يخفى ما للدراسات التي يعدها مفكروا الغرب من تأثير على مسار التوجه السياسي هناك، فهي تعد إلهاماً لصانع القرار الإستراتيجي الغربي، الذي يسعى لتكريس الهيمنة الغربية بنسف كل ما يقف دون ذلك. ومن تلك الدراسات التي تبرز الوجه الحقيقي للغرب المعادي للإسلام وأهله، المفترض استمرار الحرب

(١) انظر: حوار الحضارات، عطية فتحي الويشي (١٠١) .

(٢) جيبون (إدوارد): مؤرخ إنجليزي، عاش بين (١٧٣٧-١٧٩٤م)، له كتاب: تاريخ أفول وسقوط الدولة الرومانية. انظر ترجمته في: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، عبد المنعم الحفني (٤٩٠/١) .

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر: حوار الحضارات، عطية فتحي الويشي (٦٥) .

(٥) المصدر السابق، عطية فتحي الويشي (٦٥).

مع الإسلام وأهله:

**كتاب: نهاية التاريخ، للكاتب الأمريكي الياباني الأصل، ( فرانسيس فوكاياما ) :**

تقوم فكرة الكتاب على الترويج للحضارة الغربية الديمقراطية[(١)] الليبرالية[(٢)]، على اعتبار أنها وحدها التي تملك البقاء، لأنها استطاعت أن تتغلب على كل التحديات التي واجهتها ابتداءا بالنازية ثم الشيوعية، وأن الجنس البشري يبدو كما لو كان قطاراً من العربات التي تجرها الجياد، متجها إلى مدينة بعينها عبر طريق صحراوي طويل، فبعض هذه العربات قد حددت وجهتها ابتداءً بدقة فوصلت إلى المدينة بأسرع وقت، وأخرى تعرضت لهجوم أوباش فضلت الطريق، والبعض أنهكتها الرحلة فاختارت مكانا وسط الصحراء للإقامة فيه، بينما من ضل راح يبحث عن طريق بديلة للمدينة نفسها، لكن الجميع سيجدون أنفسهم مجبرين على استعمال نفس الطريق، ولو عبر طريق فرعية، لكن في النهاية تصل أغلب العربات، وهي عندما تصل لا تختلف عن بعضها إلا في شيء واحد، هو توقيت الوصول إلى المدينة سرعة أو بطء، وصولها إلى الديمقراطية الليبرالية، ثم تنتهي الرحلة وينتهي التاريخ[(٣)] .

فهو يرى أن البشر في تطور مستمر، عن طريق الصراع والتدافع الذي يحفز

---

(١) الديمقراطية: كلمة مشتقة من لفظتين يونانيتين (الشعب) و(السلطة) ومعناها: الحكم الذي تكون فيه السلطة للشعب، وتطلق على نظام الحكم الذي يكون الشعب فيه رقيباً على أعمال الحكومة بواسطة المجالس النيابية، ويكون لنواب الأمة سلطة إصدار القوانين. انظر: مذاهب فكرية معاصرة، د/محمد قطب (١٧٨).

(٢) الليبرالية: مصطلح أجنبي معرب، وهي مذهب فكري يركز على الحرية الفردية، ويقوم في حقيقته على أساس علماني يعظم الإنسان، ويرى أنه مستقل بذاته في إدراك احتياجاته. انظر: الليبرالية وموقف الإسلام منها، د/عبدالرحيم بن صمايل السلمي (٣).

(٣) انظر: نهاية التاريخ، لفوكوياما (٢٧٨) .

البشر إلى التطور لأعلى ليكون أعلى الهرم الفكر الغربي.

ويقدم صورة مسبقة للسلوك الغربي، الذي سيسعى دائماً لفرض فكره على الآخرين بآليات وطرق متفاوتة في القوة والعنف، كما حصل من قبل مع النازية والشيوعية، وستختلف درجته حسب اختلاف درجة تأبي الثقافات والحضارات الأخرى للإنصياع للهيمنة والضغوط الغربية، ويفترض أن يكون الإسلام أشد المنافسين فيقول: ( يبدو أنه من الممكن استثناء الإسلام -مبدئياً على الأقل- من هذا الحكم العام حول الايدلوجيات المنافسة للديمقراطية، فالإسلام يشكل أيدلوجية متجانسة ومنتظمة، مثله في ذلك مثل الديمقراطية والشيوعية، مع دلالته الخاصة على الأخلاق ومذهبه في السياسة والعدالة الإجتماعية، وقد هزم الإسلام في الواقع الديمقراطية الحرة في أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي، موجهاً تهديداً خطيرا للممارسات التحررية، حتى في البلاد التي لا تمثل قوة سياسية ذات بال. وقد شهدت نهاية الحرب الباردة في أوروبا تحدياً ساخراً للغرب، من قبل العراق الذي يشكل الدين الإسلامي عاملاً هاماً في تكوينه الإيدلوجي ... )[(١)] .

وهذا كلام واضح يمثل جانب التنظير في موقف الغرب من قضية التدافع مع أهل الإسلام، بل مع أهل الحضارات المختلفة. التنظير الذي تبعه التطبيق الفعلي على مختلف الأصعدة.

ويقول المفكر الألماني المسلم د/مراد هوفمان[(٢)]: علمت الكثير جداً من سوء

(١) نهاية التاريخ (٦١). راجع للزيادة والتوسع كتاب: صراع الحضارات لصموئيل هنتجتون، مع ملاحظة أن الكتاب يعد مرجعاً مهماً لإيضاح موقف الغرب تجاه الإسلام، فبالرجوع إلى مقدمة المؤلف يتضح أنه ليس عملاً فردياً أو رأياً شخصياً، بل قام بإخراج الكتاب مجموعة من الباحثين الأمريكيين بين كاتب ومضيف ومراجع ومصحح وممول، وتبنته مجموعة من مراكز الأبحاث هناك، وتم مناقشته كورقة عمل ومحاضرات في مجموعة من الجامعات واللقاءات حول العالم .

(٢) مراد هوفمان: مفكر ألماني مسلم، اعتنق الإسلام عام ١٩٨٠م، كان سفير ألمانيا إلى الجزائر وفيها تعرف على الإسلام، من مؤلفاته: طريق فلسفي إلى الإسلام، يوميات مسلم ألماني. انظر ترجمته في كتابه: الإسلام كبديل.

نية الغرب تجاه الإسلام والمسلمين، وهذا التوجه العدائي لدى الغرب، تمتد جذوره من الرومانية القديمة إلى الأوربية الحديثة،في استعلاء فلسفي وعرقي بغيض، وقد أبرزه المؤرخ ( أرنولد توينبى )[1] بوضوح في محاضراته حول العالم والغرب، حيث قال: كان يجب على الغرب أن يبدأ الهجوم المعاكس على العالم الإسلامي، بعد فشل الأتراك أمام أسوار فيينا عام ١٦٨٣م، ولكنه تأخر لمدة قرنين حتى استطاع تطويق العالم الإسلامي أولاً، ثم احتاج لمدة مائتي عام حتى تتخلص المخيلة الغربية من خوفها من شجاعة الأتراك المسلمين وبسالتهم، ثم بدأ منذ القرن التاسع عشر يخاطر في شد الحبل .. واليوم يحاول الغرب خنق العالم الإسلامي حتى الموت[2] .

## ثالثاً: مواقف من التاريخ تؤكد عداء الكفار للإسلام والمسلمين وتدافعهم معهم:

تعتبر المسيرة التاريخية مرجعاً مهماً يكشف المواقف المختلفة لأي حضارة من الحضارات، فهو يوضح طبيعة علاقات الأمم ببعضها، ويوضح الموقف منها في حال نشوئها وقوتها ثم ضعفها، ويكشف أعداءها من أصدقائها .

والمسلم الحصيف لا ينبغي له أن يتعامل مع مواقف المتعاملين معه من غير أهل ملته، دون النظر إلى خلفياتهم التاريخية. إذ من المستحيل أن يتحول عدو الدهر صديقاً في ساعة، مع ضعف حال المسلمين وتمسك كلٍ بمبادئه أيا كانت، فلا ينبغي له (أن يتجاوز تاريخ أمته الذي صاغته بالمعاناة والدماء، والذي صنعت منه حضارة مثلى لها مكان الريادة والصدارة في تاريخ الأمم والشعوب كافة وبدون منازع)[3]، وتاريخ أعدائها الطافح بصور مختلفة من العداوات والتدافعات .

(١) أرنولد توينبي: مؤرخ إنجليزي، عاش بين (١٨٨٩-١٩٧٥م)، أهم كتبه: دراسة في التاريخ. انظر ترجمته في: موسوعة الفلسفة والفلاسفة (٤٢٠/١) .

(٢) انظر: مجلة المجتمع العدد [١٧١٠] .

(٣) حوار الحضارات، وطبيعة الصراع بين الحق والباطل (٢٧) .

على أنه يجب التأكيد على ضرورة التمحيص والنقد لرويات التاريخ وعدم التسليم بكل ما يروى في ذلك.

أما اليهود، فكان أول حالهم مع هذه الأمة، أن النبي ﷺ صالحهم لما نزل بالمدينة، وكتب بينه وبينهم كتابا، وكانوا ثلاث طوائف، فنقضوا العهد وخانوا الذمة ولم يوفوا.

فأما بنو قينقاع فحاربوا بعد بدر فأذلهم الله وأخزاهم، فأخرجهم النبي ﷺ فخرجوا إلى أذرعات من أرض الشام .

وأما بنو النضير فلم يكونوا أحسن حالاً، بل حاولوا قتل النبي ﷺ؛ فأعلمه الوحي بما أرادوا، فأمرهم النبي ﷺ بالخروج فأبوا، فسار إليهم بجند الله، فخرجوا أذلاء صاغرين بنفوسهم وذراريهم وما حملت الإبل بغير سلاح .

وأما قريظة فكانوا أشد اليهود عداوة وأغلظهم كفرا، وقد ألبوا الأحزاب على النبي ﷺ وأصحابه ووعدوهم النصرة، فلما أذل الله الأحزاب ورد كيدهم ومزق جموعهم، سار إليهم النبي ﷺ وحاصرهم، فنزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، فحكم بقتل من جرت عليه الموسى منهم، فقتلوا شر قتلة [١] .

فهذا أول حالهم مع هذه الأمة، المكر والخيانة والغدر والخديعة، رغم أنهم أول من نعم بالعيش بسلام في أكناف دولة الإسلام، ليس بشهادة أهل الإسلام فحسب، بل بشهادة التاريخ وشهادة بعض عقلائهم. يقول الحاخام اليهودي ( يسرويل ويس ) : كنا نعيش بين المجتمعات المسلمة والعربية، دون أن تكون هنالك حاجة إلى رقابة منظمات الأمم المتحدة لحقوق الإنسان [٢] .

فاليهود لم يتوقفوا لحظة عن الدس لأهل الإسلام منذ بزغ فجره، والقرآن والسنة مليئان بكشف مواقفهم المشينة في ذلك، ولا غرابة فهم قتلة الأنبياء إذ طالوا

(١) انظر: زاد المعاد (١٢٦/٣-١٣٦) ، سيرة ابن هشام (٤٧/٢-١٩٠-٢٣٣) .

(٢) انظر: مجلة المجتمع العدد [١٧١٥] .

منهم ما لم يجرؤ عليه سواهم، كما قال تعالى عنهم: ﴿ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقۡتُلُونَ ٧٠ ﴾ [المائدة:٧٠]. هكذا وبكل لؤم ليبقى المجال مفتوحاً أمام المؤمن ليتوقع منهم كل ما يخطر بباله وما لا يخطر من أنواع الأذى والإفساد، من قوم وصل بهم الحال إلى أن يقتلوا رسل الهداية الذين لم يسألوهم أجراً وهم مهتدون .

وبعد أن كتب الله لصفحة التاريخ الجاهلي أن تطوى عن ظلمة شملت الأرض كلها إلا بقايا من أهل الكتاب ممن حافظ على رسوم الأنبياء، وبدأت صفحة التاريخ الإسلامي الجديد تظهر بوضوح، بفتوحات نشرت النور في المشرق والمغرب، منطلقة من جزيرة العرب قاعدة الإسلام، احترقت قلوب الكفار وأفئدة المشركين، وبخاصة اليهود في الجزيرة العربية وفي البلاد المجاورة لها، فبدأوا يكيدون للإسلام كيداً عظيماً ليسدوا هذا النور، ويطفئوا هذه الدعوة النيرة، فكان (أول من دس دسه هم أبناء اليهودية البغيضة المردودة، بعد طلوع فجر الإسلام، دسوا في الشريعة الإسلامية باسم الإسلام، حتى يسهل صرف أبناء المسلمين الجهلة عن عقائد الإسلام، ومعتقداتهم الصحيحة الصافية، وكان على رأس هؤلاء المكرة المنافقين، المتظاهرين بالإسلام، والمبطنين الكفر أشد الكفر والنفاق، والباغين عليه، عبد الله بن سبأ[(١)] اليهودي الخبيث، الذي أراد مزاحمة الإسلام ومخالفته، والحيلولة دونه، وقطع الطريق عليه بعد دخول الجزيرة العربية بأكملها في حوزة الإسلام وقت النبي ﷺ، وبعد ما انتشر الإسلام في آفاق الأرض وأطرافها)[(٢)]. طفق عدو الله بعد أن تظاهر بالإسلام ينشر في المسلمين عقائد تنافي الإسلام، فكون طائفة وفرقة السبائية

(١) عبد الله بن سبأ اليهودي: ابن السوداء، قال ابن كثير: كان يهودياً فأظهر الإسلام وصار إلى مصر فأوحى إلى طائفة من الناس كلاماً اخترعه من عند نفسه. انظر: البداية والنهاية (٢٦٣/١٠)، وكتاب: عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام،د/ سليمان بن حمد العودة (٤٢) .

(٢) الشيعة والسنة، إحسان إلهي ظهير (١٥) .

في المسلمين للإضرار بالإسلام والتفريق بين أهله، وتصديع بنيانه، لبست ثوب التشيع لآل البيت ظاهراً، وكانت نواة لظهور فرق ابتعدت عن روح الشريعة المحمدية .

ثم لم يزل حالهم على ذلك إلى أن أحكمت اليهودية العالمية قبضتها (على العالم الغربي وأوقعته أسيراً في شباكها الأخطبوطية، فاتخذت العداوة مساراً واحداً تحفزه الروح الصليبية وتوجهه الأفعى اليهودية، فقد تشابكت وتداخلت مصالح الطرفين، وكان الغرب الصليبي مستعداً للتخلي عن كل حقد وعداوة إلا عداوته للإسلام، في حين كانت الخطط التلمودية تروم تسخير العالم الصليبي -بعد أن شلت قواه وركبت رأسه- للقضاء على عدوها الأكبر الإسلام) [١] .

أما النصارى فمواقفهم مع أهل الإسلام مواقف تطول، فـ(ليس في تاريخ العداوات عداوة تماثل في شراستها وأبديتها ذلك النوع الذي تواجه به طوائف اليهود والنصارى الأمة الإسلامية) [٢]. لكن لعلي أكتفي بذكر أبرز تلك المواقف العدائية، التي كان لها الأثر البالغ على أمة الإسلام. متجاوزاً القرون الأولى من تاريخ أمة الإسلام، لا لأنه لم تكن لهم مواقف عدائية مع أهل الإسلام -فالمعارك التي خاضها المسلمون مع أهل الشمال والغرب كانت مع النصارى- بل لأن تلك الحقبة من تاريخ الأمة، كانت فيها قوية عزيزة مبادرة لا مدافعة. وقد سبقت الإشارة إلى أن الذي يتحكم في مواقفهم معنا، هو مقدار قوتنا من ضعفنا، لذا سأبدأ بالحروب الصليبية، ثم الاستعمار وما صحبه ولحقه من غزو فكري، ثم التنصير، ثم عودتهم إلى الغزو العسكري في إشارات سريعة فالمقام لا يحتمل الإطالة.

## أ - الحروب الصليبية:

مصطلح يقصد به ثماني حملات عسكرية صليبية شملت التعبئة لها أجزاء

(١) العلمانية (٥٣٢) .

(٢) العلمانية (٥٢٨).

أوروبا وممالكها، أغارت على العالم الإسلامي لاستئصال شأفة الإسلام والسيطرة على أراضيه، تباينت في تحقيق أهدافها، لكنها صدت بفضل الله ثم ببسالة أهل الإسلام. بدأت الأولى سنة ٤٨٩هـ، وكانت الثامنة سنة ٦٦٨هـ[1]، وبدراسة الحروب الصليبية يمكن استخلاص ما يلي:

١- أن الحروب الصليبية إنما كانت تشن في حال تعاني فيه الأمة الإسلامية من الضعف والتفرق، وهذا ابن الأثير ~ يصف حال المسلمين في الأولى فيقول: ( وورد المستنفرون من الشام في رمضان إلى بغداد صحبة القاضي أبي سعد الهروي، فأوردوا في الديوان كلاماً أبكى العيون وأوجع القلوب، وقاموا بالجامع يوم الجمعة فاستغاثوا وبكوا وذكروا ما دهم المسلمين من قتل الرجال، وسبي الحريم والأولاد، ونهب الأموال. فلشدة ما أصابهم أفطروا )[2]، (وتأثر الخليفة العباسي المستظهر كما تأثر عامة الشعب، ولم يكن له حول ولا طول، إنما الأمر بيد ملوك السلاجقة المتنازعين المتحاربين، واكتفى الخليفة العباسي بإرسال وفد إلى أمراء السلاجقة يستنفرهم، فرجع الوفد خائباً خاسرا)[3].

٢- أن المحرك الأساسي للحروب الصليبية الدين والانتصار للعقيدة النصرانية، وإن كان ثم دوافع أخرى، يظهر ذلك من استعمال المرغبات الدينية كغفران الذنوب وتكفير المعاصي، والإعفاء من التكاليف المدنية لمن حمى الصليب، وغيرها من وسائل الإغراء والإثارة، كما يتضح ذلك أيضاً من بروز دور البابوات في مقدمة الداعين إليها والمحرضين عليها، وفي خطبة البابا ( أوربان الثاني ) قوله: وليست هذه الحرب لاكتساب مدينة واحدة فقط؛ بل هي أقاليم آسيا بجملتها، مع غناها وخزائنها التي لا تحصى. فاتخذوا محجة القبر المقدس وخلصوا الأراضي المقدسة من أيدي المختلسين. وأنتم املكوها لذواتكم فهذه الارض كما قالت التوراة تفيض لبناً

(١) انظر: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد العمروسي المطوي (٤٧-١٣٦).

(٢) الكامل في التاريخ (١٩/٩).

(٣) الحروب الصليبية في المشرق والمغرب (٥٤).

وعسلاً[(١)].

٣- أنها كانت تشمل أوربا كلها في الغالب، للسبب السابق. فتذوب الفوارق وتزول الخلافات حين يواجهون أهل الإسلام، فـ(الحمية الجاهلية العامة التي أثارتها تلك الحروب في زمنها لا يمكن أن تقارن بشيء خبرته أوربة من قبل، ولا اتفق لها من بعد. لقد اجتاحت القارة كلها موجة من النشوة، كانت -في مدة على الأقل- عنفواناً تخطى الحدود التي بين البلدان والتي بين الشعوب والتي بين الطبقات، ولقد اتفق في ذلك الحين، وللمرة الأولى في التاريخ أن أوربة أدركت في نفسها وحدة، ولكنها وحدة في وجه العالم الإسلامي) [(٢)].

٤- أنها كانت تتسم كما هو حال النصارى مع أهل الإسلام حين يتغلبون عليهم دائماً، بالوحشية المتناهية والبعد عن التعاليم السماوية والأخلاق الفاضلة، في تصرف لا يمكن أن يفسر إلا بالعداء الديني. قال ابن الأثير ~ في وصف الحملة الأولى: ( وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفا، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم، ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف ) [(٣)].

## ب - ما بعد الحروب الصليبية:

ثم تلا الحروب الصليبية تصفية الوجود الإسلامي في الأندلس، بعد سقوطها في أيدي النصارى بصورة وحشية لا مثيل لها في التاريخ كله من قبل، فيما عرف بمحاكم التفتيش. ثم جاءت طلائع الحروب الصليبية متخفية برايات المكتشفين الجغرافيين، من أمثال (ماجلان)[(٤)] الذي قام برحلته لاكتشاف الفلبين المسلمة،

(١) انظر: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب (٣٤).

(٢) الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد (٥٥).

(٣) الكامل في التاريخ (١٩/٩).

(٤) فرنادي ما جالايس، المشهور بماجلان: رحالة برتغالي الأصل، منصر كنسي متعصب، وصل إلى الفلبين وفيها قتل عام (١٥٢١م). انظر كتاب: قصة الحضارة، ديورانت (١٤٢/٢٧) .

و(فاسكو) الذي سير رحلته لاكتشاف جزر الهند الشرقية، وكانت هذه الرحلات صليبية واضحة الأهداف، حتى قال (فاسكو داجاما)[1] حين أتم رحلته: الآن طوقنا رقبة الإسلام، ولم يبق إلا جذب الحبل فيختنق ويموت[2]. فكانت ترمي لاكتشاف أرض المسلمين والتعرف على طبيعتها وطبيعة أهلها؛ ليتسنى لهم التخطيط الصحيح للسيطرة عليهم وكذلك وقع.

(ثم جاءت الروح الصليبية كامنة في مدافع نابليون، التي تضعنا على أول محاولة ضخمة من أوروبا الحديثة لاستئصال شأفة الإسلام وبذر جذور اللادينية في أبنائه، والحق أن الجنرال اللنبي[3] لم يكن أكثر صراحة، حين وقف على جبل الزيتونة في الحرب العالمية الأولى قائلاً: الآن انتهت الحروب الصليبية. كما إن الواقع التاريخي يؤكد أن هذه الحرب لن تنتهي، وأن الذي خدع بعض المستغفلين هو اختلاف فصولها ومظاهرها)[4].

ثم جاء الموقف الصلب الذي واجه به السلطان (عبدالحميد ~)[5] (هرتزل)[6]،

---

(١) فاسكو داجاما: رحالة غربي مستكشف، منصر كنسي متعصب، كلفه ملك البرتغال (عمانويل) بالإبحار من حول أفريقيا لاستكشاف الهند، انظر كتاب: قصة الحضارة (٢٣/٥٥). وانظر دور تلك الرحلات في نشر العقيدة النصرانية (٣/٤٠١) من نفس المرجع .

(٢) انظر: واقعنا المعاصر، د/محمد قطب (١٨٩).

(٣) الجنرال اللنبي: قائد بريطاني أصولي مسيحي. انظر: معجم مصطلحات التاريخ العربي الحديث والمعاصر، د/مصطفى عبدالغني (٩٣٦).

(٤) العلمانية (٥٣٠).

(٥) السلطان عبدالحميد: السلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية، وآخر سلاطينها، ولد في ١٢٥٨هـ، وتولى الخلافة في شعبان ١٢٩٣هـ، ثم خلع بدس الصهيونية والماسونية عام ١٣٢٦هـ.

انظر: السلطان عبدالحميد الثاني، محمد حرب (٣١).

(٦) تيودر هرتزل: زعيم الحركة اليهودية العالمية، سعى جاهدًا لإقناع السلطان عبدالحميد بإعطاء اليهود فلسطين في مقابل أن يدعم الدولة العثمانية ويسد ديونها، لكن محاولاته باءت بالفشل، =

الرافض المساومة على بيت المقدس، عندها تعين على الصليبية واليهودية الذين اتحدت أهدافهما، القضاء على الخلافة الإسلامية لمصلحة الفريقين، النصارى ثأراً للحروب الصليبية وتحقيقاً لمطامعهم في بلاد المسلمين والقضاء على الإسلام، (واليهود الذين أيقنوا أن فشلهم مع السلطان، يستوجب التركيز على العالم الصليبي وتسخيره لمآربهم التلمودية.

وبلغت الخطة ذروة التوحد بعد قرار المجمع المسكوني الذي ينص على تبرئة اليهود من دم المسيح ﷺ، والذي كان يهدف إلى محو كل أثر عدائي مسيحي لليهود، وبالتالي إيجاد كتلة يهودية نصرانية واحدة لمجابهة الإسلام) [1]. حصل ذلك في وقت كانت الأمة فيه تعاني من التخلف والجهل والتمزق، حيث استطاع الغرب النصراني، أن يحدث التفرق بين المسلمين تحت شعارات القوميات المختلفة، بعيداً عن رابطة الوحدة الإسلامية .

ولما قامت الحرب العالمية الأولى (١٣٣٣-١٣٣٧هـ/١٩١٤-١٩١٨م) دخلت تركيا الحرب إلى جانب دول الوسط، ألمانيا والنمسا. في حين تمكن الانجليز من جر العرب إلى جانب الحلفاء، بريطانيا وفرنسا وروسيا[2]، واستطاع الغرب النصراني أن يحارب جيوش الخلافة العثمانية بأناس مسلمين مغفلين، في نجاح باهر لخطة الحروب الصليبية الجديدة، التي اعتمدت في أجندتها تحويل الصراع مع المسلمين من حرب مباشرة إلى حرب العقيدة الإسلامية ذاتها، فلم يعد ميدانها الرئيس الأرض ولكنه الأدمغة ولم تعد وسيلتها الوحيدة السيف بل الفكر والمؤسسات والمناهج بالدرجة الأولى، لذا كانت تحتاج إلى عقليات تتمتع بدرجة كبيرة من الدهاء والخبث، غير العقليات البربرية الصليبية التي كانت في الحروب الأولى. فنجاح مهمة هذه

= عاش بين (١٨٦٠-١٩٠٤م)، وهو الذي طوّر الأفكار الصهيونية.

انظر: قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم، إعداد مجموعة من المهتمين (٥٢٧).

(١) العلمانية (٥٣٤).

(٢) انظر: الدولة العثمانية، د/علي محمد الصلاَّبي (٤٦٦).

الحملات كان يتوقف على الدقة في تنفيذ الخطة الجديدة. وكان أكبر احتياطياتها التكتم الشديد عن ذكر الإسلام أو التصريح بعداوة المسلمين، وتفريغ القضية من مخزونها العقدي إعلامياً، ليظهر فيها العدو بلبوس الصديق أحياناً، أو حتى إن لزم الأمر شيئاً من الإفصاح فلتكن معركة بين الشرق والغرب، أو بين المحررين المخلصين الديمقراطيين وبين الإرهابيين المفسدين، أو بين اليمين واليسار، بدوافع سياسية أو اقتصادية، بعيداً عن ذكر الدين المذكي لروح الجهاد في نفوس المسلمين.

وبانتصار الحلفاء على أعدائهم في الحرب العالمية الأولى، نتج عن ذلك تقسيم تركة الخلافة العثمانية في العالم العربي، ضمن اتفاقية ما يسمى (سايكس-بيكو) سنة ١٩١٦م[١].

عندها توزع الحلفاء أرض المسلمين عدا أجزاء قليلة، وابتدأت دوائر الاستعمار في تنفيذ مخططها بدقة متناهية، فأثاروا القوميات المختلفة عربية وكردية وزنوج وغيرها، فحلت القومية محل الدين، ودخلت الدولة الواحدة في صراعات الأحزاب السياسية المختلفة شيوعية وليبرالية ووطنية وغيرها من الاتجاهات السياسية البعيدة عن الفكر الإسلامي، الذي اتهم أصحابه بالإرهاب والأصولية والتطرف والتخريب، وطالتهم يد القتل والسجن والتشريد على مرأى ومسمع من عوام المسلمين الذين خدعوا عن الوجه الحقيقي للقضية بتأثير الإعلام، فاعتقدوا الصديق عدواً والعدو صديقاً ناصحاً، واتجهت الحكومات إلى فصل الدين عن السياسية والسياسية عن الدين متجهة نحو العلمانية، وألغيت المحاكم الشرعية والأحكام الإسلامية، ليحل محلها القوانين الوضعية. وطالت يد التخريب كذلك التعليم الإسلامي بدعوى التطوير، وقضي على الأوقاف

(١) اتفاقية عقدتها دول روسيا وبريطانيا وفرنسا بين بعضها، لاقتسام أراضي الدولة العثمانية. تم التصديق عليها في شهر نيسان ١٩١٦م. انظر: المؤامرة الكبرى على بلاد الشام، محمد فاروق الخالدي (٢٣٢).

الإسلامية، واستخدم الأعداء الطوائف غير الإسلامية والفرق الضالة المنتسبة للإسلام في إضعاف الإسلام، وإبعاد المسلمين عن الإسلام الصحيح، كدعم الصوفية وتحسين صورة النصيرية بتغيير اسمها إلى (علويه)، واصطنعوا كل أولئك (عملاء لهم وحرضوهم على الالتحاق بالجيش حتى احتلو قيادته العليا، وأخيراً استطاعوا أن يتحكموا في الأكثرية المسلمة وأن ينظموا فرقاً عسكرية حديثة خاصة بهم) [١]، بل سلمت لهم مقاليد الحكم حين خرج المستعمر، مخلفاً وراءه حكومات نصرانية تحكم شعوباً تصل نسبة المسلمين في بعضها إلى ٩٩% كما في كثير من دول إفريقية المسلمة[٢].

واستطاع الغرب النصراني بعد ذلك، أن يجند من أبناء المسلمين من يحمل أفكاره وينفذ مخططاته، ويناضل وينافح عنه وعن ثقافته، وكان ذلك التأثير إما مباشراً عن طريق البعثات التي ترسل إلى بلاد الغرب، ليتولى هؤلاء المسخ الغزو من الداخل، تتميماً لدور أسيادهم في الغزو من الخارج[٣]، كما صرح بذلك الرئيس الأمريكي الأسبق (ريتشارد نيكسون) بقوله: (المشكلة هو الإسلام. قالوا: وما الحل؟ قال: أن نأتي بأبناء المسلمين ثم نرسلهم إلى بلادنا كي نحقنهم بثقافاتنا ونعيدهم إلى بلادهم) [٤].

وتحدث (فرانسيس فوكوياما) عن دور البعثات في تغيير أفكار الدارسين في الغرب، فقال: ( إن التعليم العالي في الولايات المتحدة ودول الغرب، يغرس في الشباب بصفة عامة، المنظور التاريخي والنسبي لفكر القرن العشرين. وهذا يعدهم للمواطنة في الديمقراطيات الحرة، عن طريق تشجيع نوع من التسامح في

(١) العلمانية (٥٤١).

(٢) راجع للتوسع كتاب: واقعنا المعاصر، د/محمد قطب (١٨٦-٣٦٣)، كتاب: العلمانية، د/سفر الحوالي (٥٢٨-٥٦٠).

(٣) انظر: غزو من الداخل، جمال سلطان (٤).

(٤) صراع الحضارات وحوار الدبابات (٧٦).

نقاط الخلاف في وجهات النظر، ولكنه يعلمهم أيضاً، أنه لا توجد نهاية للإيمان بتفوق الديمقراطية الحرة على صور الحكم الأخرى ) [(١)].

أو كان التأثير غير مباشر، عن طريق وسائل الإعلام الحديثة، كالإنترنت والقنوات الفضائية، وما تملكه من صناعة إعلامية متطورة مؤثرة، يديرها خبراء نفسيون وإعلاميون متخصصون لتحقيق المصالح الغربية[(٢)].

أما عن دور الغرب النصراني في نشر عقيدته، فيما يسمى بالتنصير، فإن جهودهم في ذلك تفوق ما يمكن أن يتخيله متخيل من أوقاف محبوسة، وأموالٍ مرصودة، وجهود مضنية لا تفتر، تقدم الدواء والغذاء بيد وتمد الانجيل بالأخرى، ليصرفوا المسلمين عن دينهم. مستغلين حاجة كثير من المسلمين في تلك البلاد وفقرهم وجهلهم بدينهم، وفي تصريح رئيس مجلس الكنائس العالمي (صموئيل زويمر)[(٣)] ما يغني عن التعليق، ويكشف الهدف من وراء هذا التبشير، حيث يقول: إن للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية مزيتين، مزية هدم، ومزية بناء، أما الهدم فنعني به انتزاع المسلم من دينه لو بدفعه إلى الإلحاد، وأما البناء فنعني به تنصير المسلم إن أمكن ليقف مع الحضارة الغربية ضد قومه[(٤)].

ولعلي أكتفي في هذا المقام بنقل صرخة الشيخ أحمد شلبي ~، التي أطلقها مدوية حرقة على الإسلام في إندونيسيا، قبل عقدين ونصف من الزمان، حيث

(١) نهاية التاريخ (١٤٣).

(٢) انظر مقالة: إنهم يصطادون ضحاياهم عبر الانترنت!، مجلة المجتمع ، العدد (١٦٩٢).

(٣) رئيس المنصرين في الشرق الأوسط، كان متعصباً متعسفاً، انظر كتاب: المستشرقون، نجيب العقيقي (١٠٠٥/٣) .

(٤) انظر: صراع الحضارات وحوار الدبابات، عبدالسلام اللمعي، وانظر للوقوف على تحقيق ذلك كتاب: حرب التنصير في أفريقيا، جبر الله عمر الأمين. وكتاب: احذروا الأساليب الجديدة في مواجهة الإسلام، د/سعد الدين السيد صالح (٤١-٩٨)، وملف: التنصير هل أصاب الهدف، مجلة البيان، العدد (١٥٣)، وكتاب: الغارة على العالم الإسلامي، آل شاتليه، تعريب: محب الدين الخطيب .

صرخ ~ قائلاً: (وفي زيارتي الأخيرة لإندونيسيا (١٩٨١م)، أحسست بالألم والحسرة لتبجح هذا التبشير، وتكالبه وشراسته، وقد اتخذ من مدينة (صالاتيجا) مسرحاً لنشاطه، وقد زرت هذه المدينة، فرأيت كأنها معقل من معاقل الفاتيكان، كلها كنائس وقباب وأجراس ومسوح، وقد عني القائمون بالتبشير بمعاهد التربية بوجه خاص، لتخرج هذه المعاهد مدرسين مسيحيين متعصبين، ينتشرون في البلاد المختلفة، حاملين سم التبشير في أعطافهم)[1].

ولعل من المناسب في هذا السياق، الإشارة إلى الحملة الصليبية الشرسة المعاصرة، تحت ما يسمى بالحرب على الإرهاب ، التي استهدفت في ضمن ما استهدفت المؤسسات الخيرية الإسلامية، تعليمية أو علمية أو إغاثية، بعد أحداث ١١ من سبتمبر ٢٠٠١ تحت ما يسمى بدعم الإرهاب، والضغط على الحكومات لإغلاق تلك المؤسسات أو تحجيم نشاطها وتجميد أرصدتها، بهدف تجفيف منابع الدين الإسلامي في العالم الإسلامي، وتيسير السبيل أمام الإرساليات التبشيرية التنصيرية، التي ازداد نشاطها في تلك البلاد التي كان لهذه الجمعيات أنشطة مباركة فيها[2].

وأودّ في هذا المقام أن أشير إشارات سريعة إلى صفحات دامية من موقف الغرب من الإسلام والمسلمين، خلال هذا العقد والذي قبله ابتداء بمنطقة البلقان (البوسنة، الهرسك، ألبانيا) المسلمة السنية، التي طالها من التصفية الوحشية والقتل الجماعي وتهجير السكان واغتصاب النساء وتنصير من تبقى، ما يعجز الواصف عن وصفه، منذ وقوعها تحت حكم صربيا سنة ١٩١٨م، مروراً بما تجرعوه على أيدي الحكم الشيوعي وانتهاء بحكم الصرب. وإذا كان الغرب النصراني حارب فكرة قيام دولة إسلامية في شمال أفريقيا، لأنها تقع في مواجهة

(١) صراع الحضارات وحوار الدبابات (٢١٠).

(٢) انظر للتوسع كتاب: ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب، د/محمد السلومي (٢٤٨).

أوروبا من جهة جنوب المتوسط، خوفًا من شبح الفتوحات الإسلامية[١]، بعد أن تمكن أصحاب المشروع الإسلامي من الوصول إلى سدة الحكم من الباب الغربي الديمقراطي، وأكذوبة مراعاة إرادة الشعوب. فهل تسمح أوروبا النصرانية بقيام دولة إسلامية سنية على أبوابها؟ وقد صرح أشهر ساستها، الذي ذهب إلى البوسنة فيما أذيع أنه يحمل خطة سلام تقضي على النزاع البوسنوي الصربي المسلح، الذي كان يهدف إلى إبادة الوجود الإسلامي في البلقان، بأن الغرب لن يسمح مطلقاً بوجود دولة على عتبات أوروبا يحكمها المسلمون[٢]. والواقع يقول بأنهم لن يسمحوا بقيام دولة إسلامية في أي مكان من الأرض، ما دام المسلمون في تشرد وتفرق وضعف. وهذا الذي يؤكده الواقع المشاهد في صور لا زالت تتكرر يومًا بعد يوم.

وأما الوثنيون وأهل الشرك وما طالوا به ولا زالوا أهل الإسلام، فيعتبر سلسلة متصلة ليس في تاريخ هذه الأمة فحسب، بل في تاريخ الأنبياء جميعاً، فهم أول من كذب برسالة النبي ﷺ مع كونهم أهله وعشيرته وأعرف الناس بصدقه وأخلاقه، ولكنه موقف المشركين من كل رسول ومن كل رسالة، فهم أصحاب المعركة الرئيسية مع النبي ﷺ في بداية الإسلام، ثم لم يزل حالهم على ذلك .

ففي غزو التتار لديار المسلمين وما صنعوا بهم، صورة مكرورة للعداء الأول، حيث اجتاحوا ديار المسلمين وأدخلوا الرعب في قلوبهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ففي بغداد وحدها عاصمة الخلافة، لم يزل السيف يقتل أهلها أربعين يوماً، ولم يكن ذلك إلا تنفيساً للحقد الكامن في نفوسهم تجاه الإسلام وأهله انتقاماً لمملكة فارس ، حيث سلم من شرهم أهل الذمة اليهود والنصارى، كما ذكر ابن كثير ~ في البداية والنهاية في أحداث سنة ٦٥٦هـ، قال: (ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان. ودخل كثير

(١) انظر: صراع الحضارات وحوار الدبابات (٢٢٣).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢٢٤).

من الناس في الآبار،وأماكن الحشوش، وقنى الوسخ، وكمنوا كذلك أياماً لا يظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات، ويغلقون عليهم الأبواب، فتفتحها التتار، إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم، فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة، فيقتلونهم بالأسطحة ، حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، كذلك في المساجد والجوامع والربط، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم...)[(١)].

والواقع التاريخي الحديث لا تختلف صوره عن هذه الصورة، بل إن ما وقع من الوثنيين تجاه المسلمين عند انفصال باكستان، لا يقل شناعة ولا بشاعة عما وقع من التتار في ذلك الزمن البعيد.. إن ثمانية ملايين من المهاجرين المسلمين من الهند لم يصل منهم إلى أطراف باكستان سوى ثلاثة ملايين فقط! أما الباقين فقد قضوا في الطريق، حيث اعترضتهم العصابات الوثنية المنظمة، فذبحتهم كالخراف على طول الطريق، وتركت جثثهم نهباً للطير والوحش، بعد التمثيل بها ببشاعة منكرة.

أما المأساة المروعة، فهو تصفية خمسين ألفاً من الموظفين المسلمين الذين خرجوا مهاجرين إلى باكستان، حيث دخل القطار المحمل بأولئك الموظفين في نفق بين الحدود الهندية والباكستانية وخرج من الناحية الأخرى وليس به إلا أشلاء ممزقة، بعد أن أوقفت العصابات الوثنية المدربة القطار في النفق، ولم تسمح له بالمضي إلا بعد أن تحول كل من فيه إلى أشلاء ممزقة ودماء متناثرة[(٢)].

وبعد ذلك بسنوات أعلن عن البرنامج الوطني الطموح لإقامة مجتمع هندوسي نموذجي يخلوا من أي عنصر أجنبي، فأرسل ذلك المشروع الوطني للقضاء على الجنس المسلم وتطهير البلاد منه، عن طريق حقن رجال المسلمين بدم البغال، للحد من زيادة النسل المسلم، والقضاء على القدرة الإنجابية عند

(١) البداية والنهاية (٣٥٩/١٧).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (١٦٠٩/٣) .

الرجال[1]. ولا تزال مآسي إخواننا هناك تتجدد يوماً بعد يوم من قتل وتشريد واغتصاب وهضم للحقوق.

أما الشيوعية وما فعلته بالمسلمين، فلا يختلف عن ما سبق. فالشيشان المسلمة لا زالت تعاني من الاعتداءات السافرة للحكم الشيوعي سابقاً والصليبي النصراني حالياً، وتمنع من تقرير مصيرها بقوة الحديد والنار.

أما باقي الولايات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي سابقاً، وما تعانيه من اضطهاد ومحاولة لتصفية الوجود الإسلامي هناك، فهو لا يختلف عن ذلك إلا في اختلاف الصور والأدوار.

لعل ما سبق يكفي لكشف حقيقة موقف الكفار من قضية التدافع مع أهل الحق، وأنه بالنسبة إليهم ضرورة لا يمكن التنازل عنها أو المساومة عليها، حسب المعطيات العقدية والنفسية المشبعة بالحقد على الإسلام، الذي يوقنون تماماً أنه الدين الوحيد الذي يقف في طريق استعبادهم للناس، لذا لم ينحرف مسارهم التاريخي في التعامل مع الإسلام عن ذلك قيد أنملة، وإن أخفوا هذا الوجه الحقيقي لها، فإنما هو من باب المخادعة، ولا تزال فلتات ألسنتهم تفصح عن ذلك وتؤكده.



(١) انظر: صراع الحضارات وحوار الدبابات (١٩٢).

# المبحث الثالث: المنافقــون

النفاق هو: (الدخول في الشرع من باب والخروج عنه من باب) [1].

والمنافق هو: (الذي يستر كفره ويظهر إيمانه) [2]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ~: ( المنافق هو الذي خرج من الإيمان باطناً بعد دخوله فيه ظاهراً ) [3].

فالمنافق يعاني في حياته من ازدواجية بين ظاهره وباطنه، فباطنه الذي ينطوي عليه صدره، ينغل بالكفر والضلال والحقد على الإسلام وأهله، وظاهره الذي يراه الرائي، متزين بكل مظهر من مظاهر الإسلام الظاهرة، فهو كما شبهه النبي ﷺ في الحديث كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر [4].

ولكل من الجانبين سواء الباطن أو الظاهر، متطلباته وحاجاته التي تجعل المنافق يعيش في افتراق بين ظاهر منجي له من دوائر السوء التي يتوقع، ويحقق له ما يرى من مصالح، وباطن مريض مظلم لا يريد النزاهة ولا الطهارة، غلفه الكفر والضلال ملتفت إلى الشيطان وأولياءه. وهذه الحالة التي يعيش فيها المنافق وهي مصدر شقائه، على خلاف الأصل الذي خلق عليه الإنسان من توافق الظاهر والباطن ، لذا كان سلوك النفاق دليلاً على جبن في النفس وخيانة في السلوك، تترفع عنه النفوس الشريفة الأبية حتى وإن لم تكن مؤمنة.

وهؤلاء المنافقون الذين يعيشون في حالة التناقض بين ظواهرهم وبواطنهم يتعرضون باستمرار لعذاب القلق، والخوف من الفضيحة، والضغط النفسي الذي يحملهم على عمل مالا تهوى نفوسهم، بغية المصانعة والظهور بما يتلاءم مع

(١) المفردات (٨١٩).

(٢) لسان العرب، مادة: ن. ف. ق (٣٢٧/١٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٠٠/٧).

(٤) انظر: البخاري من حديث أبي موسى الأشعري ؓ . كتاب: الأطعمة. باب: ذكر الطعام (٥٤٢٧). مسلم. كتاب: صلاة المسافرين وقصرها. باب: فضيلة حافظ القرآن (٧٩٧) .

الإعلان الكاذب.

وقد سجل عليهم القرآن الكريم هذه الحالة من الازدواج في قوله تعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝١٠ ﴾ [البقرة:٩- ١٠]، وذكر سبب هذا الازدواج، وهو المرض الخلقي النفسي الذي وصل إلى داخل دائرة قلوبهم، المتركب من الجبن المصحوب بالخوف من نزول المكاره وفوات المصالح، والطمع الشديد والكفر الذي يحمل على جحود الحق وكراهيته، وسفه العقل الذي يحمل على الشعور بالقدرة على اتخاذ الحيل في المصانعة والتظاهر بغير ما في النفس من مشاعر وأحاسيس[(١)].

والمتأمل للآيات القرآنية التي سجلت مواقف المنافقين، يلحظ أنها جعلتهم فريقين:

**الأول:** فريق متذبذب بين أهل الإيمان وأهل الكفر، وحالة التذبذب النفسي هذه تدفعهم إلى أن يتخذوا أسلوب المخادعة والمصانعة، لستر حقيقتهم وتحقيق مآربهم ومصالحهم مع من كانت ، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلاً ۝١٤١ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً ۝١٤٢ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلاً ۝١٤٣ ﴾ [النساء:١٤١- ١٤٣]. فهم مذبذبون بين المؤمنين والكافرين، مترددون بين الإيمان والكفر، قلقون لا استقرار لهم ولا ثبات على أحد الطريقين، بل هم في تربص دائم بين المؤمنين والكافرين، يراقبون الأحداث بين الفريقين، فمن غلب أو غنم أقبلوا عليه، لأنهم إنما يدورون مع مصالحهم[(٢)]. قال ابن كثير ~: ( كانوا

(١) انظر: ظاهرة النفاق، عبد الرحمن بن حبنكه الميداني (١٥٩/١).

(٢) انظر: المرجع السابق (٦١٥/١).

يصانعون هؤلاء وهؤلاء ليحظوا عندهم ويأمنوا كيدهم، وما ذاك إلا لضعف إيمانهم، وقلة يقينهم ) [1]، فهم (ليسوا من المؤمنين ولا من الكافرين، وهم في التحقيق إلى الكافرين، كما دل عليه آيات كثيرة، كقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ ﴾ وقوله: ﴿ وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فتعين أن المعنى: أنهم أضاعوا الإيمان والانتماء إلى المسلمين، وأضاعوا الكفر بمفارقة نصرة أهله، أي: كانوا بحالة اضطراب، وهو معنى التذبذب، والمقصود من هذا تحقيرهم وتنفير الفريقين من صحبتهم لينبذهم الفريقان)[2].

وهذا الصنف هو المعني بحديث رسول الله ﷺ : (مثل المنافق، كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة) [3]، قال النووي ~: ( العائرة: المترددة الحائرة لا تدري لأيهما تتبع ) [4].

**الثاني**: فريق مرد على النفاق، مستقر في الكفر جزماً[5]، وإن أظهر الإسلام فإنما أظهره ليتوارى بين أهله فيهدمه من داخله،وليفسد أمره، بغضاً للإسلام وخدمة لملته، وهذا الصنف غير متردد بين الكفر والإسلام كحال من سبق، بل هو في الكفر مستقر فيه، قال تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [التوبة:١٠١]، والمعنى: (تمهروا فيه، من مرن فلان عمله ومرد عليه، إذا درب به وضري، حتى لان عليه ومهر فيه، ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله:(لا تعلمهم) أي: يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك، لفرط

(١) تفسير ابن كثير (٤٣٧/٢).

(٢) التحرير والتنوير (٢٤٢/٥).

(٣) مسلم من حديث ابن عمر ، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم (٢٧٨٤).

(٤) شرح صحيح مسلم (١٨٧/١٧).

(٥) انظر: ظاهرة النفاق (١٦٩/١).

تنوقهم في تحامي ما يشكك في أمرهم.. لأنهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم إبطاناً، ويبرزون لك ظاهراً كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه في إيمانهم، وذلك أنهم مردوا على النفاق وضروا به فلهم فيه اليد الطولى) [(١)].

وبملاحظة الآيات الواردة في المنافقين، والمسار التاريخي لأمة الإسلام على مدى أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، يمكن للمتأمل أن يتوصل إلى موقف المنافقين من التدافع، وهو أنهم يرونه ضرورة ملحة لتحقيق مصالحهم ومآربهم التي يريدون.

لكنهم وإن كانوا يرون التدافع بتلك الأهمية، إلا أن أسلوبهم في تعاطي ذلك وانتهاجه يختلف عن غيرهم، لأنه نابع من عقيدتهم التي تعتمد على المخادعة والمصانعة، والمبالغة في التستر وإخفاء المكر والدهاء، فهم لا يواجهون بصور المدافعة الظاهرة. ومن الآيات الموضحة لموقفهم ذلك:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ ﴾ [البقرة:١٤].

ففي هذه الآية إشارة إلى موقف المنافقين من التدافع، فهم يصرحون لأوليائهم، المعبر عنهم في الآية بـ(شياطينهم)، وهم سادتهم في الكفر والضلال، قال الطبري ~: ( مردتهم وأهل العتو والشر والخبث منهم ومن سائر أهل الشرك، الذين هم على مثل الذي هم عليه من الكفر بالله وبكتابه ورسوله، وهم شياطينهم ) [(٢)].

وقال الزمخشري: ( الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم ) [(٣)]، فهم يصارحونهم في حال انفرادهم بهم، بأن الحامل لنا على مصانعة أهل الإيمان

(١) الكشاف (٤٤٧)، وانظر: التفسير الكبير (١٣١/٦).

(٢) تفسير الطبري (١٦٣/١).

(٣) الكشاف (٤٨).

وإظهار أنا معهم، ما نرجوا من وراء ذلك حين يأمنون جانبنا، ( فيركنون لنا، ويطمئنون إلينا، فنصيب منهم خيراً، ونترصد غراتهم للإيقاع بهم، أو التخلي عنهم عند حاجتهم إلينا، وننصر أعداءهم الصرحاء المجاهرين بعداوتهم، ونحن ضمن صفوفهم )[1].

واستخدموا التأكيد في ذلك بقولهم: (إنا معكم إنما نحن مستهزءون)؛ ليؤكدوا لسادتهم بقاءهم على ملتهم، لما قد يتطرق إلى قلوب سادتهم من الشك في أمرهم وتطرق التهمة إليهم بسبب إبداعهم في النفاق والعياذ بالله، فهم ينفون عن أنفسهم ذلك بالتأكيد على بقائهم في الكفر، وما يرجون من وراء ذلك النفاق[2].

وهذا الذي يفعلونه بتصريحهم هم، إنما هو نوع من مدافعة أهل الإيمان، لكن بأسلوب خفي مستور بستار التظاهر بالإسلام.

وقال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحشر:١١].

فهذه الآية فيها التصريح من المنافقين بمدافعة النبي ﷺ وأهل الإيمان، بوقوفهم مع أهل الكفر من اليهود، يتضح ذلك جلياً من وعودهم التي قدموها لأوليائهم من اليهود وهي:

**أولاً**: ﴿ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ﴾، فهم يعنون النبي ﷺ وصحابته بعدم الطاعة.

**ثانياً**: ﴿ وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ ﴾ .

فهذه وعود بالوقوف مع اليهود، وإن كان الله كذبهم في وعودهم هذه، كما قال تعالى في آخر هذه الآية والتي تليها: ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ

(١) ظاهرة النفاق (١/١٧٠).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١/٢٩١).

لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ إلا أنه يوضح موقفهم من الإسلام وأهله، وهو المدافعة ولو بتحريض غيرهم على الإيقاع بأهل الإيمان.

وقد ذكر البيضاوي ~ في معنى الآية، أنهم وعدوهم بأنكم إن أخرجتم من دياركم لنخرجن معكم، ولا نطيع في قتالكم أو خذلانكم رسول الله والمؤمنين، وإن قوتلتم لنعاوننكم[1].

وهذه الوعود التي أعطوها لليهود تكشف عن خبيئة نفوسهم، وما يحملون من غيض عظيم للإسلام وأهله، وحرص شديد على الإيقاع بهم ومدافعتهم، فكرروا تلك الوعود كما عبر عن ذلك في الآية بالفعل المضارع ( يقولون) الدال على تكرر الفعل منهم، والتأكيد بلام التوكيد ونونه الثقيلة في قولهم: ( لنخرجنَّ، لننصرنَّكم )[2]، والضمير الدال على صرفهم النصر والمعونة لهم دون غيرهم في قولهم (معكم، ننصرنكم).

وهم أيضاً يحرضون في مجامعهم جماعتهم، وفيهم الذين يتخذون قليل الإنفاق على فقراء المسلمين ستاراً يسترون به نفاقهم، فيقولون لهم: ﴿ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ [المنافقون:٧]، فيحرضونهم على قطع تلك النفقة مع قلتها، رجاء أن ينفض الناس عن رسول الله ﷺ حين لا يجدون ما يسد جوعهم ، لعلمهم بقلة ما بيد النبي ﷺ وسوء ظنهم بالله، لذا عقب بعد ذكر ظنهم ذلك بقوله: ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾، رداً عليهم ظن السوء، وتوجيهاً للمؤمنين أن يلزموا دينهم ويلازموا نبيهم، وأن لا يلتفتوا إلى خطة أعدائهم الذين يحاربونهم بسلاح الحصار والتجويع، ومحاولة سد أبواب الرزق والعمل[3]، لأن الذي بيده الأرزاق جميعاً هو الله، فناسب المجيء بلفظ (خزائن) مراعاة لهذا المعنى المستوعب لكل

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي (٢٠١/٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٩٩/٢٨).

(٣) انظر: في ظلال القرآن (٣٥٧٩/٦).

رزق في سماء أو أرض.

وهذا تصريح منهم بمدافعة الإسلام، مبطن بلبوس النصيحة، (والرفق برسول الله ﷺ من كلفة إنفاق الأعراب.. وباطنه إرادة إبعاد الأعراب عن تلقي الهدي النبوي، وعن أن يتقوى بهم المسلمون، أو تفرق فقراء المهاجرين لتضعف بتفرقهم بعض قوة المسلمين) [(١)].

كذلك تصريحهم بمدافعة النبي ﷺ وأهل الإيمان، متمثلاً في قولهم: ﴿ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون:٨]، وهو من كلام رأس المنافقين ( ابن سلول )، ( ويعني بالأعز: نفسه وأصحابه، وبالأذل: المؤمنين ) [(٢)]، ورغم أنه القائل المتحدي كما هو واضح من سبب نزول الآية[(٣)]، إلا أن اللفظ القرآني جاء بصيغة الجمع: ( يقولون ) ليشمل عموم المنافقين؛ لأن عمومهم موافق له على مقالته، وهم لو وجدوا إلى ما أظهره الله من الحقد على ألسنتهم بقتال النبي ﷺ وأصحابه ومدافعتهم سبيلا، سواء منهم أو ممن يقومون بتحريضهم على أهل الإيمان، لأخرجوهم ولأوقعوا بهم ولم يدخروا فيه وسعاً[(٤)].

وقال تعالى فاضحاً المنافقين حين يجتمع بعضهم ببعض، فيوصي بعضهم بعضا، ويحرضون بعضهم على مدافعة النبي ﷺ وأهل الإيمان: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ [المجادلة:٨].

فعبر بالتناجي، الذي هو من (ناجيته، أي: ساررته، وأصله أن تخلو به في نجوة من الأرض) [(٥)]، قال ابن عطية ~: ( نزلت في المنافقين وقوم من اليهود كانوا في المدينة يتمرسون برسول الله ﷺ ، ويتربصون بهم الدوائر، ويديرون عليهم،

(١) التحرير والتنوير (٢٤٦/٢٨).

(٢) البحر المحيط (٣٨٢/٨).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠٥/١٢).

(٤) انظر: ظاهرة النفاق (٢٧٨/٢).

(٥) المفردات (٧٩٣).

ويتمنون فيهم المكروه، ويتناجون بذلك ) [1].

وقال تعالى فاضحاً خطة المنافقين التي بدأوا تنفيذها في مؤامرة كيدية ضد النبي ﷺ وأهل الإيمان، مع عدو الله المنافق (أبي عامر الراهب)[2]، الذي سماه ﷺ الفاسق: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝١٠٧ ﴾ [التوبة:١٠٧]، حيث (أرسل المنافق، أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح، فإني ذاهب إلى قيصر، وآت بجنود ومخرج محمداً وأصحابه من المدينة)[3]. فجعلوا أنفسهم القنطرة التي يصل عليها الأعداء الظاهرون للإسلام وأهله، للوقيعة بهم بما يحقق أهدافهم جميعاً.

وفعلهم هذا صريح في بيان موقفهم من مدافعة أهل الإيمان،ومن تأمل النص وجد ذلك واضحاً جلياً من خلال ما يلي:

١- وصف الله سبحانه لفعلهم ذلك بالضرار، وهو في اللغة على معنيين كلاهما منطبق على فعلهم. الأول: المخالفة: من ضاررت الرجل مضارة وضراراً، إذا خالفته.

والثاني: إنزال الضرر، من ضاره مضارة وضراراً، إذا اتخذ أسباب إنزال الضرر به، فهم قصدوا من بنائهم مضارة المسلمين ومدافعتهم[4].

٢- كشف الله لما بيتوه وراء بناء مسجد الضرار، وهو تفريق صف المسلمين وبث الخلاف بينهم، واصطياد ضعاف النفوس من المسلمين ليضموهم إليهم، فقال سبحانه:



(١) المحرر الوجيز (١٨٣٢).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٤٦٩/٦)، السيرة النبوية، ابن هشام (٥٢٩/٢).
(٣) الكشاف (٤٤٩).
(٤) انظر: ظاهرة النفاق (٤٠٨/٢).

﴿ وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، وجعله قاعدة يفيء إليها المنافقون، بها يجتمعون ويخططون، ومنها ينطلقون لتحقيق أهدافهم من وراء هذا الفعل ببناء يبدو في ظاهره أنه أقيم لذكر الله، لكن حقيقته التي بيتها المنافقون، وكشفها الله لرسوله والمؤمنين، مدافعة المؤمنين والوقيعة بهم، فقال سبحانه: ﴿ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ ، والإرصاد: الإعداد والتهيئة(١).

ولقد أرشد القرآن الكريم إلى كثير من أساليب المنافقين في مدافعة أهل الإيمان،واعتمد في ذلك أسلوب فضح الأفعال وتسجيل المواقف، دون التعرض للأسماء والشخصيات، لتبقى دليلاً لأهل الإيمان يعرفون به من تلبس بالنفاق، ليحسنوا التعامل معه وفق الرؤية الشرعية، وليكونوا منه على حذر، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ [محمد:٣٠].

**ومن هذه الأساليب على سبيل المثال:**

١- السخرية بالمؤمنين وتنقص دينهم:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [البقرة:١٤].

وقال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ [النساء:١٤٠]، قال الزمخشري: ( وكان أحبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين، فنهو أن يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة، وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الأحبار هم المنافقين )(٢).

(١) المصدر السابق.

(٢) الكشاف (٢٦٦).

٢- موالاة الكافرين، وتحريضهم ضد المؤمنين:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [آل عمران:١١٨].

٣- تخذيل المؤمنين وشق عصاهم، والسعي بالفتنة بينهم:

قال تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [التوبة:٤٧].

وقال تعالى: ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿١٨﴾ ﴾ [الأحزاب:١٨].

وقال تعالى:﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأحزاب:٦٠].

٤- الوقيعة في أعراض أهل الإيمان وتنقصهم:

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [التوبة:٦٥].

وقال تعالى: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الأحزاب:١٩] [١].



(١) راجع للتوسع: النفاق وأثره في حياة الأمة، د/عادل الشدي (١٢٧-٣٠٢).

# المبحث الرابع: الغافلـــــون

جمع غافل، من غفل فهو غافل، و(الغفلة، سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ)(١)، والغافلون في هذا الباب صنفان:

صنف لا يتفطنون لهذه السنة أصلاً، فيتعاملون مع المستجدات والأحداث بعفوية دون النظر إلى خلفياتها وأسبابها، وهم بالأحرى لا يربطونها بأصلها في مجال السنن الإلهية، لجهلهم بهذا الجانب من البيان الإلهي.

وصنف يعلم هذه السنة، لكن ربما تأثر بلوثة فكرية، أدت به إلى القصور في فهمها وعدم إدراك مجالاتها الواسعة، فقصرها في جانب من حقيقتها، وكلا الفريقين قد جنى على الإسلام وأهله جناية عظيمة، حين غيب من سنة التدافع وجهها الحقيقي المؤثر، وهو ما يختص بعلاقة المسلم بأعدائه، ليأتي الجواب في الأسطر التالية عن السؤال الذي طرحناه عند حديثنا عن موقف الكفار، وهو السبب الذي حمل بعض المنهزمين على التخلي عن التصور الصحيح لسنة التدافع من المنظور الإسلامي .

فأما الصنف الأول، والذي يمثل السواد الأعظم من بني البشر، فهم يجهلون سنة التدافع لجهلهم بأن لله سننا تحكم الحياة والأحياء، فبرغم أن هذه السنة واضحة للمشاهد، تتبدى صورها للإنسان في كل صفحة من صفحات الحياة، إلا أنهم لا يلتفتون إليها ولا يتفطنون لها. كما قال تعالى عن صنف من عباده تعرض عليهم الآيات الدالة على الله سبحانه، فلا يكون حظهم منها إلا الغفلة عنها، أو ملاحظة ظاهرها دون التأمل فيها والاستدلال بها على مبدعها وموجدها: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس:١٠١]، فالآيات جمع آية، وهي العلامة، والمراد بها: آثار القدرة الإلهية في الأنفس والآفاق ومنها السنن الإلهية(٢). والنذر: جمع نذير، وهم الرسل المنذورن وما جاءوا به من النذارات(١)،

---

(١) المفردات: (٦٠٩).

(٢) انظر: مقومات التصور الإسلامي (٢٧٥).

(والمعنى: أن الآيات الكونية على ظهور دلالتها،و النذر التشريعية على بلاغة حجتها، لا فائدة فيهما ولا غنى لقوم لا يؤمنون بالله، عن الإيمان الذي يهديهم إلى الاعتبار بالآيات، والاستدلال بها على ما تدل عليه أكمل الدلالة من وحدانية الله وقدرته، ومشيئته وحكمته، وفضله ورحمته، والاعتبار بسننه في خلقه) [(٢)]، وكل ذلك حاصل بتأمل آياته الكونية والشرعية.

وقال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [يوسف:١٠٥]، فوصفهم بالإعراض عنها، يقال: أعرض عن كذا، أي: ولى مبديا عرضه، أي جانبه[(٣)]، أشارة إلى عدم اكتراثهم بتلك الدلائل والعلامات المبثوثة في الأنفس وفي الآفاق، فهم يشاهدونها لكنهم معرضون عنها لا يعتبرون بها[(٤)]، كما قال تعالى في بيان سبب عدم اكتراثهم أو التفاتهم إليها: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج:٤٦]. فعيونهم مفتحة مبصرة، ولكن قلوبهم مغلقة عن الهدى الإلهي والرؤية الشرعية المعتبرة.

ومن هذا الصنف على سبيل المثال مما يتعلق بالجهل بجانب السنن الإلهية عامة، وسنة التدافع خاصة، من يطالب المسلمين بنسيان تاريخهم الطويل في علاقتهم مع أعدائهم، وبخاصة النصارى، وتغيير موقفهم منهم، حيث يقول أحدهم رغم إقراره بتاريخهم الدامي مع أهل الإسلام: ( هل مما ينفعنا أن نستعيد ذلك الماضي مجرداً عن ظروفه ومفاهيمه وما أحاط به من مناخ، هل هو مما يجوز أن يكون موقفنا الموروث عن الغرب الصليبي، عندما كانت تتنادى أممه لغزو المسلمين، وتملأ صدور أفراده بالكراهية لهم، وتغذي عقولهم بتشويه صورة الإسلام، ويبذلون كل ما يستطيعون لصد دعوته ومنع نشر رسالته، هل يجوز أن

---

(١) انظر: الكشاف (٤٧٥).

(٢) تفسير المنار (٤٨٦/١١).

(٣) انظر: المفردات: (٥٥٩).

(٤) انظر: الكشاف (٥٣٢).

يكون ذلك الموقف هو موقفنا الآن من الغرب اليوم، وقد جعل أبوابه بلا مصاريع يدخل منها إلى بلاده آلاف الدعاة للإسلام يبلغون دعوته وينشرون رسالته، وأقيمت على أرضه آلاف المنشآت الإسلامية من المساجد والمدارس والمراكز، يلتقي فيها المسلمون وتؤدى فيها الجمع والجماعات،ويدرس فيها الإسلام... قد يكون مما يجلى الصورة أن نسأل هذا السؤال: هل سيبقى أثر الحروب الصليبية في نفوسنا على ما هو عليه لو استحضرنا ذلك الماضي، أو تصورناه بل وحاكمناه متذكرين أن الحروب الصليبية ليست حالة شاذة ولا حدثاً فريداً خصت به العلاقة بين المسلمين والنصارى في تاريخ الشعوب والمجتمعات، وأن المنازعات والاقتتال صفحات منقوشة في تاريخ كل البشر )[١].

فهذا على سبيل المثال غفلة عن النصوص الإلهية التي بينت طبيعة العلاقة بين المسلمين وأعدائهم، وجهلاً بمجال السنن الإلهية التي تدل على أن التدافع بين الحق والباطل والخير والشر سنة إلهية ماضية، ما بقي على وجه الأرض مسلم وكافر، وأن هذه السنة لها ارتباط بسنن إلهية أخرى كسنة الاختلاف والتنوع التي ينشأ عنها التدافع أصلاً.

وأن ما يحلم به المستغفلون من عالم تسوده الرأفة والرحمة والوئام والسلام، رغم الاختلاف الكبير، والتباين الواضح في طبائع الناس ومعتقداتهم ورغباتهم، لا يمكن أن يتصور إلا في الذهن، حيث يتصور أن يعيش الناس على نمط واحد في كل شيء، أما وجوده في عالم الواقع، فهو حلم لا يلبث أن تبدده حقائق السنن الإلهية التي تحكم الحياة والأحياء بالتدافع والتنوع والاختلاف.

على أن التسويق لفكرة أن الغرب مثلاً، قد تغير في تعامله نتيجة لتغير منطلقاته، أو أن العالم بمختلف تركيباته السياسية وخلفياته العقدية والثقافية، يمكن أن يقف على أرضية واحدة وتظلله مظلة واحدة، حتى يقول الكاتب: ( إنه لا يجوز كذلك أن نغمض أعيننا ونصم آذاننا عن تباشير انبعث من الجانب الآخر، هي

(١) فلسفة الكراهية، دعوة للمحبة، راشد المبارك (٥٠).

ومضات من الضوء أنارت وتنير في عقل الإنسان ووجدانه زوايا ما تسلل إليها النور في ماضيه، وأصواتاً أيقظت في ضميره شيئاً من وعيه بكرامته ومنزلته من حيث هو إنسان ، ومن حيث علاقته ببني جنسه، تجلى ذلك في صور مثيرة وأماكن كثيرة لا تنحصر فيما جاء عن تأصيل حق الإنسان وكرامته والحفاظ على ماله من حقوق، في الدستور الأمريكي الذي انتهت به حروبهم الأهلية وتحرر العبيد، ولا بما جاء في بيان الثورة الفرنسية، أو بما جسدته وبلورته وثيقة حقوق الإنسان التي وضعتها الأمم المتحدة واتفقت عليها وأقرتها شعوب العالم وحكوماته.

لقد صار المجتمع البشري بدوله وشعوبه يتلمس المنافع والمواقع التي توحد بين دوله، ويتطلع إلى مواضع تجمع بين شعوبه، ويتطلع إلى تسامح يؤلف بين طوائفه وأممه.

في هذا الاتجاه جاء التجمع الأوربي التي بدأت مساحته تتسع منذ بدء، ويزداد عدد أفراده ويجذب كثيراً ممن حوله راغبين الانضمام إليه والاندماج معه..) [(١)].

فهذا الكلام إنما يمثل في حقيقته دعوات مستهلكة، مصدرها الجهل بالسنن الإلهية، وسببها الهزيمة النفسية التي يعاني منها بعض الباحثين نتيجة للتفوق المادي للغرب، والضعف الذي أصاب الأمة الإسلامية، والانخداع إذا أحسنا بهم الظن بالدعوات المغلفة التي يطلقها الغرب هنا وهناك، من حوار للحضارات، ودعوة للتعايش والسلام، في حين أن الواقع يصرخ بعكس ذلك تماماً، وما هدفهم إلا تخدير شعوب العالم ليتمكنوا من فرض سيطرتهم ونشر ثقافتهم على الأمم والحضارات .

وأما الصنف الثاني، وهم الذين يعلمون سنة التدافع ولا يجهلونها، غير أنهم يختزلونها في جانب من جوانبها، متأثرين بمنهج عقلاني يتعامل مع النصوص الشرعية بانتقائية توافق عقولهم وخلفياتهم، لذا يعرفون التدافع بأنه: (حراك اجتماعي وثقافي وحضاري، أي تنافس وتسابق بين الحضارات، يعدل المواقف

(١) فلسفة الكراهية دعوة للمحبة (١٧٦)، والكاتب متخصص في الفيزياء، وذو اطلاع واسع على أدب اللغة، وقارىء مجيد للفلسفة، كما جاء في التقديم لكتابه.

الظالمة، والممارسات الجائرة، والعلاقات المنحرفة، دون صراع يصرع الأطراف الأخرى -فيلغي التعددية- وإنما بالحراك والتسابق الذي يعيد العلاقات المختلفة إلى درجة التوازن والعدل في العلاقات المختلفة بين مختلف الفرقاء )[١] .

فبتأمل هذا التوصيف للتدافع، واستحضار ما مضى في صور التدافع في القرآن يمكن أن نصل إلى ما يلي:

١- أن هذا التوصيف للتدافع، لو كان توصيفاً لمجاله في داخل المجتمع الواحد، أو في داخل الحضارة الإسلامية لسلم لمن يقول به .

إذ إن التدافع في داخل المجتمع عبارة عن: الحراك والتسابق والارتقاء الذي يضبط مسار المجتمع ويزيل عنه الممارسات الجائرة، والانحرافات المتعددة، سواء في السلوك والأخلاق، أو في ميدان الاقتصاد، أو في مجال السياسة، أو في الحياة الاجتماعية، أو النواحي العلمية، التدافع البعيد عن الاقتتال أو الاحتراب، الذي يضمن للمجتمع المسلم أن يسير في حالة من التوازن الذي يتطابق مع المسار الشرعي الحنيف .

٢- أنا وإن سلمنا بهذا التعريف للتدافع داخل الحضارة الواحدة، إلا أنا لا نسلم بأنه التدافع بمفهومه العام، لأنه يختزل جانباً مهما من جوانب التدافع وصوره، وهو الذي يكون بين الحضارات المختلفة كالقتال وهو من التدافع، بل إن النص على هذه السنة في القرآن إنما جاء في سياق القتال، سواء في آية البقرة التي أتت تعقيباً على قصة طالوت، وقتل داود ﷺ لجالوت، أو آية الحج التي أتت بعد الإذن للمؤمنين بقتال أعدائهم، وبناء عليه فهو يلغي جانباً من السنن الإلهية التي ورد في القرآن الإشارة إليها، كسنة الصراع بين الحق والباطل بمفهومها الشرعي العام، وسنة الاختلاف، وقد سبقت الإشارة إلى أن السنن الإلهية تعد منظومة مترابطة وسلسلة متصلة كل حلقة منها تؤدي إلى الأخرى .

(١) تقديم د/محمد عمارة لكتاب: حوار الحضارات، لعطية الويشي ( ١٧ ) .

٣- أن هذا التوصيف للتدافع لم يكن غريباً من قائله، أو من ينتهج هذا النهج، لأنه موافق لخلفية فكرية، تقتضي عند التحقق منها إلغاء التميز الذي يفتخر به المسلم بكونه على الحق وحده، وأن ما سوى الإسلام إنما هي أديان محرفة باطلة قضى الإسلام على معتنقيها بالضلال والكفر والخلود في النار إن ماتوا عليها، كما قال ﷺ: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار) [(١)] .

فهم يصححون ما عليه النصارى واليهود، ويعتبرون ما هم عليه أديانًا سماوية موصلة إلى الله، ومن ثم فهم يتعاملون مع أهلها كما لو كانوا يتعاملون مع إخوانهم في الدين من غير فوارق ولا فواصل، وليس ثمة براء بل هو الولاء المطلق .

يقول الكاتب في كتابه: الإسلام والآخر: ( ولذلك كانت الرؤية الإسلامية للمستقبل، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، على أنه مستقبل تتعدد فيه الملل والشرائع والديانات، وظهور الإسلام على الدين كله هو ظهور (الحلول) الإسلامية وليس وراثة الإسلام لسائر الشرائع والديانات )[(٢)] .

ويقول في كتاب تجديد الفكر الإسلامي: ( والفروق بين المسلمين وأهل الكتاب ليست من الخطر بحيث تخرج الكتابيين من إطار الإيمان والتدين بالدين الإلهي )[(٣)] .

ويقول بكلام أكثر إفصاحاً: ( الفوز بأجر الله سبحانه وثوابه والنجاة من العذاب الذي تحدث عنه القرآن في وعيده الذي توعد به العصاة، والسعادة الإلهية التي تنفي الحزن ... كل ذلك حق وعد به الله سبحانه لا المسلمين المؤمنين بالشريعة المحمدية فقط، وإنما مطلق المتدينين بالدين الإلهي، الذين جمعوا إلى إيمانهم بالألوهية الإيمان بالجزاء والحساب وعملوا لذلك عملاً صالحاً ... جميع هؤلاء قد صدق الله لهم الوعد

---

(١) مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ. كتاب: الإيمان. باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، رقم (١٥٣) .

(٢) الإسلام والآخر، د/محمد عماره (١٩) .

(٣) تجديد الفكر الإسلامي، د/محمد عماره (٨٢) .

بالنجاة والسعادة والأمن، سواء منهم الذين آمنوا بشريعة محمد أو موسى أو عيسى ....

ولقد يحسب البعض -وتلك قضية هامة- أن هؤلاء المبشرين بالنجاة من أتباع الشرائع السماوية غير المحمدية هم من عاشوا وماتوا قبل البعثة المحمدية، أما من أدرك هذه البعثة، أو جاء بعدها فلن ينجيه الإيمان بالله والآخرة والعمل الصالح، إلا إذا هو آمن بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام، قد يحسب البعض هذا، ولكننا نجد في القرآن ما يقطع بأن اختلاف الشرائع السماوية حتى بعد البعثة المحمدية، لن يحول بين فرقائها الذين توزعتهم وبين النجاة )[1] .

٤- أن هذا الإختزال لجانب من سنة التدافع، يترتب عليه آثار سيئة خطيرة، هي في حقيقتها تغييب للتصور الصحيح لقضية التدافع بين الحق والباطل، بين المؤمنين وغيرهم، ومن تلك الآثار:

**أولاً**: إلغاء شريعة جهاد الطلب، وقصره فقط في جهاد الدفع، وذلك واضح جلي من قوله: ( دون صراع يصرع الأطراف الأخرى -فيلغي التعددية- )، ثم قوله بعد ذلك: (وعندما أذن الله ﷻ لرسوله ﷺ وللمؤمنين بالقتال -قتال الذين أخرجوهم من ديارهم وقاتلوهم وفتنوهم في الدين- جاء الحديث عن ( التدافع) لتكون غايات القتال -الذي فرض على المسلمين وهو كره لهم- هي تعديل مواقف المشركين من مواقع

(١) الإسلام والوحدة القومية، د/محمد عمارة (١٤١، ١٤٢) . والمؤلف هو: محمد عمارة مصطفى عمارة: ولد بريف مصر سنة (١٣٥٠هـ)، وتعلم في المدارس والمعاهد الأزهرية، تخرج من كلية دار العلوم، ونال درجة الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإنسانية، اشتغل بدراسة الأعمال الكاملة لعدد من المعاصرين الذين تأثر بفكرهم، مثل: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ورفاعه الطهطاوي وغيرهم، حصل على الماجستير ثم الدكتوراة، له الكثير من المشاركات في الدوريات والمجلات، والمؤتمرات والنداوات، وله كتب كثيرة. انظر: سيرته الذاتية في كتاب: الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية (٥٣)، وعموماً فهو من رواد فكر التنوير ودعاة التجديد، أو من يسمون بالعصرانيين. انظر كتاب: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، د/سفر الحوالي (٨٥) .

العداء المشترك المعتدي إلى مواقف السلام، فهو (حراك) لا (نفي وإهلاك) ) [1].

**ثانياً**: تمييع عقيدة الولاء والبراء، هذا الركن العقيدي المهم، الذي ينبثق من الإيمان بشهادة الإخلاص، ويقوم على تقديم الموالاة لكل مؤمن رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا، والبراء من كل من خالف ذلك أو انتقص منه كل بحسبه، كما قال تعالى:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٧١ ﴾ [التوبة:٧١].

وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٢٢ ﴾ [المجادلة:٢٢].

وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١ ﴾ [الممتحنة:١].

وفي حديث أبي أمامة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: (من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان) [2]. بإذابة الفوارق، وإزالة الفواصل بين المسلم وبين غيره، في حين أن ذلك الغير لا زال يذكي تلك الفواصل والفوارق في نفوس أفراده .

---

(١) تقديمه لكتاب: حوار الحضارات لعطية الويشي (١٨) .

(٢) أبو داود. كتاب: السنة. باب: الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٤٦٨١)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٩١٥) والسلسلة الصحيحة (٣٨٠) .

**ثالثاً**: تصحيح ما عليه اليهود والنصارى من عقائد محرفة وشعائر فاسدة، جاء الإسلام بإبطالها، وحكم القرآن بضلال أهلها، مع ما فيه من إمتهان لأحكام الإسلام وحط من مكانته وقدره، فـ( هم يحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم بأن الله لا يقبل دينا إلا الإسلام، وبأن عليه أن يحقق منهج الله الممثل في الإسلام ولا يقبل دونه بديلا، ولا يقبل فيه تعديلا ولو طفيفا، هذا اليقين الذي ينشئه القرآن الكريم وهو يقرر: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ .. ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ .. ﴿ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ .. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ .. وفي القرآن كلمة الفصل .. ولا على المسلم من تمييع المتميعين وتمييعهم لذا اليقين! )[1] .

---

(١) في ظلال القرآن (٩١٢/٢) .

# الفصل الخامس

## حكم وآثار سنة التدافع

وفيـــه ثلاثـــة مباحـــث :

- المبحث الأول: الفـــــــرد.
- المبحث الثاني: الأمـــــــة.
- المبحث الثالث: الكـــــــون.



* * * * * *

## ۞ تمهيـــــد:

سبقت الإشارة في خصائص السنن الإلهية إلى أنها منتظمة بنظام الحكمة والإبداع، مسيرة بتقدير الله سبحانه الذي دبرها وفق حكمته. وسنة التدافع من جملة تلك السنن الإلهية الداخلة في ذلك الإطار، المتميزة بتلك الخصيصة كباقي السنن الإلهية .

وقد يخفى على بعض من تأمل في مجالات سنة التدافع، الحكمة في جوانب من بعض تلك الصور والمجالات، إذ يراها شراً في ظاهرها، مؤلمة في وقعها، وذلك كدفع الكافرين للمؤمنين، أو دفع الصحة بالمرض مثلاً، ومع كون ذلك شر في ظاهره، إلا أن الحقيقة أن ذلك وإن بدا في ظاهره الشر، إلا أن الخير في باطنه وإن جهله من جهله، كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران:٢٦]، فأثبتت الآية أن الملك كله لله، هو المتصرف فيه سبحانه كيف شاء وفق ما تقتضيه حكمته، وسلبه الملك ممن يشاء، وإذلاله من يشاء هو عين الحكمة منه سبحانه، وإن كان في ظاهره أنه شر لمن وقع عليه .

قال ابن قيم ~: ( فتناولت الآية ملكه وحده، وتصرفه وعموم قدرته، وتضمنت أن هذه التصرفات كلها بيده، وأنها كلها خير، فسلبه الملك عمن يشاء، وإذلاله من يشاء خير، وإن كان شراً بالنسبة إلى المسلوب الذليل، فإن هذا التصرف دائر بين العدل والفضل والحكمة والمصلحة لا يخرج عن ذلك، وهذا كله خير يحمد عليه الرب ويثنى عليه به كما يحمد ويثنى عليه بتنزيهه عن الشر، وأنه ليس إليه، كما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ كان يثني على ربه بذلك في دعاء الاستفتاح في قوله: (لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت) [1] فتبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه، بل كل ما نسب إليه فهو

(١) مسلم من حديث علي بن أبي طالب ﷺ. كتاب: صلاة المسافرين وقصرها. باب: الدعاء في صلاة =

خير، والشر إنما صار شراً لانقطاع نسبته وإضافته إليه ... وهو سبحانه خالق الخير والشر. فالشر في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله، وخلقه وفعله وقضاؤه وقدره خير كله ... فأسماؤه الحسنى تمنع نسبة الشر والسوء والظلم إليه، مع أنه سبحانه الخالق لكل شيء، فهو الخالق للعباد وأفعالهم وحركاتهم وأقوالهم. والعبد إذا فعل القبيح المنهي عنه كان قد فعل الشر والسوء، والرب سبحانه هو الذي جعله فاعلاً لذلك. وهذا الجعل منه عدل وحكمة وصواب، فجعله فاعلاً خير، والمفعول شر قبيح. فهو سبحانه بهذا الجعل قد وضع الشيء موضعه لماله في ذلك من الحكمة البالغة التي يحمد عليها. فهو خير وحكمة ومصلحة، وإن كان وقوعه من العبد عيباً ونقصاً وشراً...

فما أراد أن يخلقه أو يفعله كان أن يخلقه ويفعله خيراً من أن لا يخلقه ولا يفعله، وبالعكس. وما كان عدمه خيراً من وجوده فوجوده شر وهو لا يفعله، بل هو منزه عنه والشر ليس إليه) (1). ومن تأمل الحكم والآثار المترتبة على كل صورة من صور التدافع تكشف له شيء من الحكمة في ذلك.

وطلب الحكم والآثار وتلمسها سواء في الآيات الكونية، أو في الآيات والأحكام الشرعية أمر محمود شرعاً، لما يعود به على المكلف من فوائد كثيرة، منها زيادة إيمانه، وصدق يقينه، وأخذه أمر الله بقوة وعزيمة، بل كلما كان حظ العبد من ذلك أوفى كان التزامه بأحكام الدين أوفر، كما قال تعالى عن العلماء من عباده: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر:٢٧- ٢٨]، مزكياً لهم بأنهم أهل الخشية منه، بعد ذكر التفاوت بين المخلوقات في أشكالها وألوانها،ومنها النبات الذي يسقى بماء واحد، مثله مثل القلوب التي تسقى بماء الوحي والذكر الإلهي، فتتفاوت

---

= الليل وقيامه (٧٧١).

(١) شفاء العليل (٢/٦٣-٦٦-٦٧).

وتختلف في تعاطيها مع غيث الوحي، وفي إدراكها لحكم وآثار الآيات الكونية والشرعية، إعمالاً منها للعقل الذي ميزت به فيما خلق له من التأمل والاستنباط، قال شيخ الإسلام ~: ( وإذا علم العبد من حيث الجملة أن لله فيما خلقه وما أمر به حكمة عظيمة كفاه هذا، ثم كلما ازداد علماً وإيماناً ظهر له من حكمة الله ورحمته ما يبهر عقله، ويبين له تصديق ما أخبر الله به في كتابه ) [(١)].

وهو مجال يعتمد على النظر والتأمل من كل مهتدٍ بنور الله، ليتكشف له من ذلك ما لم يتكشف لغيره، والحكم والآثار من هذه السنة كثيرة متعددة، باتساع مجال هذه السنة المبثوثة في صفحات الكون، لذا سأكتفي بذكر شيء من تلك الحكم والآثار على مستوى الأفراد ثم الأمة ثم الكون، مبتدئًا بالحكم ثم الآثار.



(١) مجموع الفتاوى (٩٧/٨).

# المبحث الأول: الفـــرد

إن مما تميز به الخطاب في القرآن الكريم تنوعه في توجيه خطابه للمخاطبين، فنجده يخاطب الإنسان باعتباره فرداً مكلفاً، وكياناً مستقلاً بما ركب فيه من خصائص وميزات تميزه عن غيره، فخاطبه بتكاليف وأوامر باعتبار هذه الفردية، وبنى على ذلك محاسبته يوم القيامة وجزاءه بمفرده على ما جنت يداه، معتبراً الأصل أنه مسؤول عن عمله لا يكلف بعمل غيره، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ ﴾ [فاطر:١٨]، وخاطبه باعتباره لبنة في بناء الأمة، ومكوناً من مكونات المجتمع، مكلف بمراعاة دوره وحفظ مكانه في هذا البناء، مسؤول عن ثباته واستمراره والمحافظة عليه على الوجه الذي حدده الشارع سبحانه، كما قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران:١١٠]، وجعل لكل حكمه وآثاره.

وسنة التدافع كما سبق من السنن الإلهية التي يجتمع فيها الجانب الإرادي للإنسان الداخل في مقدوره، والجانب اللا إرادي غير الداخل في مقدوره، سواء كان الإنسان طرفاً في هذا الجانب أوْ لا، لكن كلا طرفي هذه السنة له حكم وآثار تعود على الأفراد سواء كانوا مؤمنين أو كافرين، ومنها ما يختص بأهل الإيمان، فمن تلك الحكم والآثار العامة في الأفراد:

١- التوازن الحاصل للفرد، سواء على مستوى التدافع في الأمور المعنوية للبدن، كالصحة والمرض، والفرح والحزن، ونحوها.

أو في الأمور الحسية، كدفع الضار دفعاً حسياً كالصائل، وتعاطي الدواء، ونحوها مما يحصل به الفرد اعتدال المزاج، واستمرار الحياة في توازن.

٢- صقل خبرات الأفراد، وإبراز مهاراتهم ، التي يتميز بها كل فرد عن طريق التدافع في المجالات المختلفة سواء العلمية والعقلية، أو البدنية، أو غير ذلك من مناحي الحياة ومجالاتها.

٣- طرد السآمة والملل الحاصل بسير الحياة على وتيرة واحدة لو كان، أما التدافع فإنه يجدد الحياة بتجدد نشاط الأفراد، ويدفعهم إلى العمل المتواصل والإنتاج والتسابق، تحقيقاً لدورهم في عمارة الأرض، واستمرار دورة الحياة فيها.

٤- حفظ الفرد لكرامته وصيانته لحقوقه، الحاصل بتدافعه مع من يحاول المساس بها أو النيل منها، صيانة لخصوصياته، لذا يلزم من عدمه ذل الأفراد بفساد هذه الفطرة فيهم، واستعباد الطغيان وانتشار الظلم والظلمة، المغتصبين للحقوق والمهينين للكرامات.

٥- تكامل حياة الأفراد، بوجود ضدين متقابلين وجزئين متدافعين، يكمل أحدهما الآخر بذلك التدافع المختلف في صوره، المتعدد في أشكاله، كحال الزوجين في العلاقة بينهما.

٦- صلاح أحوال الأفراد في شتى مناحي الحياة، بالتدافع الذي يوصل إلى الغايات المحمودة والنهايات المرجوة التي فيها السعادة.

٧- تأمين حرية العقيدة للأفراد، لأنه يدفع تسلط المتجبرين الظالمين عن رقاب الناس، الذين يحملونهم على اعتقاد مالا يرضون من معتقدات.

**أما يختص منها بالمؤمنين:**

١- أن المؤمن حين يؤمن بسنة التدافع، يعلم يقيناً أن الذي سلط هذا القانون وقدره ويملك أزمته هو الله سبحانه، وهذا لا يزيده إلا إيماناً بربه وثباتاً على مبادئه،وأن ما يقع عليه مما لم يكن في اختياره ومحبته، إنما هو لحكم عظيمة وغايات جليلة.

٢- تصفية تعلق المؤمن بربه، وتقوية علاقته به، ليقينه بأن مقاليد الأمور بيده سبحانه، وأنه وحده الذي يعينه على دفع ما يكره ويرده عنه.

٣- تزويد المؤمن بالاعتقاد الصحيح في ترتب المسببات على أسبابها، مما يربي الفرد المسلم على الفاعلية والإيجابية في تحصيل المكاسب الدينية والدنيوية،

ودفع المفاسد في مثل ذلك.

٤- أن سنة التدافع توقف المسلم على جانب الثبات في السنن الإلهية، وأنها لا تحابي مؤمناً لإيمانه، بل من وافق السنن الإلهية، وسار عليها وصل.

٥- أن سنة التدافع تجدد علاقة المؤمن بربه، وتفتح له آفاقاً من الأعمال الصالحة التي فيها الإخبات إلى الله والتوبة إليه والانطراح بين يديه، حين يستشعر المكلف خطر المعاصي على نفسه، فيدفعها بتلك الأعمال الصالحة.

٦- تزكية نفس المكلف وتطهيرها من دنس المعاصي، ورفعها إلى أعلى درجات الكمال الإنساني، وتخليصها من حظ الشيطان.

٧- أن التدافع يُعد المحك الحقيقي،والكير الذي تظهر فيه حقيقة المعادن، فيظهر للمكلف حقيقة موقعه من الدين، ومنزلته من الإيمان.

٨- أن التدافع طريق لعز الدنيا ورفعة الآخرة، إذا فهمه الفرد المسلم بالمنظور الإسلامي، فهو يفجر الطاقات الكامنة، ويستحث الهمم الفاترة، لأنه مركب الجادين الخلص من عباد الله لبلوغ الغايات الجليلة والنهايات السعيدة، بالنصر على الأعداء، وخدمة الدين ورفع كعبه، والشهادة في سبيله.

٩- أن التدافع يربي المؤمن على نصرة دينه، والتضحية في سبيله، واستعذاب البلاء في سبيل الله، ويهون في نفسه الجود بما يخصه في سبيل تلك النصرة لدينه.

١٠- أنها تقوي إيمان المسلم بالقدر خيره وشره، حين يدال عليه، ويعلم أن ذلك لحكم إلهية جليلة، وأنه لا مفر له من قدر الله، وأن ما أصابه هو بسبب تقصير وقع منه، ليقينه بقوله تعالى: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ .

١١- أنها تزود المؤمن بالميزان الصحيح الذي يزن به الأمور، والمنظار الصحيح الذي يرى به الأشياء على حقيقتها في منظومة الحوادث الكونية والأقدار الإلهية، وكيفية التعامل معها.

١٢- أنها تقوي إيمان المؤمن بنصر دينه، وتزيد يقينه ببشارات نبيه ﷺ، ليقينه

أن ما حصل له في فترة من فترات الزمان من إدالة الأعداء، إنما هي كرة ساعة لتحقيق سنة التدافع، وأن الحياة قائمة على ذلك، فيزداد المسلم أملاً وتفاؤلاً بالمستقبل، الذي يصنع عزته بجده ويقظته وعمله واجتهاده.

١٣- أنها تذكي في نفس المؤمن الجد والحرص على العمل والانتاج، وتبعد عن نفسه الكسل، أو القنوط والقعود، وتسلمه للأمل في المخبوء له في القدر، من الارتفاع بعد الانخفاض، والعزة بعد الذلة، ليقينه بأن من سار وفق السنن الإلهية كانت له الجولة في التدافع.

١٤- تمحيص المؤمن وإعداده لمهمة تبليغ الدين، وإنقاذ البشرية من تيه الضلال، بتربيته بالتدافع على الصبر على المشاق والتحمل في ذات الله، والمجاهدة في سبيله، لما يعلم سبحانه من ضخامة المهمة الملقات على كاهله في ذلك.



# المبحث الثاني: الأمـــة

هي الجماعة من الناس يجمعهم إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد[1]، والمراد في هذا المبحث أمة الإسلام الذين تجمعهم ملته، ويمثلونه في أي مكان وزمان. فالتدافع كما أن له حكماً وآثاراً تعود على الأفراد، كذلك له حكم وآثار تعود على الأمة بعمومها، ومن هذه الحكم والآثار:

١- أن سنة التدافع تذكي في الأمة روح العمل والإنتاج، وتبعد عنها الكسل والفتور، وتحملها على السبق في ميادين الحياة المختلفة دينية كانت أو دنيوية، سعيا لتحقيق موقف الريادة التي أسندها الله إليها من بين الأمم، وذلك حين تكون قيادات الأمة على درجة كافية من الوعي بهذا الدور المهم والتكليف الإلهي الكبير، فتسعى في سبيل تحقيق ذلك، متنازلة عن ملذاتها وشهواتها التي تحول دون ذلك، مخرجة أشخاصها من قلوبها، ويعاونها في ذلك شعوب واعية بهذا الدور، تربت على القرآن والسنة ، تقدم الدين على كل ما سواه .

٢- وقوف الأمة في مكانها الصحيح بين الأمم، موقف الريادة والصدارة في شتى المجالات ونشر الخير والهداية، مترسمة في ذلك إرشادات القرآن الكريم، مقتفية أثر نبي الإسلام ﷺ، وذلك ليقينها بضرورة المدافعة التي تحفظ لها خصوصياتها بين الأمم، ذلك اليقين بسنة التدافع وفق المنظور الصحيح، الذي يعلمها بأن السماحة التي جاء بها الإسلام لا تعني ترك المعتقدات والتنازل عن الثوابت وتمييع الدين، إنما هي في المعاملة الظاهرة.

٣- أن انتصار المؤمنين حين تكون جولة المدافعة لهم، قد يقود طوائف من الكفار للدخول في الإسلام والإيمان بالله، فيتوب الله عليهم ويختم لهم بالهداية[2].

٤- رد الكفار وإضعاف فاعليتهم في الأرض، وفتنتهم للناس، حين تكون جولة

---

(١) انظر: المفردات (٨٦)، وللأمة معان كثيرة هذا ما يخصنا في بحثنا.

(٢) انظر: في ظلال القرآن (٤٦٥/١) .

المدافعة لأمة المسلمين، مع ما في ذلك من إنقاص أعدادهم بالقتل وأرضهم بالفتح وسلطانهم بالقهر وأموالهم بالغنيمة[١].

٥- أن دوام التدافع واستمراره بين أمة الإسلام وأعدائها، يجدد ولاء المسلمين لدينهم، وينفض عنهم غبار الغفلة، بل وينشئ أجيالاً جديدة صادقة في إيمانها، بارة في إنتمائها، تقف تحت رايته، وتبذل الغالي والنفيس في خدمته ونصرته.

٦- أن في إدالة الكافرين على أمة الإسلام أياً كان مجاله، حكمة إنكشاف حال الجماعة المؤمنة، وفرصة تقويم مشاريعها، والوقوف على الجوانب السلبية فيها، مما يكون سبباً في إصلاح حالها، ومراجعة مشاريع نهضتها،وتعديل خط سيرها.

٧- أن في التدافع فرصة لتهيئة البيئة لاستقبال الحق والدفاع عنه بخلاف ضده، فإنه يعني أن يعصف الباطل بالحق، ويستبد بالأمر.

٨- أن التدافع يفتح للأمة آفاق الأمل الواسعة، حين تكون جولة التدافع لأعدائها، فيحملها ذلك على العزة بالنفس، والثقة بالله، والجد في تحصيل جولتها في التدافع، ليقينها بأن سنة التدافع تنشئ سنة إلهية أخرى هي سنة مداولة الأيام بين الناس.

٩- أن التدافع حين تكون جولته للكافرين، يعرف الأمة بسوء عاقبة المعصية، وخطورة الأسباب المؤدية للفشل، من تنازع واختلاف وغيرها، وأن ما أصابها إنما هو بشؤم ذلك[٢] .

١٠- أن في التدافع تمييزًا للمؤمنين من غيرهم، لأن أهل الحق لو انتصروا دائماً، لم يتميز الصادق من غيره، إذ قد يدخل فيهم من قصدهم لا للحق الذي معهم، وإنما لظهورهم وغلبتهم خاصة، فاقتضت حكمة الله أن يتدافعوا مع أعدائهم، فيدالوا مرة، ويدال عليهم أخرى، فينصروا، وينتصر عليهم، ويبتلوا وينال منهم، لكن تكون

(١) في ظلال القرآن (٤٦٥/١).

(٢) انظر: زاد المعاد (٢١٨/٣).

لهم العاقبة[1] .

١١- تمحيص المؤمنين، وانكشاف من اندس في داخلهم ممن لم يكن منهم حقيقة وهم المنافقون، بوقوع المواقف التي ليست في صالح المؤمنين في الظاهر، ويجد فيها أولئك المندسين من المنافقين فرصة للنيل من المؤمنين، فيتكلمون بما يكتمون، وتظهر مخبآتهم، ولو لم تكن تلك المحن لما انكشف حالهم وفضح أمرهم[2] .

١٢- كسر نفوس المؤمنين وإصلاحها، والخفض من تعاليها وكبريائها، لترتبط برباط العبودية لله دائماً، والذل له والانكسار بين يديه، لأن النفوس لا يصلح لها إلا السراء والضراء، والشدة والرخاء[3] .

١٣- أن الله سبحانه قد هيأ لعباده من المنازل والكرامات في جنته، ما لا تبلغه أعمالهم، ولم يكونوا بالغيها إلا بتدافع البلاء ومحنه، فقيض سبحانه من الأسباب ما يوصلهم إلى ذلك[4]، مما يمحصهم وينقيهم من الذنوب، ويرفع درجاتهم .

١٤- أن الله سبحانه يصطفي من شاء من عباده، فيخلصهم بصور من المدافعة لوسام الشهادة في سبيله، ( لأنه سبحانه يحب أن يتخذ من عباده شهداء، تراق دماؤهم في محبته ورضاه، ويؤثرون رضاه ومحبته على نفوسهم، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو )[5] .

١٥- أن في التدافع فرصة لدخول الكفار في الإسلام، حين يرون أهله يدفعون بصنوف الدفع وأنواع الأذى وهم صابرون محتسبون مدافعون .

(١) المصدر السابق (٢١٩/٣) .

(٢) زاد المعاد (٢١٨/٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢٢٠/٣) .

(٤) انظر: المصدر نفسه (٢٢١/٣) .

(٥) المصدر نفسه.

١٦- تربية الأمة وإعدادها الإعداد المتين، من خلال الأحداث المتقلبة التي تصيبها على وفق سنة التدافع، لتترقى في درجات الكمال والنضج، ولتصبح مؤهلة لحمل الراية والقيادة، وتحقيق دورها الإلهي في الحياة .

١٧- استخراج عبودية المؤمنين لله ربهم في السراء والضراء، ويقينهم بأن النصر بيد الله، وأنه ليس لهم من الأمر شيء، إنما الأمر كله لله [١] .

١٨- أن فيما ترتب على كون جولة التدافع للكافرين، من ذل نفوس المؤمنين لربهم، وانكسار قلوبهم له، وخضوعهم وإخباتهم لله، ليقينهم بأن هزيمتهم إنما كانت بسببهم، ما يوجب لهم العز والنصر من الله، لأن النصر إنما يكون مع الذل والانكسار، وتجريد القصد وصدق التوجه لله تعالى[٢] .



(١) انظر: زاد المعاد (٢٢٠/٣) .

(٢) انظر: المصدر السابق (٢٢١/٣) ، في ظلال القرآن (٢٤٢٧/٤) .

## المبحث الثالث: الكـــــون

سبقت الإشارة إلى أن سنة التدافع سنة إلهية عامة، مبثوثة في صفحات الكون الواسع؛ لذا فإن من حكم هذه السنة وآثارها ما يعود على الكون بالنفع والصلاح، ومن تلك الحكم والآثار:

١- اطراد الحياة واستمرارها بتدافع القوى، الذي يتولد عنه تجدد النشاط اللازم لذلك، والسعي فيما يصلح ويلزم له، مما ينعكس على صفحات الحياة بالتجدد والاستمرار، وإلا توقفت الحياة وتعفنت وأسنت بل واضمحلت وتلاشت، فالتدافع يجدد مجالاتها ويدفع بالحياة في عروقها .

٢- صلاح الكون بدفع أسباب الفساد عنه، وإبقاء أسباب الخير والصلاح فيه، ففي التدافع إزالة لكل شر حسي ومعنوي، يلزم من عدم دفعه انتشار الفساد في كل مكون من مكونات الكون .

٣- التوازن الحاصل لكل مكون من مكونات هذا الكون الفسيح، سواء في الكواكب والجمادات، أو في الحيوانات والنباتات، بتوازن القوى، فبالتدافع ( يبقى الوجود متوازن القوى، عامراً بهذا التدافع الذي يتيح للخير والخيرين البقاء في نماذج متلاحقة )[1]، تحقق الصلاح في الكون واستمرار الحياة فيه .

هذه بعض الحكم والآثار لسنة التدافع، ويبقى الباب مفتوحاً لكل متأمل لينفتح له من حكمها وآثارها ما شاء الله تعالى، فالحياة متشابكة والكون فسيح ومجالات هذه السنة واسعة والله يؤتي فضله من يشاء .



(١) القرآن العظيم هداية وإعجاز (٣١١) .

# الخاتمـــــــة

وفي الختام أحمد الله تعالى آخراً كما حمدته أولاً، على ما من به وتفضل، فإن كان صواباً فمن الله وحده وله الحمد كثيراً، وإن كان غير ذلك فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئان.

وبعد هذه الرحلة الشيقة من التطواف في جنبات كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى ﷺ لاستعراض جوانب هذه السنة الإلهية العامة، تحسن الإشارة إلى بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، والتي أجملها في التالي:

١-أن البحث في مجال السنن الإلهية، يعد من الأمور المهمة، والحاجات الملحة، فهو يعتبر من الدراسات القرآنية المتخصصة، وهو أيضاً مما يزداد أهمية في زمان الأمة فيه بحاجة إلى من يبرز لها معالم الطريق الصحيح الذي تسلكه، ومواطن العطن التي ترتفع عنها، لينتشلها مما هي فيه من الضعف، في وقت بدأت تتململ فيه وتنتفض لاستعادة مجدها.

٢-أن البحث في مجال السنن الإلهية ودراستها والعناية بها، يعد عينًا ثرة، وأرضاً بكراً تحتاج إلى من يعتني بها، وهو من الاهتمامات المتأخرة، لذا اختلفت وجهات نظر دارسيها في بعض عناصرها.

٣-أن السنن الإلهية عبارة عن القوانين الإلهية التي قضى الله بأن يسير الكون على وفقها، ودراستها وفقهها يهيء المؤمن ليسير على وفقها متيقناً بنصر الله.

٤-أن السنن الإلهية منها ما هو عام مبثوث في صفحات الكون، واقع على المخلوقات بغير قدرة منها ولا اختيار، ومنها ما هو خاص بمن صدر منه ما أوجبها.

٥-أن سنة التدافع تعد من السنن الإلهية العامة القائمة في كل شيء، وهي دليل على تفرد الله بالوحدانية، وأوضح مجالاتها ما ركز عليه القرآن في صورة التدافع بين الحق والباطل.

٦-أن السنن الإلهية كثيرة، أشار القرآن والسنة إلى أصولها وجملة كبيرة منها، ويتكشف للمتأمل عبر الزمن أنواع أخرى منها.

٧-أن تعبير القرآن عن سنة التدافع جاء إما صريحاً، كما في آيتي البقرة والحج، أو بالإشارة كما في غالب صورها.

٨-أن في إشارة القرآن لبعض جوانب سنة التدافع توجيهًا للمؤمن ليعمل عقله في باقي جوانب هذه السنة العامة وصورها.

٩-أن في تنوع الأسلوب القرآني في عرض قضية ما، وتكرارها في القرآن، مايميز كل أسلوب في موطن بطابع خاص ينفرد به، ويعطي صورة متكاملة عما يعرضه القرآن .

١٠-أن القرآن ركّز على صورة التدافع بين الحق والباطل لأنه الجانب المؤثر من هذه السنة في مجال الحياة الإنسانية .

١١-أن موقف الكفار من قضية التدافع مع أهل الحق واحد لم يتغير منذ بزغت شمس الرسالة، وهو الثبات على ضرورة المدافعة، وإن اختلفت فصوله وتعددت أساليبه وأدواته .

١٢-أن السبب الذي يؤثر في صور تدافع الكفار مع أهل الحق سلماً وحرباً، وإسراراً وإفصاحاً، وقوة وضعفاً، هو مدى وعي المسلمين بدورهم، وقوتهم في دينهم، ويقظتهم لخطط أعدائهم تجاههم .

١٣-أن موقف المنافقين من التدافع مع أهل الحق، لا يختلف عن موقف الكفار، إلا في كونه خفياً وربما أشد أثراً، لأنه متستر بثوب النفع والإصلاح .

١٤-أن غالب الناس في غفلة عن مجال السنن الإلهية والتفطن إليها، فضلاً عن ربط الأحداث بها، أو استشراف المستقبل من خلالها .

١٥-أن للتدافع مع الكفار صورًا كثيرة، متدرجة من أعلاها في المواجهة المباشرة بالقتال، ومروراً بصور الجدال والحوار وإلى المداراة، فكما أن له

صورًا سلمية، كذلك له صور من المواجهة الفعلية .

١٦-أن تلمس الحكم والآثار للهدايات القرآنية، التي منها السنن الإلهية التي منها سنة التدافع، يعتمد في جانب كبير منه على النظر والتأمل، وهو من طرق العبادة لله، ويعود على المكلف بالنفع العظيم في دينه ودنياه .

**أما التوصيات فتتلخص في التالي:**

١-ضرورة العناية بالسنن الإلهية وتوجيه الدراسات لذلك، فالسنن الإلهية جزء من الهداية القرآنية التي لم تعط حقلها من البحث والدراسة، رغم أهميتها وحاجة الأمة الماسة لها.

٢-أن يراعى في دراسة السنن الإلهية علاقتها بغيرها من السنن الإلهية، فهي منظومة متناسقة مترابطة بعضها إلى بعض ويتأثر به، فعلى الباحث مراعاة ذلك عند دراسة أي سنة من السنن الإلهية حتى يتوصل بذلك إلى التصور الصحيح لها.

هذا والله المسئول أن يلهمنا رشدنا، وأن يرزقنا حسن الإيمان به والتوكل عليه والإخلاص له، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .






وفيـــــه:

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث والآثار .
- فهرس الأعلام المعرّف بهم.
- المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.



# أولاً: فهرس الآيات القرآنية

| الآيـــــــــــــــــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ | البقرة:٩ | ـ | ٩٤ |
| ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ | البقرة:٩- ١٠ | ـ | ٢٦٢ |
| ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ | البقرة:١٤ | ـ | ٢٦٤، ٢٦٩ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ | البقرة:٢٠ | ـ | ١٩٦ |
| ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا 5مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٣٦﴾ ﴾ | البقرة:٣٤- ٣٦ | ـ | ١١٣ |
| ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ ﴾ | البقرة:٣٦ | ـ | ١٢٠، ١٢٥، ١٢٨ |

| الآيـــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ | البقرة:٣٧ | ـر | ١٤٣، ١٩٦ |
| ﴿ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ | البقرة:٤٩،٥٠ | ـر | ١٦٠ |
| ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ | البقرة:٥٤ | ـر | ١٤٣ |
| ﴿ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ ﴾ | البقرة:٦١ | ـر | ٨٣ |
| ﴿ وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ ﴾ | البقرة:٧٢ | ـر | ٨٢ |
| ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ | البقرة:٧٦ | ـر | ١٥٩ |
| ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ | البقرة:٧٩ | ـر | ٢٤ |
| ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ ﴾ | البقرة:٨٠ | ـر | ١٥٣ |
| ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ | البقرة:٨١- ٨٢ | ـر | ٥٢ |

| الصفحة | السورة ورقم الآية | | الآيـــــــــــــــــــــــــــــة |
|---|---|---|---|
| ١٥٥ | ـ | البقرة:٨٤، ٨٥ | ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ |
| ١٥٧ | ـ | البقرة:٩١- ٩٤ | ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ |
| ١٢٠ | ـ | البقرة:١٠٢ | ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ |

| الآيــــــــــــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ | البقرة:١٠٥ | ـ | ٢٣٢ |
| ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّ ﴾ | البقرة:١٠٩ | ـ | ٢٣٢ |
| ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١ ﴾ | البقرة:١١١ | ـ | ١٥٤، ٢٢٠ |
| ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ ﴾ | البقرة:١١٣ | ـ | ٢٢٠ |
| ﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ ﴾ | البقرة:١٢٠ | ـ | ٩٥، ٢١٣، ٢٣٣ |
| ﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ | البقرة:١٣٣ | ـ | ١٧٣ |
| ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥ ﴾ | البقرة:١٣٥ | ـ | ١٥٣ |
| ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ | البقرة:١٣٥ | ـ | ١٩٧، ٢٣٣ |
| ﴿ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ | البقرة:١٣٧ | ـ | ١٥٠، ١٩٧ |

| الآيـــــــــــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ ﴾ | البقرة:١٣٩ | ـ | ٨١ |
| ﴿ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ ﴾ | البقرة:١٤٠ | ـ | ١٥٤ |
| ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ ... ﴾ | البقرة:١٤٢ | ـ | ١٥٤، ١٥٥ |
| ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا ﴾ | البقرة:١٦٤ | ـ | ٥٧ |
| ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ | البقرة:١٦٨ | ـ | ١٩٥ |
| ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ | البقرة:١٦٨، ٢٠٨ | ـ | ١١٥ |
| ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾ | البقرة:١٦٨، ٢٠٨ | ـ | ١١٧ |
| ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ | البقرة:١٧٩ | ـ | ١٨٣ |
| ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ | البقرة:١٩٠ | ـ | ١٦١ |
| ﴿ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ | البقرة:١٩١ | ـ | ٨٠ |
| ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ ﴾ | البقرة:١٩٣ | ـ | ٨٠، ٢١٤ |
| ﴿ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ ﴾ | البقرة:١٩٥ | ـ | ٢٢٨ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ (٢٠٨) فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩) ﴾ | البقرة:٢٠٨، ٢٠٩ | ـ | ١٢٩ |

| الآيـــــــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ ﴾ | البقرة:٢١٦ | ـ | ١٦٣ |
| ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ ﴾ | البقرة:٢١٧ | ـ | ٩٤ |
| ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ ﴾ | البقرة:٢١٧ | ـ | ١٧١ |
| ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ ﴾ | البقرة:٢١٧ | ـ | ٢١٣، ٢٣٣، ٢٤٢ |
| ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٢٤٦ ﴾ | البقرة:٢٤٦ | ـ | ١٦٠ |
| ﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ | البقرة:٢٥١ | ـ | ٧٧، ٩١، ٢٠٧ |
| ﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ | البقرة:٢٥١ | ـ | ٧١ |

| الآيـــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ | البقرة:٢٥٨ | م | ١٦٠، ١٩٨ |
| ﴿ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ | البقرة:٢٦٨ | م | ١٢٠، ١٣٠، ١٩٥ |
| ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ ﴾ | آل عمران:١٠-١١ | م | ٣٨ |
| ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾ | آل عمران:١٣ | م | ١٦٠ |
| ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ ﴾ | آل عمران:١٩ | م | ٨٤، ١٧٣ |
| ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ | آل عمران:٢١ | م | ١٥٢ |

| الآيـــــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (٢٦) ﴾ | آل عمران:٢٦ | ـ | ٢٨١ |
| ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ | آل عمران:٣٦ | ـ | ١١٨، ١٣٦، ١٩٥ |
| ﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ | آل عمران:٥٥ | ـ | ١٥٠، ١٩٧ |
| ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۢ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ (٦٤) يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ (٦٥) هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ (٦٦) ﴾ | آل عمران:٦٤-٦٦ | ـ | ١٥٧ |
| ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا ﴾ | آل عمران:٦٧ | ـ | ١٧٣ |
| ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ ﴾ | آل عمران:٦٩ | ـ | ٢٣٢ |
| ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ | آل عمران:٧٢ | ـ | ١٥٩، ١٩٨، ٢٣٢ |

| الآيـــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ | آل عمران:٩٩ | م | ٢٢١ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ | آل عمران:١٠٠ | م | ٢٣٣ |
| ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ | آل عمران:١٠٤ | م | ١٧٧، ١٩٩ |
| ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾ | آل عمران:١١٠ | م | ١٨٠، ١٩٩، ٢٠٦، ٢٨٤ |
| ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ | آل عمران:١١٤ | م | ١٨١ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ | آل عمران:١١٨ | م | ٢١٧، ٢٧٠ |
| ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ | آل عمران:١٢٠ | م | ٢٢٦ |
| ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ | آل عمران:١٢٠ | م | ٢٢٥ |

| الآيـــــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ | آل عمران:١٣٤ | ـ | ١٠١، ١٨٩، ٢٠٠ |
| ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾ | آل عمران:١٣٧ | ـ | ١٨، ٢٠، ٢١ |
| ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ | آل عمران:١٣٧-١٣٨ | ـ | ٤٢ |
| ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ | آل عمران:١٣٩ | ـ | ٨٤ |
| ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ | آل عمران:١٤٢ | ـ | ١٩١ |
| ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ | آل عمران:١٤٢ | ـ | ٢٠٠ |
| ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ﴾ | آل عمران:١٤٦ | ـ | ١٦٤ |
| ﴿ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ ﴾ | آل عمران:١٤٦ | ـ | ٨٥ |
| ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ | آل عمران:١٤٦ | ـ | ١٦٠، ١٩٨ |

| الآيــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
| --- | --- | --- | --- |
| ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ | آل عمران:١٤٩ | م | ٢١٥ |
| ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ ﴾ | آل عمران:١٥١ | م | ١٥٠ |
| ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ ﴾ | آل عمران:١٥٢ | م | ٤٦ |
| ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ ﴾ | آل عمران:١٥٥ | م | ١٢٨ |
| ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ ﴾ | آل عمران:١٦٥ | م | ٤٦، ٦٠ |
| ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ ﴾ | آل عمران:١٦٧ | م | ٧٧ |
| ﴿ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ ﴾ | آل عمران:١٦٨ | م | ٧٠ |
| ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ | آل عمران:١٨٣ | م | ١٥٤ |
| ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ ﴾ | آل عمران:١٨٦ | م | ٢١٧ |

| الصفحة | | السورة ورقم الآية | الآيــــــــــــــــــــــة |
|---|---|---|---|
| ٢٢٢ | | آل عمران:١٨٦ | ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ﴾ |
| ١٦٥ | | آل عمران:١٩٥ | ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ |
| ١٩٩ | | آل عمران:١٩٥ | ﴿ وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ |
| ٦٩ | | النساء:٦ | ﴿ فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ ﴾ |
| ١٤٣ | | النساء:١٧ | ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ ﴾ |
| ١٨ | | النساء:٢٦ | ﴿ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ |
| ٩٨ | | النساء:٢٧ | ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾ |
| ٩٩ | | النساء:٢٩ | ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ |
| ١٢٢ | | النساء:٣٨ | ﴿ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾ |
| ٢٣٣ | | النساء:٤٤ | ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴾ |

| الآيــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ ﴾ | النساء:٤٤- ٤٥ | ،، | ٢١٨ |
| ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾ | النساء:٥١ | ،، | ٢٣٣ |
| ﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴾ | النساء:٦٠ | ،، | ١٢٢ |
| ﴿ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ | النساء:٦٠ | ،، | ١٢٦ |
| ﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا .... ﴾ | النساء:٧٥ | ،، | ٨٦، ١٦٦، ١٩٩ |
| ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ | النساء:٧٦ | ،، | ١٦٧ |
| ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ | النساء:٧٦ | ،، | ١٣٥ |
| ﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾ | النساء:٧٨ | ،، | ١٤٠ |
| ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ | النساء:٨٣ | ،، | ١٣٦، ١٩٥ |

| الآيـــــــــــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ فَقَـٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾ ﴾ | النساء:٨٤ | 〃 | ١٦٨ |
| ﴿ فَقَـٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ﴾ | النساء:٨٤ | 〃 | ١٩٨ |
| ﴿ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ﴾ | النساء:٨٩ | 〃 | ٨٦ |
| ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ | النساء:٩٥ | 〃 | ١٦٣ |
| ﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾ | النساء:٩٥، ٩٦ | 〃 | ١٦٥ |
| ﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ ﴾ | النساء:١٠٢ | 〃 | ٢٣٣ |
| ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ ﴾ | النساء:١١٠ | 〃 | ١٤٣ |
| ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ | النساء:١١٥ | 〃 | ٦٣ |

| الآيـــــــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾ | النساء:١٤١-١٤٣ | ٤ | ٢٦٢ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ ﴾ | النساء:١٤٤ | ٤ | ٢٢٥ |
| ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ﴾ | النساء:١٧١ | ٤ | ٢٣٧ |
| ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ | المائدة:٣ | ٥ | ١٧٦ |
| ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ | المائدة:١٣ | ٥ | ٢٤ |
| ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ ﴾ | المائدة:١٧ | ٥ | ٢٣٧ |

| الآيـــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ | المائدة:٣٤ | ٥ | ١٤٤ |
| ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ ﴾ | المائدة:٣٩ | ٥ | ١٤٤، ١٩٧ |
| ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ | المائدة:٤١ | ٥ | ٢٤ |
| ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ ﴾ | المائدة:٤٨ | ٥ | ١٧٣ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ | المائدة:٥١ | ٥ | ٢٢٦ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ | المائدة:٥٤ | ٥ | ١٨٦ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ ﴾ | المائدة:٥٧ | ٥ | ٢٢٢ |
| ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ | المائدة:٦٠ | ٥ | ٩٧ |

| الصفحة | السورة ورقم الآية | | الآيـــــــــــــــــــــة |
|---|---|---|---|
| ٢٤٨ | ٥ | المائدة:٧٠ | ﴿ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ |
| ٢٣٧ | ٥ | المائدة:٧٣ | ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ |
| ٢٠٠ | ٥ | المائدة:٧٨ | ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ |
| ١٨١، ١٨٤ | ٥ | المائدة:٧٨- ٧٩ | ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ |
| ٢١٥، ٢٣٧ | ٥ | المائدة:٨٢- ٨٤ | ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ |
| ١٧٩ | ٥ | المائدة:١٠٥ | ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ ﴾ |

| الآيـــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ | الأنعام:١ | م | ٣٥، ٩٠ |
| ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ | الأنعام:٨- ١٢ | م | ١٥٧ |
| ﴿ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ | الأنعام:٥٤ | م | ١٤٤، ١٩٧ |
| ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ | الأنعام:٨٠، ٨١ | م | ١٦١ |

| الآيـــــــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ﴾ | الأنعام:١٠١ | م | ٩٠ |
| ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ١٤٢ ﴾ | الأنعام:١٤٢ | م | ١١٥، ١١٧، ١٩٦ |
| ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗا | الأنعام:١٥٨ | م | ١٠٦ |
| ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ | يس:٤٠ | م | ٤٣ |
| ﴿ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ ﴾ | يس:٦٠ | م | ١٩٦ |
| ﴿ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢ ﴾ | يس:٦٢ | م | ١٢٦ |
| ﴿ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ﴾ | يس:٧٢ | م | ٨٣ |

| الآيــــــــــــــــــــــــة | | السورة ورقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ | ح | الأعراف:١١-١٦ | ١١٤ |
| ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ | ح | الأعراف:١٦ | ١٢٣ |
| ﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ | ح | الأعراف:٢٠ | ١٣١ |
| ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ | ح | الأعراف:٢٢ | ١١٥ |
| ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ | ح | الأعراف:٢٣ | ١٤٤، ١٩٦ |
| ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ | ح | الأعراف:٢٧ | ١١٧ |
| ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ ﴾ | ح | الأعراف:٢٧ | ١٣٥ |
| ﴿ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ ﴾ | ح | الأعراف:٢٧ | ١٣٨ |
| ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ | ح | الأعراف:٢٧ | ١٩٥ |
| ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ | ح | الأعراف:٢٨ | ١٥٤ |

| الآيـــــــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ ﴾ | الأعراف:٥٤ | ﺣ | ٤٣ |
| ﴿ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا ﴾ | الأعراف:٥٤ | ﺣ | ١٠٧ |
| ﴿ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ ﴾ | الأعراف:٥٧ | ﺣ | ٥٨ |
| ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ | الأعراف:٥٩ | ﺣ | ١٦١ |
| ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ | الأعراف٩٦ | ﺣ | ٦٤ |
| ﴿ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ (١٠٠) ﴾ | الأعراف:١٠٠ | ﺣ | ٦٤ |
| ﴿ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ (١٢٩) ﴾ | الأعراف:١٢٨-١٢٩ | ﺣ | ١٠٤ |

| الصفحة | | السورة ورقم الآية | الآيــــــــــــــــــــة |
|---|---|---|---|
| ١٤٠ | ح | الأعراف:١٣١ | ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ |
| ٨٧ | ح | الأعراف:١٥٠ | ﴿ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى ﴾ |
| ١٤٤ | ح | الأعراف:١٥٣ | ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ ﴾ |
| ١٨٢ | ح | الأعراف:١٥٧ | ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ |
| ١٨٦ | ح | الأعراف:١٦٤ | ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ |
| ١٨٣، ١٨٦ | ح | الأعراف:١٦٥ | ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ |
| ١٢٢ | ح | الأعراف:١٧٥ | ﴿ فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ |
| ١٣٦ | ح | الأعراف:٢٠٠ | ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ |

| الآيـــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ .... ﴾ | الأعراف:٢٠١ | ح | ١٣٦، ١٣٧ |
| ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ | الأنفال:١٠ | ح | ٥٨ |
| ﴿ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ | الأنفال:١١ | ح | ١٢٢ |
| ﴿ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ | الأنفال:١١ | ح | ١٣٦ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ | الأنفال:٢٩ | ح | ٥٨ |
| ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ | الأنفال:٣٠ | ح | ١٥٨ |
| ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ | الأنفال:٣٦ | ح | ٢٢١ |
| ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ | الأنفال:٣٨ | ح | ٢١ |
| ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ ﴾ | الأنفال:٣٩ | ح | ١٧٤، ١٩٨، ٢١٤ |
| ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ | الأنفال:٤٨ | ح | ١٢٦، ١٥٩ |

| الصفحة | السورة ورقم الآية | | الآيـــــــــــــــــة |
|---|---|---|---|
| ٥٨ | م | الأنفال:٦٠ | ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ |
| ١٥٠ | م | الأنفال:٦٢ | ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ |
| ٨٦ | م | الأنفال:٦٦ | ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ ﴾ |
| ١٩٢ | م | الأنفال:٧٢ | ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ |
| ١٩٣ | م | الأنفال:٧٢ | ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ |
| ٢١٤، ٢٢٧ | م | الأنفال:٧٣ | ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ |
| ١٩٢ | م | الأنفال:٧٤ | ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ ﴾ |
| ٢٢٣، ٢٣٣ | م | التوبة:٨ | ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ |
| ٢٣٣ | م | التوبة:١٠ | ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ ﴾ |
| ١٦٩ | م | التوبة:١٣ | ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ |

| الآيـــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣ ﴾ | التوبة:١٣ | مـ | ١٩٩ |
| ﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ ﴾ | التوبة:١٤ | مـ | ١٩٣ |
| ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ ﴾ | التوبة:١٦ | مـ | ١٩٣ |
| ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ ﴾ | التوبة:٢٠ | مـ | ١٩٣ |
| ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾ | التوبة:٢٩ | مـ | ١٦٢ |
| ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ ﴾ | التوبة:٣٦ | مـ | ٢١٨ |
| ﴿ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ ﴾ | التوبة:٣٨ | مـ | ١٩٩ |

| الآيـــــــــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ | التوبة:٣٨، ٣٩ | م | ١٦٩ |
| ﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ ﴾ | التوبة:٣٩ | م | ٢٠٦ |
| ﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ | التوبة:٤٠ | م | ١٤٨ |
| ﴿ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ ﴾ | التوبة:٤٤ | م | ١٩٢ |
| ﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ | التوبة:٤٧ | م | ٢٧٠ |
| ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾ | التوبة:٥ | م | ٨٠ |
| ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ | التوبة:٦٥ | م | ٢٧٠ |
| ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ.... ﴾ | التوبة:٧١ | م | ١٨٣، ٢٧٨ |
| ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ ﴾ | التوبة:٨٨ | م | ١٩٢ |

| الآيــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١) ﴾ | التوبة:١٠١ | م | ٢٦٣ |
| ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدًا ضِرَارًا وَكُفۡرًا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادًا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ (١٠٧) ﴾ | التوبة:١٠٧ | م | ٢٦٨ |
| ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ | التوبة:١١٢ | م | ١٨٣ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ (١٢٣) ﴾ | التوبة:١٢٣ | م | ١٦٢ |
| ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ ﴾ | التوبة:١٢٣ | م | ١٩٨ |
| ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ | يونس:٥٨ | ن | ٩٧ |
| ﴿ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ (٨٤) ﴾ | يونس:٨٤ | ن | ١٠٣ |
| ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ (١٠١) ﴾ | يونس:١٠١ | ن | ٢٧١ |

| الآيـــــــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ | يونس:١٠٣ | ١٤٩ |
| ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ ﴾ | هود:٢٣ | ٨٧ |
| ﴿ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ | هود:٤٩ | ١٥٠ |
| ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴾ | هود:٥٨ | ١٥٠ |
| ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ | هود:١١٣ | ٢٢٦ |
| ﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾ | هود:١١٤ | ١٤٢ |
| ﴿ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡ ﴾ | هود:١١٦ | ١٧٩، ١٨٦ |
| ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ | هود:١١٧ | ١٨١ |
| ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ ﴾ | هود:١١٨ | ٦٣ |
| ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ | هود:١١٨- ١١٩ | ٥٤، ٢١٠ |
| ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ | يوسف:٥ | ١١٥ |

| الآيـــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ | يوسف:٥٣ | | ١٨٨، ٢٠٠ |
| ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ | يوسف:١٠٣ | | ١٥٢ |
| ﴿ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴾ | يوسف:١٠٥ | | ٢٧٢ |
| ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ﴾ | يوسف:١١١ | | ٢١، ١٥٠ |
| ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ﴾ | الرعد:٢ | | ٤٣ |
| ﴿ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣ ﴾ | الرعد:٣ | | ١٠٧ |
| ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧ ﴾ | الرعد:١٧ | | ٢٠٤ |
| ﴿ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ | الرعد:٢٢ | | ١٤١، ١٩٦ |
| ﴿ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ٢ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا ﴾ | إبراهيم:٢- ٣ | | ٢٢١ |

| الآيــــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
| --- | --- | --- | --- |
| ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ | إبراهيم:٤ | ١٤ | ٧٤ |
| ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ ﴾ | إبراهيم:٢٢ | ١٤ | ١٣١ |
| ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ | إبراهيم:٢٢ | ١٤ | ١٢١ |
| ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ | الحجر:٩ | ١٥ | ٢٤ |

| الصفحة | السورة ورقم الآية | | الآيـــــــــــــــــــــة |
|---|---|---|---|
| ١١٤ | ١٥ | الحجر:٢٨-٤٢ | ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ |
| ٩٣ | ١٥ | الحجر:٢٩ | ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ |
| ١٢٣ | ١٥ | الحجر:٣٩ | ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ |
| ١٢٢ | ١٦ | النحل:٦٣ | ﴿ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ |
| ٨٣ | ١٦ | النحل:٦٩ | ﴿ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾ |

| الآيـــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ | النحل:٧٢ | ١٦ | ٥٨ |
| ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ | النحل:٧٨ | ١٦ | ٩٠ |
| ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ | النحل:٩٨ | ١٦ | ١١٨، ١٣٦ |
| ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾ | النحل:١١٩ | ١٦ | ١٤٤ |
| ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ | النحل:١٢٥ | ١٦ | ١٥٥ |
| ﴿ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ | النحل:١٢٥ | ١٦ | ١٩٨ |
| ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ | النحل:١٢٨ | ١٦ | ١٤٨ |
| ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ | الإسراء:١٦ | ١٧ | ٦٤ |
| ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ | الإسراء:١٧ | ١٧ | ٦٥ |
| ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ | الإسراء:٢٧ | ١٧ | ١١٩ |
| ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ | الإسراء:٥٣ | ١٧ | ١١٥ |

| الآيـــــــــــــــــــة | | السورة ورقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ ﴾ | ك | الإسراء:٦١- ٦٣ | ١١٤ |
| ﴿ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ | ك | الإسراء:٦٢ | ١٢٣ |
| ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ | ك | الإسراء:٦٤ | ١٣٠ |
| ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ | ك | الإسراء:٧٠ | ٦١ |
| ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ | ك | الإسراء:٧٧ | ١٩، ١٩، ٣٧، ٤٠ |
| ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ | ك | الإسراء:٨٨ | ٧٤ |
| ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ | ك | الكهف:٤٩ | ٤٦ |
| ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ | ك | الكهف:٥٠ | ١١٤ |
| ﴿ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ | ك | الكهف:٥٥ | ٢٠ |

| الآيـــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴾ | مريم:٤٤ | م | ١٢٠، ١٢٦ |
| ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ | طه:٥٠ | م | ٣٩ |
| ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا (١٠٨) ﴾ | طه:١٠٨ | م | ٨٥ |
| ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ (١١٦) فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ (١١٩) فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ (١٢٠) فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ (١٢٢) قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ (١٢٣) ﴾ | طه:١١٦- ١٢٣ | م | ١١٥ |
| ﴿ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ | طه:١٢٠ | م | ١٣١ |
| ﴿ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ (١٠) ﴾ | الأنبياء:١٠ | م | ٩٧ |
| ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) ﴾ | الأنبياء:٢٢ | م | ٥٥ |

| الآيــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ | الأنبياء:٣٠ | مك | ٥٨ |
| ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ | الأنبياء:٦٩ | مك | ٣٦ |
| ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ ﴾ | الأنبياء:٨٤ | مك | ١٠١ |
| ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ | الأنبياء:٨٨ | مك | ٤٥، ١٥٠، ١٥١، ١٩٧ |
| ﴿ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ ﴾ | الحج:٣ | مد | ١١٩ |
| ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ ... ﴾ | الحج:٣٨ | مد | ٦٩، ٧٠، ٧٠، ٧٢، ٧٧، ١٤٩ |
| ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ ﴾ | الحج:٣٩ | مد | ٨٠ |
| ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ | الحج:٤٠ | مد | ٢٠٧ |
| ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ ... ﴾ | الحج:٤٠ | مد | ٦٩، ٧١، ٧٨ |
| ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ | الحج:٤٠- ٤١ | مد | ١٨٢ |

| الآيـــــــــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ | الحج:٤١ | ٢٢ | ١٨٧ |
| ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ | الحج:٤٦ | ٢٢ | ٢٤ |
| ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ | الحج:٤٦ | ٢٢ | ٢٧٢ |
| ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ | الحج:٥٢ | ٢٢ | ١٣٦، ١٩٥ |
| ﴿ ۞ ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٦١﴾ ﴾ | الحج:٦٠- ٦١ | ٢٢ | ١٠٩ |
| ﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ | الحج:٦٨ | ٢٢ | ٨١ |
| ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ | الحج:٧٨ | ٢٢ | ١٩٢ |
| ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ | الحج:٧٨ | ٢٢ | ٢٠٠ |
| ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ | المؤمنون:٩٦ | ٢٣ | ٧٦ |
| ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ | المؤمنون:٩٦ | ٢٣ | ١٤٢، ١٤٢، ١٤٦، ١٩٧ |
| ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ | المؤمنون:٩٧ | ٢٣ | ١٣٦ |

| الآيـــــــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾ | النور:٢١ | ٢٤ | ١١٧ |
| ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ ﴾ | النور:٢١ | ٢٤ | ١٨٨ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ | النور:٢١ | ٢٤ | ١٩٦ |
| ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ ﴾ | النور:٥١ | ٢٤ | ٢١٢ |
| ﴿ ۞ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ ﴾ | النور:٥٣ | ٢٤ | ١٩٠ |
| ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ | النور:٦٣ | ٢٤ | ٢١٢ |
| ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ﴾ | الفرقان:٢ | ٢٥ | ٥، ٣٥، ٣٩ |
| ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ | الفرقان:٣١ | ٢٥ | ١٥٢ |
| ﴿ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾ | الفرقان:٥٢ | ٢٥ | ١٦١، ١٩٢ |
| ﴿ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾ | الفرقان:٥٢ | ٢٥ | ٢٠٠ |
| ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴿٦٢﴾ ﴾ | الفرقان:٦١- ٦٢ | ٢٥ | ١٠٧ |
| ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ | الفرقان:٦٣ | ٢٥ | ٧٦ |
| ﴿ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ ﴾ | الفرقان:٧٠ | ٢٥ | ١٤٣ |

| الآيـــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
| --- | --- | --- | --- |
| ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَـٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَـٰهُم مِّن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ | الشعراء:٥٢- ٦٦ | مك | ١٠٤ |
| ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ | الشعراء:٦٥، ٦٦ | مك | ١٥١ |
| ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ﴿١١٩﴾ ﴾ | الشعراء:١١٩ | مك | ١٩٧ |
| ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ | الشعراء:١١٩، ١٢٠ | مك | ١٥٠ |
| ﴿ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾ | الشعراء:١٧٠- ١٧٢ | مك | ١٥١ |
| ﴿ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ | النمل:٥٣ | مك | ١٥١ |

| الآيـــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ | القصص:٥ | مك | ٨٦ |
| ﴿ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ | القصص:١٥ | مك | ١١٦، ١٩٥ |
| ﴿ قَالَ هَـٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَـٰنِ ۖ ﴾ | القصص:١٥ | مك | ١٢٦ |
| ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡ ۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٥٠) ﴾ | القصص:٥٠ | مك | ٦٣ |
| ﴿ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ | القصص:٥٤ | مك | ٨٢، ١٤١، ١٩٦ |
| ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٌ مِّنۡهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ | القصص:٨٤ | مك | ١٤٠ |
| ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ (٢) وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَـٰذِبِينَ (٣) ﴾ | العنكبوت:٢- ٣ | مك | ٦٠ |
| ﴿ وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓ ﴾ | العنكبوت:٦ | مك | ١٩٢، ٢٠٠ |
| ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِى مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ فَلَا تُطِعۡهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (٨) ﴾ | العنكبوت:٨ | مك | ١٩٢ |
| ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ ۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ ۗ ﴾ | العنكبوت:٤٥ | مك | ١٤٣ |

| الآيـــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾ | العنكبوت:٤٦ | ٢٩ | ١٥٥ |
| ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ | العنكبوت:٦٩ | ٢٩ | ٦٢، ٢٠٠ |
| ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢ ﴾ | الروم:٢٢ | ٣٠ | ٥٥ |
| ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٢١ ﴾ | لقمان:٢١ | ٣١ | ١٢٠ |
| ﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٧ ﴾ | لقمان:٢٧ | ٣١ | ٧٥ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣ ﴾ | لقمان:٣٣ | ٣١ | ١١٦، ١٩٥ |
| ﴿ ۞ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ١٨ ﴾ | الأحزاب:١٨ | ٣٣ | ٢٧٠ |
| ﴿ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٩ ﴾ | الأحزاب:١٩ | ٣٣ | ٢٧٠ |

| الآيــــــــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ | الأحزاب:٣٦ | ٣٣ | ٢١٢ |
| ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ | الأحزاب:٣٨ | ٣٣ | ١٨ |
| ﴿ ۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٠﴾ ﴾ | الأحزاب:٦٠ | ٣٣ | ٢٧٠ |
| ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾ | الأحزاب:٦٢ | ٣٣ | ٣٧ |
| ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ | سبأ:١ | ٣٤ | ٣٩ |
| ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ ﴾ | سبأ:٢١ | ٣٤ | ١٣٩ |
| ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ | سبأ:٢٨ | ٣٤ | ١٧٣ |
| ﴿ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ ﴾ | سبا:٣١ | ٣٤ | ٨١ |
| ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴾ | سبا:٤٦ | ٣٤ | ٩٨ |

| الآيـــــــــــــــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾ | فاطر:٥ | مك | ١١٦، ١٩٥ |
| ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ ﴾ | فاطر:٦ | مك | ١١٧ |
| ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ ﴾ | فاطر:١٨ | مك | ٢٨٤ |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ | فاطر:٢٧ | مك | ٥٣ |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ | فاطر:٢٧- ٢٨ | مك | ٢٨٢ |
| ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ ﴾ | فاطر:٢٨ | مك | ٥٤ |
| ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ ﴾ | فاطر:٤٣ | مك | ١٩ |
| ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ | فاطر:٤٣ | مك | ٢٠ |
| ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ | فاطر:٤٣ | مك | ٣٨ |
| ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ | فاطر:٤٣ | مك | ٤٠، ٤٥ |

| الآيـــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ | فاطر:٤٤ | ٣٥ | ٤١ |
| ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ | يس:٦٠ | ٣٦ | ١١٥ |
| ﴿ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ﴾ | الصافات:٧ | ٣٧ | ١١٩ |
| ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ | ص:٢٦ | ٣٨ | ١٨٧، ٢٠٠ |
| ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ | ص:٢٩ | ٣٨ | ٢٤ |
| ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴾ | ص:٤١ | ٣٨ | ١٣٧ |
| ﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ (٧١) فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ (٧٣) إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ (٧٤) قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ (٧٦) قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ (٨٢) ﴾ | ص:٧١- ٨٢ | ٣٨ | ١١٥ |
| ﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ | ص:٧٢ | ٣٨ | ٩٣ |

| الآيـــــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ قَالَ يَـٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾ | ص:٧٥ | ٣٨ | ٩٣ |
| ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ | ص:٨٢ | ٣٨ | ١٢٣ |
| ﴿ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ ﴾ | غافر:٤٧ | ٤٠ | ٨١ |
| ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ | غافر:٥١ | ٤٠ | ١٤٩ |
| ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢ ﴾ | فصلت:١١- ١٢ | ٤١ | ٤٤ |
| ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ ﴾ | فصلت:٣٤ | ٤١ | ٧٦ |
| ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ... ﴾ | فصلت:٣٤ | ٤١ | ١٤٠، ١٤٢، ١٤٦ |
| ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ ﴾ | فصلت:٣٤ | ٤١ | ١٩٧ |
| ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ | فصلت:٣٦ | ٤١ | ١٣٦ |
| ﴿ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧ ﴾ | الشورى:٧ | ٤٢ | ١١٥ |
| ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ | الزخرف:٦٢ | ٤٣ | ١١٥ |
| ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ ﴾ | الجاثية:١٣ | ٤٥ | ٦٢ |

| الآيـــــــــــــــــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ | القمر:١٧ | مك | ٢٥ |
| ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾ | القمر:٤٩ | مك | ٢٨، ٣٦ |
| ﴿ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴾ | الرحمن:٢٩ | مم | ١٠١ |
| ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٦ ﴾ | الحديد:٦ | مد | ٤٣ |
| ﴿ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ ﴾ | الحديد:٢٧ | مد | ٢١٧، ٢٣٧ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ ﴾ | الحديد:٢٨ | مد | ٥٨ |
| ﴿ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ | المجادلة:١٩ | مد | ٢٠٦ |
| ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ | المجادلة:٢٢ | مد | ٢٠٦ |
| ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ | المجادلة:٢٢ | مد | ٢١٨، ٢٧٨ |

| الآيــــــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
| --- | --- | --- | --- |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ | المجادلة:٨ | مد | ٢٦٧ |
| ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ | الحشر:١١ | مد | ٢٦٥ |
| ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ ﴾ | الحشر:١٦ | مد | ١٢٦، ١٢٨ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ .... ﴾ | الممتحنة:١ | [illegible] | ٢٢٤، ٢٧٨ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ | الممتحنة:١- ٢ | [illegible] | ٢٢٧ |

| الآيـــــــــــــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ | الممتحنة:٢ | ٢٣٣ |
| ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ | الممتحنة:٤ | ٢١٨ |
| ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ | الصف:٤ | ٨٠ |
| ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ ﴾ | الصف:٩ | ٢١٨ |
| ﴿ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ | المنافقون:٧ | ٢٦٦ |
| ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ | المنافقون:٧- ٨ | ١٥٩ |
| ﴿ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ ﴾ | المنافقون:٨ | ٢٦٧ |

| الآيــــــــــــــــــــــــة | السورة ورقم الآية | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾ | التحريم:٩ | ٦٦ | ١٩٢ |
| ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ٩ ﴾ | القلم:٩ | ٦٨ | ٨٧ |
| ﴿ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ﴾ | المعارج:٢-٣ | ٧٠ | ٦٩ |
| ﴿ كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ٣٢ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ﴾ | المدثر:٣٢- ٣٤ | ٧٤ | ١٠٨ |
| ﴿ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ٩ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ١١ ﴾ | النبأ:٩- ١١ | ٧٨ | ١٠٨ |
| ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٣٩ ﴾ | النازعات:٣٧-٣٩ | ٧٩ | ١٨٩ |
| ﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴾ | النازعات:٤٠ | ٧٩ | ٢٠٤ |
| ﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١ ﴾ | النازعات:٤٠-٤١ | ٧٩ | ٥٦، ١٨٨ |
| ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨ ﴾ | البروج:٤- ٨ | ٨٥ | ٢٢٤ |
| ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣ ﴾ | الأعلى:١- ٣ | ٨٧ | ٣٩ |
| ﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠ ﴾ | البلد:١٠ | ٩٠ | ٦٢ |

# ثانياً: فهرس الأحاديث والآثار

## أولاً: الأحاديث:

## ثانياً: الآثـــــار:





# ثالثاً: فهرس الأعلام المعرّف بهم





# رابعاً: المصادر والمراجع


❖ أبحـاث فـي الفكـر اليهـودي: حسـن ظاظـا، دار القلـم، دمشـق، الطبعـة الأولـى ١٤٠٧هـ.

❖ الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ. تحقيق: فؤاد أحمد زمرلي.

❖ احذروا الأساليب الجديدة في مواجهة الإسلام: سعد الدين السيد صالح، دار الأرقم، مصر. الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

❖ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: ابن بلبان الفارسي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ. عناية: كمال يوسف الحوت.

❖ إحياء علوم الدين: الغزالي، المكتبة التجارية مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

❖ الإسـلام علـى مفتـرق الطـرق: محمـد أسـد، دار العلـم للملايـين، بيـروت، ط١٩٨٧م. تعريب: عمر فروخ.

❖ الإسلام والآخر: محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية، بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ.

❖ الإسلام والوحدة القومية: محمد عمارة. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. الطبعة الثانية ١٩٧٩م.

❖ أصول العلوم الإنسانية من القرآن الكريم (السنن الإلهية في الآفاق والأنفس والأمم)، زينب عطية محمد، ط د.

❖ إظهار الحق: رحمت الله بن خليل الرحمن الهندي، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض. الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ. تحقيق: محمد أحمد ملكاوي.

❖ إعراب القرآن الكريم وبيانه: محيي الدين الدرويش، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ.

❖ إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن قيم الجوزية، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية، ط١٣٨٨هـ. تحقيق: طه عبد الرؤوف.

❖ الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة ٢٠٠٢م.

❖ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: ابن قيم الجوزية، دار الحديث، مصر، ط د، تحقيق وتعليق: مجدي فتحي السيد.

❖ اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم: ابن تيمية، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ. تحقيق: ناصر العقل.

❖ الأمالي المطلقه: ابن حجر، المكتب الإسلامي، بيروت. ط١٤١٦هـ. تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي.

❖ أمريكا واسرائيل: دراسة لدور الفكر الديني في الدعم الأمريكي لإسرائيل، محمد معروف الدواليبي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

❖ أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:د.

❖ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام، المكتبة العصرية، بيروت، ط د.

❖ الإيدز حصاد الشذوذ: عبد الحميد القضاة، دار ابن قدامة، لندن، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

❖ الإيدز وباء العصر: محمد علي البار، دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

❖ بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية: جمع وتوثيق: يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، الدمام. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

❖ بدائع الفوائد: ابن قيم الجوزية، المطبعة المنيرية مصر، ط د، تصحيح منير الدمشقي.

❖ البداية والنهاية: ابن كثير، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ. تحقيق: عبد الله التركي.

❖ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ. تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي.

❖ البرهان في متشابه القرآن: محمود بن حمزة الكرماني، دار الوفاء، مصر، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ. تحقيق: أحمد عز الدين عبد الله خلف الله.

❖ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروز أبادي، المكتبة العلمية، بيروت،ط د، تحقيق: محمد علي النجار.

❖ بلاغة الكلمة في التفسير القرآني: فاضل السامرائي، دار عمار، الأردن، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ.

❖ بلوغ المرام من أدلة الأحكام: ابن حجر، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ. تحقيق: أسامة صلاح الدين منيمنة.

❖ تاج العروس: الزبيدي، دار الهداية، ط د، مجموعة من المحققين.

❖ التبيان في أقسام القرآن: ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، ط د، تحقيق: حامد الفقي.

❖ تجديد الفكر الإسلامي: محمد عمارة، سلسلة الهلال، العدد ٣٦٠، ١٩٨٠م.

❖ التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، ط د.

❖ تحفة النبلاء من قصص الأنبياء، ابن حجر، مكتبة التابعين، القاهرة. ط١٤١٩هـ. تحقيق: غنيم عباس غنيم.

❖ التطبيع الآليات وآفاق المقاومة: مجموعة أبحاث، مركز أبعاد للدراسات الإستراتيجية والمستقبلية، الكويت، ط٢٠٠٤م.

❖ التعريفات: الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ. تحقيق: إبراهيم الأبياري.

❖ تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ. تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

❖ التفسير البياني للقرآن الكريم: عائشة بنت الشاطئ، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ.

❖ تفسير القرآن العظيم: ابن أبي حاتم، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة. الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ. تحقيق: أسعد محمد الطيب.

❖ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، دار طيبة، الرياض. الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ. تحقيق: سامي محمد السلامة.

❖ تفسير القرآن الكريم: محمود شلتوت، دار الشروق، مصر، الطبعة الثانية عشرة ١٤٢٤هـ.

❖ التفسير الكبير: الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ.

❖ تفسير الكشاف: الزمخشري، دار المؤيد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ. عناية: خليل مأمون شيحا.

❖ تفسير المراغي: مصطفى المراغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٥هـ.

❖ تفسير المنار: رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط١٤١٤هـ.

❖ تفسير روح المعاني: الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ. تحقيق: محمد أحمد الأمد. عمر عبد السلام السلامي.

❖ التوكل على الله وعلاقته بالأسباب: عبد الله الدميجي، دار الوطن، الرياض. الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

❖ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

❖ جامع البيان في تأويل القرآن: الإمام الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

❖ جامع الرسائل: ابن تيمية، مطبعة المدني بمصر، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

❖ الجامع الصحيح: الإمام الترمذي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط د، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

❖ جامع العلوم والحكم: ابن رجب الحنبلي، الطبعة الاولى ١٤٢٤هـ. تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

❖ الجامع بين الصحيحين: جمع وترتيب: صالح أحمد الشامي، دار القلم، دمشق. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

❖ الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، دار الفكر، بيروت، ط د.

❖ حرب التنصير في أفريقيا: جبر الله عمر الأمين، دار الذخائر، الدمام. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

❖ الحروب الصليبية في المشرق والمغرب: محمد العمروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت. الطبعة الثانية ١٩٨٢م.

❖ حوار الحضارات والتصادم الأممي: جعفر حسن عتريسي، دار الهادي، بيروت. الطبعة الأولى١٤٢٥هـ.

❖ حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل: موسى الإبراهيم، دار الأعلام، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

❖ حوار الحضارات: عطية فتحي الويشي، دار المنارات الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

❖ خصائص التصور الإسلامي: سيد قطب، دار الشروق، مصر. الطبعة السابعة ١٤٠٠هـ.

❖ الدراية تخريج أحاديث الهداية: ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

❖ درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهة في كتاب الله العزيز، الخطيب الإسكافي. دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ. اعتنى به: خليل مأمون شيحا.

❖ الدرر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي، دار الفكر، بيروت. ط١٩٩٣هـ.

❖ الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط: علي محمد الصلابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

❖ الرسالة: الإمام الشافعي، دار الفكر، بيروت، ط١٣٠٩هـ. تحقيق: أحمد محمد شاكر.

❖ روائع البيان تفسير آيات الأحكام: محمد علي الصابوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ط١٤١٨هـ.

❖ روضة المحبين: ابن قيم الجوزية، مكتبة التراث، ط د.

❖ زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة والعشرون ١٤٠٩هـ. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط.

❖ زوائد السنن على الصحيحين جمع وترتيب: صالح أحمد الشامي، دار القلم، دمشق. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

❖ السبعة: ابن مجاهد، دار المعارف، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ. تحقيق: شوقي ضيف.

❖ سلسلة الأحاديث الصحيحة: ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض. الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ.

❖ سلسلة الأحاديث الضعيفة: ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

❖ السلطان عبدالحميد الثاني: محمد حرب، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

❖ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

❖ سنن ابن ماجة. دار السلام: الرياض. الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، عناية: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

❖ سنن أبي داود: دار الحديث، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ. عناية: عزت عبيد الدعاس، عادل السيد.

❖ السنن الإلهية في الأمم والأفراد: مجدي عاشور، دار السلام، مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

❖ السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد: عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ.

❖ السنن الإلهية في الحياة الإنسانية: شريف الشيخ صالح الخطيب، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

❖ السنن الإلهية في الميدان الإقتصادي: يوسف إبراهيم، مركز صالح عبد الله كامل، مصر.

❖ سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها: محمد هيشور، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

❖ السنن الكبرى: الحافظ البيهقي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ. عناية: عبد السلام علوش.

❖ سنن النسائي: دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

❖ سير أعلام النبلاء: الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة ١٤١٠هـ. تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

❖ السيرة النبوية: علي محمد الصلابي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ.

❖ السيرةالنبوية: ابن هشام، دار المعرفة، بيروت، ط د، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي.

❖ شذرات الذهب: ابن العماد الحنبلي. دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ. تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط.

❖ شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ. تحقيق: هادي حسن حمودي.

❖ شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ. تحقيق: عبد الله التركي، شعيب الأرناؤوط.

❖ شرح العقيدة الواسطية: ابن عثيمين، مكتبة طبرية، الرياض. الطبعة الأولى ١٤١٣هـ. تحقيق: أشرف بن عبد المقصود.

❖ شرح العقيدة الواسطية: صالح الفوزان، مكتبة المعارف، الرياض. الطبعة الخامسة ١٤١٠هـ.

❖ شرح ألفية ابن مالك: ابن الناظم، دار الجيل، بيروت، ط د ،تحقيق: عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد.

❖ شرح النووي على صحيح مسلم: النووي، مؤسسة قرطبة، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

- ❖ شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول: القرافي، دار الفكر، بيروت. الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.
- ❖ شرح مختصر الروضة: عبد القوي الطوفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.تحقيق: عبد الله التركي.
- ❖ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: ابن قيم الجوزية، مكتبة السوادي، جدة. الطبعة الأولى ١٤١٢هـ. تحقيق: مصطفى أبو النصر الشلبي.
- ❖ الشيعة والسنة: إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور. الطبعة السابعة ١٤١٥هـ.
- ❖ صحيح البخاري: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- ❖ صحيح الجامع الصغير وضعيفه: ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.
- ❖ صحيح سنن ابن ماجة: ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- ❖ صحيح سنن النسائي: ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- ❖ صحيح مسلم: دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- ❖ صحيح وضعيف سنن أبو داود: ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، ١٤١٢هـ.
- ❖ صحيح وضعيف سنن الترمذي: ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ١٤١١هـ.

❖ صدام الحضارات حتمية قدرية أم لوثة فكرية: حسن الباش، دار قتيبة، دمشق. الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ.

❖ صدام الحضارات: صامويل هنتنجتون، تعريب: طلعت الشايب. ط١٩٩٨م.

❖ صراع الحضارات في القرن الحادي والعشرين: أحمد شلبي، مكتبة النهضة الحديثة، مصر ط د.

❖ صراع الحضارات وحوار الدبابات: عبد السلام اللمعي، مكتبة وهبه، مصر. الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

❖ الصراع بين الإيمان والمادية: أبو الحسن الندوي. دار القلم، دمشق. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

❖ ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب: محمد بن عبد الله السلومي، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

❖ ضعيف سنن ابن ماجة: ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

❖ ضعيف سنن النسائي: ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

❖ طبقات المفسرين: الداودي، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

❖ ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: سفر الحوالي، مكتبة الطيب، مصر، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

❖ ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ: عبد الرحمن حبنكه الميداني، دار القلم، دمشق. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

❖ عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام: سليمان حمد العودة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ.

❖ العدوان على المرأة في المؤتمرات الدولية: فؤاد العبدالكريم، مجلة البيان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

❖ العلمانية: سفر الحوالي، مكتبة الطيب، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

❖ علوم البلاغة: مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ.

❖ عمدة الأحكام من كلام خير الأنام ﷺ: عبد الغني المقدسي، دار المأمون، بيروت. الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ. تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط.

❖ العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي: عبد الحميد أبو سليمان، دار السلام، مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

❖ الغارة على العالم الإسلامي: أل شاتليه، تعريب: محب الدين الخطيب، الدار السعودية، جدة. الطبعة الرابعة ١٤٠١هـ.

❖ غاية النهاية: ابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

❖ غزو من الداخل: جمال سلطان، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

❖ الفائق في غريب الحديث: الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

❖ فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر، المكتبة السلفية، مصر. الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ. تحقيق: محب الدين الخطيب.

❖ الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: أحمد عبد الرحمن البنا، دار الشهاب، القاهرة ط د.

❖ فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن: زكريا الأنصاري، مكتبة الرياض الحديثة. الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ. تحقيق: عبد السميع محمد أحمد حسين.

❖ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: ابن تيمية، دار طويق، الرياض. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ. تحقيق: عبد الرحمن اليحيى.

❖ الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم: محمد الشايع، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

❖ فلسفة الكراهية دعوة للمحبة: راشد المبارك، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

❖ الفوائد: ابن قيم الجوزية، المكتبة القيمة بمصر، ط١٤٠٠هـ.

❖ في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، مصر، الطبعة الثانية عشرة ١٤٠٦هـ.

❖ قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم: إعداد مجموعة من المهتمين، دار الكلمة، مصر. الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

❖ القاموس المحيط: الفيروز أبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

❖ القرآن العظيم هداية وإعجاز: محمد صادق عرجون، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.

❖ قصة الحضارة: ديورانت. دار الجيل، بيروت. ط١٤٢١هـ.

❖ الكافي في الصرف والنحو والإعراب: جوزيف إلياس، جرجس ناصيف، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

❖ الكامل في التاريخ: ابن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الثانية ١٤١٥هـ. تحقيق: عبد الله القاضي.

❖ الكتاب: سيبويه، المطبعة المصرية العامة للكتاب. الطبعة الثانية ١٩٧٧م. تحقيق: عبد السلام هارون.

❖ الكتاب المقدس (عند اليهود والنصارى)، دار الكتاب المقدس بمصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٥.

❖ كشف المعاني في المتشابه والمثاني: ابن جماعة، دار الشريف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ. تحقيق: مرزوق علي إبراهيم.

❖ الكشف عن وجوه القراءات السبع: مكي بن أبي طالب، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ. تحقيق: محيي الدين رمضان.

❖ الكليات: أبو البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ. عناية: عدنان درويش، محمد المصري.

❖ الليبرالية وموقف الإسلام منها: عبدالرحيم السلمي، بحث مقدم في كلية الدعوة وأصول الدين قسم العقيدة بجامعة أم القرى، بتاريخ ١٤٢٦هـ.

❖ لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الرابعة ٢٠٠٥م.

❖ لمسات بيانية في نصوص التنزيل: صالح السامرائي، دار عمار، الأردن، الطبعة الثالثة ١٤٢٧هـ.

❖ مؤامرة الصهيونية على العالم: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت. الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.

❖ المؤامرة الكبرى على العروبة والإسلام والإنسانية عبر مراحل التاريخ: عبد السلام اللمعي، الدار العالمية، مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

❖ المؤامرة الكبرى على بلاد الشام: محمد فاروق الخالدي، دار الراوي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

❖ مباحث في التسفير الموضوعي: مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ.

❖ مجلة البيان. المنتدى الإسلامي، الرياض. موقع الإنترنت: www.albayan-magazine.com

❖ مجلـة المجتمـع: تصـدر عـن جمعيـة الإصـلاح الاجتمـاعي، الكويـت، موقـع الإنترنت: www.almujtamaa-mag.com

❖ مجلة المنار الجديد: إشراف/ جمال سلطان. دار المنار الجديد، مصر.

❖ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، ط١٤٢٥هـ. تحقيق: عبد الله محمد الدرويش.

❖ مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ط د، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم ~.

❖ محاضرات في النصرانية: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، مصر، الطبعة الثالثة.

❖ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابـن عطيـة الأندلسـي، دار ابـن حـزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

❖ مختصر الترغيب والترهيب، ابن حجر، مؤسسة الرسالة، بيروت. ط١٣٨٠هـ. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

❖ المخصص: ابن سيده، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر. الطبعة الأولـى ١٣٢٠هـ.

❖ مدارج السـالكين: ابـن قيم الجوزيـة، مكتبـة السـنة المحمديـة، مصـر. ١٣٧٥هـ. تحقيق: حامد الفقي.

❖ المدخل إلى التفسير الموضوعي: عبد الستار فتح الله سعيد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

❖ مـدخل إلـى دراسـة السـنن الإلهيـة: مجـدي عاشـور، المجلـس الأعلـى للشـئون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية، ط١٤٢٥هـ.

❖ مذاهب فكرية معاصرة: محمد قطب، دار الشروق، القـاهرة، الطبعـة السـابعة، ١٤١٣هـ.

❖ المستدرك على الصحيحين: الإمام الحاكم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ. عناية: عبد السلام علوش.

❖ المستشرقون: نجيب العقيقي، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة.

❖ المستصفى في الأصول، الغزالي، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، الطبعة الأولى ١٣٢٤هـ.

❖ المسلمون وظاهر الهزيمة النفسية: عبد الله حمد الشبانه، دار طيبة، الرياض. الطبعة الرابعة ١٤٢٣هـ.

❖ مسند أبي يعلى: أبو يعلى الموصلي، دار الفكر، بيروت، ط١٤٢٢هـ. تحقيق: ظهير الدين عبد الرحمن.

❖ مسند الإمام أحمد بن حنبل. بيت الأفكار الدولية، لبنان. ط٢٠٠٤م.

❖ المسند: للإمام أحمد بن حنبل، دار المعارف بمصر، ط١٣٩٢هـ. تحقيق: أحمد محمد شاكر.

❖ المسيحية: ساجد مير، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

❖ مشكاة المصابيح: ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

❖ المعجم الأوسط، الطبراني. دار الحرمين: القاهرة. ط١٤١٥هـ. تحقيق: طارق عوض الله عبد المحسن الحسيني.

❖ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي: أ.ي. ونسنك بمشاركة: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الدعوة، استانبول ١٩٨٨م.

❖ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

❖ معجم المقاييس في اللغة: أحمد بن فارس، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ. تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو.

- ❖ المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم: صبحي عصر، دار الفضيلة، مصر، ط د.
- ❖ معجم مصطلحات التاريخ العربي الحديث والمعاصر: مصطفى عبدالغني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣م.
- ❖ معرفة القراء الكبار: الإمام الذهبي، دار عالم الكتب، ط١٤٢٤هـ. تحقيق: طيار آلتي قولاج.
- ❖ مفتاح دار السعادة: ابن قيم الجوزية: مكتبة حميدو، ط١٣٩٩هـ. دار الوفاء، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
- ❖ مفتاح كنوز السنة: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- ❖ مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ. تحقيق: صفوان عدنان داوودي.
- ❖ مفهوم سنن الله الإجتماعية في القرآن: محمد صديق أبو الحسن، بحث نشر في مجلة كلية الشريعة، جامعة الكويت ١٤١٧هـ.
- ❖ مقدمة ابن خلدون، المكتبة العصرية، بيروت، ط١٤٢٥هـ. تحقيق: درويش الجويدي.
- ❖ مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ، تحقيق: عدنان زرزور.
- ❖ مقومات التصور الإسلامي: سيد قطب، دار الشروق، مصر، الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ.
- ❖ ملاك التأويل: أحمد بن إبراهيم الغرناطي، دار الغرب الإسلامي، بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ. تحقيق: سعد الفلاح.

❖ منارات في الطريق: عبد العزيز الجليل، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

❖ مناهل العرفان في علوم القرآن: الزرقاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٢٣هـ. تحقيق: فؤاد أحمد زمرلي.

❖ منهج كتابة التاريخ الإسلامي: محمد صامل السلمي، دار الوفاء، مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

❖ موسوعة الحافظ ابن حجر العسقلاني الحديثية، إعداد مجموعة من الباحثين، إصدار مجلة الحكمة، بريطانيا. الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

❖ موسوعة الفلسفة والفلاسفة: عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، مصر. الطبعة الثانية ١٩٩٩م.

❖ موسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٣م.

❖ موقف الغرب من الإسلام: زينب عبد العزيز، دار الكتاب العربي، مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

❖ النظام الدولي الجديد بين الواقع الحالي والتصور الإسلامي: ياسر أبو شبانه، دار السلام، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

❖ النفاق وأثره في حياة الأمة: عادل الشدي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

❖ نهاية التاريخ: فرانسيس فوكوياما، تعريب: حسين الشيخ، دار العلوم العربية، بيروت، ط د.

❖ النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ. تحقيق: مأمون خليل شيحا.

❖ همع الهوامع شرح جمع الجوامع: السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ. تحقيق: أحمد شمس الدين.

❖ الوافي بالوفيات: الصفدي، دار إحياء التراث، بيروت، ط١٤٢٠هـ. تحقيق: أحمد الأرناؤوط.

❖ واقعنا المعاصر: محمد قطب، مؤسسة المدينة، جدة، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.



## خامساً: فهرس الموضوعات